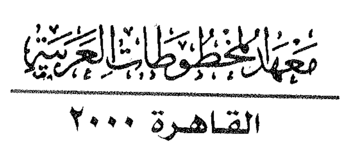



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



ندوة
قضايا المخطوطات (٣)
(٦، ٧ ديسمبر ١٩٩٩)

تنسيق وتحرير
د. فيصل الحفيان



القاهرة ٢٠٠٠

ندوة قضايا المخطوطات (٣)
التراث العلمي العربي مناهج تحقيقه وإشكالات نشره
تنسيق وتحرير دكتور فيصل الحفيان



ALECSO

NADWAT
QADÁYÁ AL-MAḪṬÚṬÁṬ (3)
(6 - 7 December 1999)

Atturāṯ
Al ͑ilmī
Al ͑arabī
Attaḥqīq
Wannašr

Arranged & Edited
By
Dr. FAISAL AL-HAFYAN

THE INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS
CAIRO 2000

التراث العلمي العربي

مناهج تحقيقه وإشكالات نشره



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

التراث العلمي العربي

مناهج تحقيقه وإشكالات نشره

ندوة
قضايا المخطوطات (٣)
(٦، ٧ ديسمبر ١٩٩٩)

تنسيق وتحرير
د. فيصل الحفيان

معهد المخطوطات العربية
القاهرة ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

التراث العلمي العربي .. مناهج تحقيقه وإشكالات نشره (بحوث ومناقشات ندوة قضايا المخطوطات «٣») ، تنسيق وتحرير د. فيصل الحفيان . القاهرة : معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م / ٢٤٨ ص .

ط/٢٠٠٠/٠٢/٠٠١

الفهرس

* * *

المشاركون

* التخطيط والتنظيم والافتتاح والختام :

د . أحمد يوسف أحمد محمد (مدير معهد المخطوطات العربية بالإنابة) .

د . فيصل عبد السلام الحفيان (منسق برامج المعهد) .

* رؤساء الجلسات [وفق ترتيب الجلسات] :

د . محمود فهمي حجازي (وكيل كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

د . علي عبد الفتاح (وزير الصحة المصري الأسبق) .

د . عبد الله حمد محارب (المستشار الثقافي بسفارة الكويت بالقاهرة) .

أ . إبراهيم الترزي (الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

* أصحاب البحوث [وفق ترتيب بحوثهم] :

د . أحمد فؤاد باشا (وكيل كلية العلوم - جامعة القاهرة) .

د . فيصل عبد السلام الحفيان (منسق برامج المعهد) .

د . مصطفى موالدي (وكيل معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب - سورية ، سابقًا) .

د . ماهر عبدالقادر محمد علي (أستاذ تاريخ العلوم وفلسفتها بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية) .

د . أيمن فؤاد سيد (خبير مخطوطات) .

د . يوسف زيدان (مستشار التراث والمخطوطات بمكتبة الإسكندرية) .

أ . عصام محمد الشنطي (مدير معهد المخطوطات الثاني ، سابقاً) .

د . عباس سليمان (مدرس فلسفة بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية) .

* المعقبون وأصحاب المداخلات [وفق ورود أسمائهم في المرة الأولى] :

د. كمال عرفات نبهان (مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن ، سابقًا) .

د. محمد عبد المجيد الطويل (رئيس قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .

د. علي عبد المعطي محمد (مدير مركز التراث القومي والمخطوطات بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية) .

د. سعيد مغاوري (رئيس قسم الوثائق والبردي بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية - مصر)

د. أيمن فؤاد سيد .

د. يوسف زيدان .

د. ماهر عبد القادر محمد علي .

د. عبد الكريم عوفي .

أ. هاني المرعشلي .

د. حسن أحمد خليل .

د. أحمد فؤاد باشا .

د. فيصل الحفيان .

د. عبد الفتاح غنيمة (أستاذ الفلسفة وتاريخ العلم - جامعة المنوفية) .

د. عبد اللطيف العبد (وكيل كلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .

أ. إياد أحمد الغوج (باحث أردني) .

د. محمد سليم العوا (مفكر إسلامي) .

* * *

الجلسة الأولى (الافتتاحية)

كلمة الافتتاح

د. أحمد يوسف أحمد محمد



اسمحوا لي في البداية أن أرحب بحضراتكم جميعاً ، واسمحوا لي أن أرحب بصفة خاصة بأولئك الأساتذة الأعزاء الذين تجشموا مشقة الحضور من خارج مصر لكي يشاركوا معنا في هذه الندوة ، التي تأتي في موقعها ، باعتبارها الندوة السنوية الثالثة على التوالي التي ينظمها المعهد حول « قضايا المخطوطات » .

وهذا مصدر سعادة لنا ، لأن معنى هذا أن انعقاد الندوة السنوية للمعهد أصبح تقليداً راسخاً نحرص عليه ، كما تحرصون عليه حضراتكم تماماً .

وكما تذكرون ، فإن المعهد قد خصص ندوتيه الأوليَيْن للحديث عن موضوع « فهرسة المخطوطات » ، وكان موضوع الندوة الأولى « التجارب العربية في فهرسة المخطوطات » ، ثم خصصت الندوة الثانية للحديث عن «فن فهرسة المخطوطات» ، وفي هذه الندوة الثالثة رأى المعهد أن يحوّل الاتجاه ناحية دراسة قضايا التراث العلمي العربي ، ذلك لأن هذا البعد البالغ الأهمية من أبعاد التراث العربي لم يلق حتى الآن حظه الكافي من الاهتمام ، ونأمل بهذا الجهد الذي بدأ متواضعاً ، ويكبر - إن شاء الله - بمساهماتكم ، أن يعطي هذا البعد المهم بعض ما يستحق ، وأن تكون هذه الندوة مجرد خطوة أولى على الطريق .

والحقيقة أنه من الصدف الطيبة أن تتزامن هذه الندوة مع احتفال المعهد مساء غد - إن شاء الله - بتسليم الأستاذ المهندس يحيى شعار ، « الجائزة العربية في تحقيق التراث » في دورتها الثانية ، عن تحقيقه لمخطوطة « مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء » وهي من تراثنا العلمي . وكان من الأمور الطيبة أيضاً أن تكون المخطوطة

الأولى التي حصلت على الجائزة الأولى ذات موضوع علمي ، يتعلق بالمياه الجوفية ، وهو « إنباط المياه الخفية » .

إن المعهد يشعر بأنه قد خطا خطوات لا بأس بها نحو زيادة الاهتمام بهذا البعد المهم من أبعاد التراث العربي ، وهو البعد المتعلق بالجانب العلمي . ومما يتصل بذلك أن المعهد في سبيله الآن إلى طباعة فهرس لمخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة والبيزرة في دار الكتب الوطنية بتونس .

إنا نحاول في منظومة – نرجو أن تكون متكاملة – أن نعزز الاهتمام بقضايا التراث العلمي العربي ، وأنا واثق أن هذه الندوة بهذه المشاركة الرفيعة من قبل حضراتكم ؛ باحثين ورؤساء جلسات ومعقبين ومشاركين ، سوف تحقق الهدف منها .

أود قبل أن أختتم هذه الكلمة أن أشكر جهاز الأمانة العامة لجامعة الدول العربية على ما يتيحه لنا دائماً من تسهيلات تيسّر علينا انعقاد مثل هذه الندوات .

وعلى الرغم من أنه لا شكر على واجب ، فإن الجهد الذي بذله جهاز المعهد في المعاونة على إخراج هذه الندوة جدير بالتنويه .

والكلمة الآن للدكتور فيصل الحفيان منسق برامج المعهد ومنسق الندوة والمبادر بفكرتها .

* * *



فكرة الندوة

د . فيصل الحفيان

– ١ –

ندوتنا هذه هي الثالثة ، فقد سبقتها ندوتان : أولاهما كان موضوعها : التجارب العربية في فهرسة المخطوطات ، وثانيتهما ركزت على فن فهرسة المخطوطات ، وقضايا هذا الفن . وقد أثمرت هاتان الندوتان كتابين ، نحسب أنهما كانا إضافة إلى المكتبة العربية .

إن المعهد يحرص وهو يضع أفكار ندواته أن تكون مرتبطة أشد الارتباط بأهم قضايا المخطوطات وأخطرها .

– ٢ –

وموضوعنا اليوم هو التراث العلمي العربي . والتراث هذا كان موضوعاً لندوات عدة ، داخل مصر وخارجها ، وداخل الوطن العربي وخارجه . ففي عام ١٩٩٦ عقد المجلس الأعلى للثقافة ندوة ، ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن عقدت أيضًا عدة ندوات ، كان موضوع آخرها : الجغرافيا وعلوم الأرض .

إذن ما هو الجديد في هذه الندوة ؟

الجديد أن ندوتنا تركز على قضيتين هامتين : الأولى هي إيجاد مناهج مستقلة لتحقيق التراث العلمي ، والثانية هي البحث في إشكالات نشر هذا التراث .

ونحن في المعهد نعتقد أن هاتين القضيتين هما ألف باء العناية بهذا التراث .

ولا نظن أن هذه الندوة هي صاحبة القول الفصل فيهما . لذلك فإن المعهد سيتابعهما في ندوات تالية ، وعبر قنوات أخرى . وربما يكون ذلك مطلوباً من المؤسسات المعنية بالتراث أيضاً . نقول ذلك لأن أي كلام في هذا التراث ، على أي وجه ، هو كلام ناقص ، قبل أن نخرج هذا التراث أو جزءاً كبيراً منه في طبعات

الأولى التي حصلت على الجائزة الأولى ذات موضوع علمي، يتعلق بالمياه الجوفية، وهو « إنباط المياه الخفية » .

إن المعهد يشعر بأنه قد خطا خطوات لا بأس بها نحو زيادة الاهتمام بهذا البعد المهم من أبعاد التراث العربي، وهو البعد المتعلق بالجانب العلمي . ومما يتصل بذلك أن المعهد في سبيله الآن إلى طباعة فهرس لمخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة والبيزرة في دار الكتب الوطنية بتونس .

إنا نحاول في منظومة - نرجو أن تكون متكاملة - أن نعزز الاهتمام بقضايا التراث العلمي العربي، وأنا واثق أن هذه الندوة بهذه المشاركة الرفيعة من قبل حضراتكم ؛ باحثين ورؤساء جلسات ومعقبين ومشاركين، سوف تحقق الهدف منها .

أود قبل أن أختتم هذه الكلمة أن أشكر جهاز الأمانة العامة لجامعة الدول العربية على ما يتيحه لنا دائماً من تسهيلات تيسّر علينا انعقاد مثل هذه الندوات .

وعلى الرغم من أنه لا شكر على واجب، فإن الجهد الذي بذله جهاز المعهد في المعاونة على إخراج هذه الندوة جدير بالتنويه .

والكلمة الآن للدكتور فيصل الحفيان منسق برامج المعهد ومنسق الندوة والمبادر بفكرتها .

* * *

فكرة الندوة

د. فيصل الحفيان

- ١ -

ندوتنا هذه هي الثالثة، فقد سبقتها ندوتان : أولاهما كان موضوعها : التجارب العربية في فهرسة المخطوطات، وثانيتهما ركزت على فن فهرسة المخطوطات، وقضايا هذا الفن . وقد أثمرت هاتان الندوتان كتابين، نحسب أنهما كانا إضافة إلى المكتبة العربية .

إن المعهد يحرص وهو يضع أفكار ندواته أن تكون مرتبطة أشد الارتباط بأهم قضايا المخطوطات وأخطرها .

- ٢ -

وموضوعنا اليوم هو التراث العلمي العربي . والتراث هذا كان موضوعاً لندوات عدة، داخل مصر وخارجها، وداخل الوطن العربي وخارجه . ففي عام ١٩٩٦ عقد المجلس الأعلى للثقافة ندوة، ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن عقدت أيضًا عدة ندوات، كان موضوع آخرها : الجغرافيا وعلوم الأرض .

إذن ما هو الجديد في هذه الندوة ؟

الجديد أن ندوتنا تركز على قضيتين هامتين : الأولى هي إيجاد مناهج مستقلة لتحقيق التراث العلمي، والثانية هي البحث في إشكالات نشر هذا التراث .

ونحن في المعهد نعتقد أن هاتين القضيتين هما ألف باء العناية بهذا التراث .

ولا نظن أن هذه الندوة هي صاحبة القول الفصل فيهما . لذلك فإن المعهد سيتابعهما في ندوات تالية، وعبر قنوات أخرى . وربما يكون ذلك مطلوباً من المؤسسات المعنية بالتراث أيضاً . نقول ذلك لأن أي كلام في هذا التراث، على أي وجه، هو كلام ناقص، قبل أن نخرج هذا التراث أو جزءاً كبيراً منه في طبعات

محققة تحقيقاً علميًا . بعد ذلك نستطيع أن ندخل في قضايا هذا التراث الدقيقة ، وفروعه المختلفة ، ويعقب ذلك الانتقال به من النص إلى الخطاب ، على حد تعبير الأخ الدكتور يوسف زيدان .

- ٣ -

في مناهج التحقيق وقواعده كتب محدودة ، كان أولها : « قواعد تحقيق المخطوطات » الذي صنفه المرحوم عبد السلام هارون ، ومنها كتاب د. رمضان عبد التواب « مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين » ، وكتاب د. عبد الله عسيلان « تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل » ، وكتاب الأستاذ هلال ناجي «محاضرات في تحقيق النصوص». وللدكتور أحمد مطلوب كتاب أيضًا . والمعهد عقد ندوة ببغداد، عام ١٩٨٠ ، أسفرت عن كتيب تحت عنوان « أسس تحقيق التراث العربي » .

والملاحظ على هذه الكتب جميعاً أنها بُنيت على النظر في التراث اللغوي والديني ، وإن شئنا قلنا : الإنساني ، ولم تلتفت إلى التراث العلمي .

ولعل السبب يعود إلى أن هؤلاء الذين صنَّفوا هذه الكتب ، وعُنوا بقضية التحقيق هم من المتخصصين في اللغة وعلومها .

من هنا بدأت فكرة هذه الندوة ، فقد كان لدينا سؤال أو افتراض يقول : هل للتراث العلمي العربي خصوصية تقتضي أن تكون له مناهج تحقيق خاصة به ؟ أم أن الأمر لا يعدو نقاطاً يلتقي فيها التراثان الإنساني والعلمي ، ونقاطاً يفترقان فيها ، لكن هذه النقاط بنوعيها لا ترقى إلى حد وضع مناهج مستقلة للتراث العلمي ؟ أم أن الأمر أهون من ذلك كله ، ودونه ، فليس للموضوع تأثير على منهج التحقيق ، والقواعد التي نلتزم بها في علوم التراث الإنسانية هي بعينها صالحة للتراث العلمي .

- ٤ -

هذا السؤال أو تلك الأسئلة ألقيناها على د. مصطفى موالدي ، ضيف الندوة، ووكيل معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب سابقًا ، وأحد المتخصصين في تاريخ الرياضيات العربية ، وقد نشر له المعهد من قبل كتاباً تحت عنوان « أساس القواعد في أصول الفوائد » لكمال الدين الفارسي .

وكان لتلك الأسئلة صداها لدى د. موالدي ، فقد أفاد بأنه معنيٌّ منذ زمن بقضية وضع مناهج خاصة بتحقيق التراث العلمي ، وأنه بصدد تأليف كتاب في الموضوع . ومن هنا تفضل بكتابة بحث عنوانه « خصوصية تحقيق التراث العلمي » .

وإذا كانت الأوراق قد اختلطت في العمل في تراثنا بعامة، وفي تراثنا العلمي بخاصة ، شأنَ كل جوانب حياتنا العصرية ، فرأينا من يتجرأ على التراث ويتصدى لتحقيقه ، دون أن يمتلك الأدوات اللازمة لذلك - إذا كان الأمر كذلك ، فلا أقل من أن تتضمن الندوة بحثاً ، جاء عنوانه في صيغة سؤال « من يحقق التراث العلمي؟ » . وقد أجاب على هذا السؤال بإفاضة د. ماهر عبد القادر .

- ٥ -

في قضية النشر وإشكالاته التي عُنيت بها الندوة ألقينا نظرتين ، إحداهما باتجاه الماضي ، والأخرى باتجاه المستقبل . وقد اضطلع د. أيمن فؤاد سيد ، بعبء صياغة رؤية تقويمية لحركة نشر التراث العلمي ، في حين نهد د. يوسف زيدان إلى صياغة رؤية تستشرف المستقبل ، وتلفت إلى الخطوط العامة التي ينبغي أن نضعها في الحسبان ، ونحن نرنو إلى نشر هذا التراث ، ونخطط له .

- ٦ -

ومن قضية النشر باتجاهيها الآنفين انطلقنا إلى تقويم نوعين من الجهود لا يمكن إغفالهما ونحن بصدد صياغة رؤية واضحة لقضيتي التحقيق والنشر . النوع الأول من هذه الجهود هو جهود المؤسسات العربية في خدمة التراث العلمي ، وقد تتبع هذه الجهود الأستاذ عصام محمد الشنطي المدير الثاني للمعهد سابقاً . والنوع الثاني هو جهود المستشرقين في خدمة التراث العربي ، وكان هذا البحث من نصيب د . عباس سليمان .

- ٧ -

ولم يكن الولوج إلى هذه القضايا ممكناً دون تمهيد . وقد جعلنا هذا التمهيد في شقين : الشق الأول عن مكانة التراث العلمي وأهميته . وفي ذلك كان البحث الذي نهض به د. أحمد فؤاد باشا ، تحت عنوان « التراث العلمي العربي : شيء من الماضي أم زاد للآتي » . والشق الثاني عن « موقع هذا التراث وإشكالاته » ، وكان لي شرف إعداد هذا البحث .

- ٨ -

وبعد ، فما نظن إلا أن الأساتذة الأجلاء والعلماء الأفاضل الذين شرفونا بقبول مناقشة هذه البحوث والتعقيب عليها ، سيثرون هذه البحوث ، ويضيفون إليها الكثير ، ليشترك الجميع في إعطاء القيمة لهذه الندوة التي نرجو أن تكون خطوة واسعة على طريق العناية بتراثنا العلمي ، تحقيقاً ، ونشراً ، ودرساً وإفادة ، وبناء .

* * *

الجلسة الثانية

التراث العلمي العربي : قراءة عامة

التراث العلمي العربي : شيء من الماضي أم زاد للآتي ؟

د . أحمد فؤاد باشا

■ **د . محمود فهمي حجازي (رئيس الجلسة) :**

يشرفني أن أكون بين هذه النخبة من العلماء المعنيين بالتراث العلمي العربي ، وهي نخبة نعتز بها في تاريخنا الثقافي العلمي في العصر الحديث .

التراث العلمي ينبغي أن يأخذ قدرًا أكبر من الاهتمام ، وفي الكتاب القيم الذي أعده فؤاد سيزكين عن تاريخ التراث العربي لفت نظري حجم هذا التراث والمجالات الواسعة التي يفتحها ، هذا بالإضافة إلى دوره في تأكيد ثقة الإنسان العربي بتاريخه ومستقبله ، وتعزيز انتمائه لأمته .

ولذلك فإننا نحيي المعهد ومديره د . أحمد يوسف ، الذي تبنى عقد هذه الندوة ، كما أوجه الشكر للذي خطط لهذه الندوة والمدير العام للمنظمة الأستاذ محمد الميلي ، ولأخي الكريم الدكتور فيصل الحفيان الذي خطط لهذه الندوة ، والذي عرفناه دائماً بالهمة والذوق والعمل الجاد .

الكلمة الأولى في هذه الجلسة لعالم معروف في مصر والعالم العربي ، هو د . أحمد فؤاد باشا ، ذو الإسهامات الواضحة في التراث العلمي العربي وفي الرؤية المعاصرة للعمل فيه ، ويشرفني أن أقدمه ليعرض بحثه « التراث العلمي العربي : شيء من الماضي أم زاد للآتي ؟ » .

* * *

شهدت العقود الأخيرة من هذا القرن اهتماماً متزايدًا بعلوم الحضارة العربية الإسلامية ، من الدارسين العرب والمسلمين ، ومن المستشرقين والفلاسفة ومؤرخي العلم الغربيين ، على حد سواء . ولكن البعض يتساءل أحيانًا عن جدوى البحث في كتب قديمة تعود بنا إلى الوراء ألف عام أو يزيد ، ولماذا نبذل كل هذه الجهود المضنية في عملية رصد المخطوطات وجمعها وفهرستها وترميمها وحفظها ، ثم في تحقيق نصوصها ومعالجة نماذجها ، نسخا وقراءة وحلاً لمشكلاتها واستجلاء

لغوامضها ، ثم في تناولها بالدراسة والتحليل ، بحثًا عما يمكن أن تتضمنه من معلومات قد تفيد أو لا تفيد ؟

وأنصار هذا الاتجاه في التعامل مع التراث العلمي - رغم قلتهم - ينكرون الماضي تمامًا ويزدرون أي محاولة لإحياء تراثه . ويوجد في ساحة الفكر العربي من يتبنى هذا الموقف الرافض لأي ربط بين التاريخ والحاضر ، بحجة أنه لا يصمد أمام أي تحليل عقلي دقيق ، حتى وإن كان يفيد في استنهاض الهمم ورفع المعنويات ، فليس في التاريخ البشري - في ما يزعمون - أمجاد معنوية تتحول إلى جزء من « الجينات » المكونة لشعب ، وتظل كامنة في أفراده على شكل استعداد للنهوض ينتظر اللحظة المناسبة لكي يصبح واقعًا متحققًا [1] . بل إن هناك ، بكل أسف ، من أبناء جلدتنا - نحن معشر العرب والمسلمين - من يعلن صراحة أن إحياء التراث إنما يكون بقتله[2] .

وإذا كان لأنصار « القطيعة المعرفية » حججهم ومبرراتهم ، فإن قضية الدفاع عن التراث العلمي وأهميته من القضايا التي تثار بين الحين والحين في مؤتمرات وندوات عالمية ، وكان - ولا يزال - الحديث عنها مرتبطًا بمبحث تاريخ وفلسفة العلم . فقد تساءل « روبرت هول » في خطابه أمام الجمعية البريطانية لتاريخ العلوم سنة ١٩٦٩م عما إذا كان من الممكن أن يصبح تاريخ العلم تاريخًا ؟

وفي عام ١٩٩١م عقدت في فلورنسا ندوة لمناقشة المكانة التي يمكن أن يحتلها تاريخ العلم والتقنية في المجتمع الأوربي المعاصر ، وهي تماثل ندوتنا الحالية على المستوى القومي . وفي سبتمبر من عام ١٩٩٧م ألقى « جون هيدل بروك» كلمة في الاحتفال بالعيد الخمسين (الذهبي) للجمعية البريطانية لتاريخ العلوم ، الذي أقيم بمشاركة الاتحاد البريطاني لتقدم العلوم ، وجعل عنوان كلمته السؤال التالي : هل

---

(١) د. فؤاد زكريا ، أين العرب من الإبداع العلمي ، مجلة آفاق علمية ، العدد الأول ، ١٩٨٥م .
(٢) د. صلاح قنصوة ، ندوة الجمالية الغربية ، مجلة الفكر العربي ، ع ٦٧ ، ١٩٩٢ .

هناك مستقبل لتاريخ العلم ؟ Does the history of Science have a Future ? ، خاصة أننا نسمع أحيانا شائعات تردد أن نهاية العلم قد اقتربت ، ولم يبق شيء نحتاج إليه بعدما نتمكن من استنساخ الإنسان ونتوصل إلى تفسير لحظة الخلق . . ألا تعني نهاية العلم نهاية لتاريخه ؟

يقول « بروك » معلقاً : « من الواضح لأول وهلة أن هذا غير ممكن ، ومع ذلك فإن المؤرخين مشغولون بهذه القضية التي يزداد الحديث عنها مع نهاية كل من القرون الأربعة الأخيرة » [1] .

ونحن من جانبنا نقول : إذا افترضنا جدلاً أنه بالإمكان قطع الصلة بالتراث ، فهل ستفعل ذلك معاهد ومؤسسات الاستشراق المعنية بتراثنا ؟ إننا نطرح في هذه الورقة بعض جوانب القضية المثارة قوميًا وعالميًا كمدخل إلى هذه الندوة .

مظاهر وأسباب الاهتمام الدولي بالتراث العلمي :

يقول مؤرخ العلم المعاصر « جان دومبريه » [2] : « إن التراث العلمي لا يزال مجال عمل ضخم لم يتم » . ويدعم صحة هذه المقولة ما تشهده حركة إحياء التراث العلمي منذ عدة عقود من نشاط منظم على مستوى العالم ، يهدف عادة إلى نشر الأعمال الكاملة لكبار العلماء ، على اعتبار أنه مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول ، بما في ذلك الدول الغنية من العالم الثالث . فقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة للعالم الشهير « برنوللي » إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب العام ، ويجري حاليًا إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال ، من خلال التعاون بين أكثر من سبع دول ، وسوف تصدر أجزاء هذه الطبعة تباعاً في نحو خمسة وأربعين مجلداً .

---

(١) مراجع المجلة البريطانية لتاريخ العلم (B J H S) J. H. Brooke the History of Science have a future , B J H S , 32 , pp . 1-20, 1999 .
(٢) يعمل جان دومبريه أستاذاً للرياضيات بجامعة نانت ، وكان رئيسا للجمعية الفرنسية لتاريخ العلوم والتقنيات (١٩٨٣ - ١٩٨٨م) .

كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة لعالم الرياضيات المعروف « أويلر » ، عن طريق الاستعانة بإمكانيات ست دول ، على الرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافيًا في سويسرا .

وقد شرعت الولايات المتحدة الأمريكية حديثًا في تبني هذا المبدأ لإصدار أعمال العديد من العلماء أمثال : « جاليليو » في إيطاليا ، و « نيوتن » في إنجلترا ، و « جاوس » في ألمانيا ، و « ديكارت » و « لابلاس» و « لاجرانج » في فرنسا ، وغيرهم .

ولا ينبغي أن يدهش المرء لطول الوقت الذي يستغرقه إنجاز مثل هذه المشروعات ، ناهيك عن ضخامة التكلفة ، فقد استغرق إصدار أعمال عالم الرياضيات الشهير « كوشي » أكثر من خمسين سنة .

ويواكب هذا الاهتمام العالمي بعملية إحياء التراث العلمي نشاط مكثف لمعالجة قضايا تاريخ العلم ، تتجلى مظاهره في إنشاء الأقسام والمؤسسات الأكاديمية المتخصصة في الكثير من جامعات العالم ، وإصدار أكثر من مائة مجلة دورية متخصصة في تاريخ العلم ككل ، أو في موضوع محدد من موضوعاته ، أو في مرحلة زمنية معينة من مراحل تطوره عبر العصور . يضاف إلى ذلك ما يعقد من مؤتمرات دولية في تاريخ العلم بصورة دورية ، تقريبًا كل ثلاث أو أربع سنوات ، منذ عام ١٩٢٩ م ، وقد بلغت حتى الآن عشرين مؤتمراً ، عقد أحدها في القدس عام ١٩٥٣ م ، وكان آخرها في « لييج » ببلجيكا سنة ١٩٩٧م .

ولا نجد في تعليقنا على هذا العرض الموجز لخريطة الاهتمام العالمي بقضايا التراث العلمي أفضل من كلمات « جان دومبريه » التي تقرر وجود فجوات واسعة في الأعمال التي تضمنتها هذه النشاطات ، إذ « ليس للعلماء ، غير الغربيين أي

وجود بها ، كما أنهم لم يحظوا حتى بالإعلام بأي أسلوب شامل . وفضلاً عن ذلك فإن علماء الرياضيات والفلك يظهرون بصورة أبرز من التي يظهر بها الجولوجيون وعلماء التاريخ الطبيعي عموماً . وهذا يؤدي إلى الانحياز بصورة منفرة ، فنحن اليوم لا نزال نعرف شارحي إقليدس ، بدءًا من ثابت بن قرة ، إلى أديلارد الباثي ، ومن جيرار الكريموني إلى عمر الخيام ، الذي لا يمكن إنكار أنه كان أيضًا مبدعاً وشاعرًا وعالماً في الرياضيات » . [(١)]

ونضيف من جانبنا إن هذا التحيز الواضح في الاهتمام العالمي بتراث العلماء الغربيين دون غيرهم ، يجب أن يقابله جهد مكثف من جانب أصحاب الحضارات المختلفة التي أسهمت في صنع التقدم العلمي والتقني عبر الأجيال ، وخاصة أبناء الحضارة العربية الإسلامية التي ظل علماؤها الروّاد لأكثر من ثمانية قرون طوال يشعون على العالم علمًا وفنًا وأدبًا وحضارة ، ولا نعرف اليوم شيئًا عن أغلب مؤلفاتهم ومخطوطاتهم المفقودة أو التي لا تزال بكرًا في مظانها المختلفة بأنحاء متفرقة من العالم ، تنتظر من يتولى البحث عنها وإحياءها ، لتحظى من جموع الباحثين بدراسات تحليلية معاصرة .

وليس هناك من شك في أن مثل هذه الدراسات التراثية للعلم الإنساني من شأنها أن توضح أهمية التحليل المنطقي لتاريخ العلوم وتقنياتها ، فلا يمكن لأي باحث منصف مدقق إلا أن يضع النشاط العلمي والتقني في سياقه التاريخي العام ، على اعتبار أن هذا النشاط عملية ممتدة ومتصلة خلال الزمان ، ولن يوجد فهم واقعي للعلم بدون نقد متواصل له ، فليس ثمة معرفة إنسانية لا تفقد طابعها العلمي متى نسي الناس الظروف التي نشأت في أحضانها ، وأغفلوا المسائل التي تولت الجواب عليها ، وحادوا عن الهدف الذي وجدت أصلا من أجله [(٢)] .

---

(١) راجع في ذلك Jean Dhombres , "On the Track of Ideas and Explanation Down the Centuries : The History of Science today", Ipact of Science on Socitety , UNESCO (1990) , NO 159, P, 191.

(٢) صلاح قنصوة ، فلسفة العلم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة

ومن هنا يستحيل الفصل بين التراث العلمي ومراحله التاريخية ، نظراً لأهمية تاريخ العلم في صياغة فلسفة العلم ونظريته العامة ، وإذا ما ران على العلم جهل بتاريخه ، فإنه لا محالة مخفق في مهمته .

وإذا كانت الخبرة الإنسانية تدعونا دائماً إلى الاعتبار من دروس التاريخ ، فإن تاريخ العلوم لا يدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التي شهدها ، ولكننا نتعلم منه أيضًا أن المشكلات والقضايا العلمية التي تواجهنا الآن ليست جديدة تمامًا ، فالأساليب التي عولجت بها هذه القضايا في ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبدًا مما يمكن أن نفيد منه اليوم أو غدًا . ولذا فإن أية نظرية تطرح لنقد العلم قديمًا وحديثًا تكتسب أهميتها من المبررات المنطقية التي تقدمها كمسوغ لإعادة قراءة تاريخ العلوم في ضوء المرحلة التي يبلغها من تطوره على أساس ما يستجد دائما من أفكار تتعلق بالجوانب المختلفة لنظرية العلم والتقنية ، بحيث تجعل من هذه القراءة المعاصرة أساساً لتحليل الواقع واستشرافًا لآفاق المستقبل .

ومن هنا نعثر على السبب الحقيقي وراء الاهتمام العالمي المتزايد بإعادة تحليل تاريخ العلم والتقنية برؤية موضوعية قدر الإمكان ، من خلال المؤسسات الأكاديمية والمجلات الدورية والترجمة والتأليف وإحياء تراث الأعلام في فروع العلم المختلفة .

ومن هنا أيضا تظهر بجلاء أهمية إحياء التراث العلمي للحضارة العربية الإسلامية ، والعودة - من خلال الدراسات التأصيلية - بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها في المجتمع الذي كان شاهدًا على ميلادها ، والتعرف على طبيعة الظروف التي سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر ، وتصبح بعد ذلك فروعًا في شجرة المعرفة ، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية ، ذلك لأن الحقائق العلمية ليست كلها على درجة متكافئة من الأهمية والدلالة عندما يتناولها المؤرخ بالتحليل والتفسير في أي عصر من العصور ، كما أن قيمة العلماء ومكانتهم تتحدد بقيمة القوانين والنتائج العلمية التي يتوصلون إليها ، وبمدى أثرها في دفع مسيرة التقدم العلمي والحضاري [١] .

(١) راجع في ذلك : د. أحمدفؤاد باشا ، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي : دراسات تأصيلية ، دار الهداية ، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م . =

حتى عندما نتناول القضية من منظور قومي فيمايتعلق بالتراث العلمي العربي ، فإننا نجد ما يناظرها بشكل خاص في أوروبا ، حيث يحظى تاريخ العلم الأوربي اليوم باهتمام متعاظم من أجل تأصيل الثقافة العلمية الأوربية . وطبقًا لماجاء في تقرير عن ندوة « تاريخ العلوم والثقافة العلمية في أوربا » ، التي عقدت في فلورنسا عام ١٩٩١ م للبحث عن جهود إحياء التراث العلمي في أوربا المعاصرة ، والمكانة التي يمكن أن يحتلها تاريخ العلم والتقنية في المجتمع الأوربي المعاصر [١] . جاء في هذا التقريرأن العلم والتقنية ينظرإليهما كمكونات أساسية للعزة القومية ، لذلك فإن تاريخهما يميل إلى اتخاذ شكل « الدفاع والمباهاة فيما يتعلق بالمجتمع العلمي للبلد المعني ، ومن سماته المثيرة في معظم البلدان الأوربية ميله إلى النمو في إطار قومي بالضرورة ، على الرغم من العديد من اللقاءات والصلات الدولية القائمة بين الباحثين . ويتجلى الانحياز المقصود أو غير المقصود ، بوضوح عند مؤرخي بلد ما ، عند اختيارهم لموضوعات البحث ، ومنها الحقب التاريخية ، أو الإنجازات التي تبين تفوق دولة على الأخرى . مثال ذلك : الثورة الصناعية : الصلب والبخار والمنسوجات في إنجلترا خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وصناعة الحديد والصلب في السويد في القرن الثامن عشر ، والميكانيكا والهيدروليكا في إيطاليا في عصر النهضة ،وتقنيات التسليح والملاحة في إسبانيا خلال عصر الاكتشافات ، وهلم جرًّا . والنتيجة الواضحة لهذه الظاهرة هي صورة مشوهة لتطور العلم والتقنيةو في أوربا ، وهي تشبه منظرًا طبيعيًّا لاتظهر فيه سوى قمم الجبال .

= د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

د . أحمد فؤاد باشا ، في فقه العلم والحضارة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة قضايا معاصرة (٢٠) ، القاهرة ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .

(١) مايكل أندريه ، تاريخ العلوم والثقافة العلمية في أوربا ، مجلة العلم والمجتمع ، ع ١٦٧ ، اليونسكو ١٩٩٢ .

كذلك أشار هذا التقرير الهام إلى وجود قدر كبير من الغموض يحيط بموضوع « الأسلوب القومي في تاريخ العلم » وتعدد الرؤى حول مشاهير العلماء في ضوء التعددية الثقافية الأوربية ، واعتبرت الندوة هذا الموضوع جديراً بالبحث المنهجي .

وفي محاولة لإيضاح الأهمية البالغة لتاريخ العلم والتقنية في أوربا المعاصرة وانتشار الفهم العميق للماضي العلمي والتقني ، يركز التقرير على النقاط التالية :

١ - أن أول نقطة جديرة بالملاحظة حول تاريخ العلم والتقنية في أوربا هي أن هذا التاريخ حي ، وأنه تحت رعاية مجموعة كبيرة من الباحثين في مختلف الدول الأوربية ، لكن مستوى العمل المؤسسي يكاد يكون غائباً ، حيث يتناثر الباحثون في جهات أكاديمية متعددة : كليـات العلـوم وكليات التاريخ وأقسـام الفلسفة ، وما إليها .

واقترح البعض مناقشـة تأسيس اتحاد أوربي وإصدار دورية أوربيـة لتاريخ العلم والتقنية ، بالإضافة إلى إجراء مشروعات مشتركة على أساس تعاوني ، مثل طبع الأعمال الكاملة لكبار العلماء .

٢ - إذا كـان العلم يوصف هذه الأيام بأنه « معرفة بدون ذاكرة » ، وأنه يشق طريقه إلى الأمام دون التفاتة واحدة إلى الخلف ، وذلك بسبب انغلاق الباحثين أنفسهم في حاضر شبه دائم ، واعتمادهم على مراجع لا يزيد عمرها على بضع سنوات . . فإن « فقدان الذاكرة المقنن» هذا قد أسهم في وقت من الأوقات في زيادة تأثير المشـروع العـلمي ، إلا أنه أصبح الآن مضـاداً للإنتاجيـة . والباحثـون المحرومون من الثقافة التاريخية ، والمنعزلون عن الأسس التي تقوم عليها علومهم يكونون أكثر عرضة لأن يضلوا طريقهم ويضاعفوا أخطاءهم . وكما اتضح جليّاً من رواية « ذاكرة الماء » التي أشرنا إليها ، فإن أولئك الباحثين قد يظلون دائرين في حلقات مفرغة ، أي في مسارات سبق اكتشافها من قبل ، واتضح أنها تفضي إلى نهايات مسدودة . . وبعض الاكتشافات التي تقدم اليوم على أنها إنجازات ثورية

وإبداعية غير مسبوقة ، قد لاتكون في الحقيقة سوى إعادة تشكيل لبعض الأفكار القديمة التي أهملت وغمرها النسيان لسنين عديدة .

٣ - توقع المشاركون في هذه الندوة المعنية بالتأصيل الأوربي للعلم ، والتي اقتصرت المناقشات فيها على معالجة الموضوع في سياق أوربي محض - توقعوا لمبحث تاريخ العلم والتقنية أن يؤدي دورا كبيراً في المستقبل ، وأن يحتل مكانة بارزة في مجال التعليم ، مع دور جوهري في ميادين التدريب الأولى ، وأثناء فترة الخدمة . ويعني هذا بوضوح تدريب الباحثين في المقام الأول ، وهو ينطبق أيضاً على المهندسين وطلاب العلوم الإنسانية والآداب ، مما يتيح لهم مقدمة ميسرة لفهم حركة العلم والتقنية ، واستيعاب ما فيها من طرق ومشكلات .

كذلك يوجد طوائف أخرى كثيرة من العاملين الذين يهمهم هذا الأمر ، مثل صانعي القرار السياسين ومستشاريهم ، والمتخصصين في دراسة السياسات العلمية ،ورجال الاقتصاد ومحللي الابتكارات الذين يسعون إلى الحصول على معلومات وأدوات تمكنهم من مواجهة المشكلات المعاصرة . بل إن أعضاء هذه الندوة يرون أهمية قصوى لتاريخ العلوم وتقنياتها بالنسبة لجميع فئات المجتمع في الريف والحضر ، باعتبار أنه يمثل الحد الأدنى من المعرفة بعلم التاريخ وفلسفته العامة ، بجوانبه الاجتماعية والسياسية والعلمية ، من أجل ممارسة صحيحة لحق التصويت !

والآن ، ترى هل يمكن أن نجد شيئًا يخصنا فيما ذكرناه عن مظاهر وأسباب الاهتمام الدولي والأوربي بقضايا التراث العلمي ؟ ذلك الاهتمام الذي أخذ في الازدياد بصورة تلفت النظر خلال النصف الثاني من هذا القرن ، خاصة بعد أن أظهرت الدراسات المتعلقة بتاريخ العلم وفلسفته أن الباحث الجيد هو الذي يكون على دراية تامة بأحدث ما توصل إليه زملاؤه في مجال تخصصه ، وأن يكون في الوقت نفسه ملمّاً إلمامًا كافيًا بأصول المفاهيم العلمية المتصلة بموضوع بحثه ، وذلك

من خلال متابعته الدقيقة لطبيعة نموها عبر مراحل تطورها . وهذا يعني أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة في العلوم الطبيعية يعد من أهم سمات الباحث المتميز الذي يكون بلا شك أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمي برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرقى .

أهمية التراث العلمي العربي معرفيًا وتقنيًا وحضاريًا :

التراث العلمي العربي يشمل جزءًا كبيراً من التاريخ العلمي والحضاري ، ويخص الحضارة الإسلامية ودورها الرائد في مسيرة الحضارة الإنسانية ، بشهادة المنصفين من المؤرخين ، لكن بعض المنظّرين يغفلون هذا الدور الإسلامي الرائد ، في الوقت الذي يحاولون فيه أن يؤرخوا لنظرية العلم بإيجاد أساس لها عند أفلاطون وأرسطو في الحضارة الإغريقية أو عند بيكون وديكارت ومل ، وغيرهم من رواد النهضة العلمية الحديثة . بل إننا نجد من يثني كثيراً على ما يسمى بـ « بالعلم العبري » و « العلم المسيحي » ، كما تساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة في الشرق ، وللإشادة بالعصر الذهبي « العبقرية السامية » في حضارة بابل وآشور[1] . ولم يستطع أكثر المؤرخين المعاصرين إنصافًا للحضارة العربية الإسلامية أن يخفي نزعته العرقية عندما تحدث عما أسماه « بالمعجزة اليونانية » وتفوقها على الحضارات المجاورة لها ، قائلاً : « . . وحديثنا عن الماضي محدود من عدة وجوه ، وأحد هذه الوجوه الضرورية أنه يجب علينا أن نقصر أنفسنا على أسلافنا فحسب . . . والواقع أن ثقافتنا النابعة من الأصل الإغريقي والعبري هي الثقافة التي تعنينا كثيراً ، إن لم تكن هي كل ما يعنينا . . . والزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشر . . لأنني إن كنت أرقى من جيراني فليس لي أن أقول ذلك ، ولكن لهم فقط أن يقولوه ، وإذا زعمت لنفسي شيئا من العلو

(١) رينيه تاتون ، : « تاريخ العلوم العام ، العلم القديم والوسيط » ، ترجمة د. علي مقلد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٨ .

لا يستطيعون - أو لا يقبلون - أن يصادقوا عليه ، فإن ذلك لا يثمر سوى العداوة بيننا »[1] .

وفي كتاب « العلم في التاريخ » لم يستطع المؤلف جون ديزموند برنال أن يخفي تحيزه الواضح إلى جانب الإغريق والفرس والرومان في ، الوقت الذي يكيل فيه اتهامات متنوعة للإسلام والمسلمين دون أن يشرحها أو يدلل عليها ، فالإسلام - فيما يزعم برنال - أقام ثقافة متلاحمة ظلت باقية إلى يومنا هذا ، بالرغم من أنها ليست ثقافة تقدمية ، واللغة العربية - فيما يزعم برنال أيضا - هي التي حجبت الدور الكبير للعنصر الفارسي في العلوم الإسلامية الشرقية ، والمسلمون يتحملون مسئولية كبيرة عن إقامة حواجز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية إلى يومنا هذا ، بدعوى أنهم لم يترجموا إنسانيات الإغريق مثلما ترجموا التراث العلمي والفلسفي ، فانتقلت الإنسانيات والعلوم إلى الثقافة الحديثة عن طريقين مختلفين . وينكر « برنال » مآثر علماء المسلمين ويقصرها فقط على مجرد حفظهم لمواريث القدماء ، قائلاً : « رضي معظم علماء المسلمين بالنمط الكلاسيكي الأخير للعلوم ، ووثقوا هذا النمط . ولم يكن لديهم طموح كبير ليحسنوه ، ولم يكن لديهم أي طموح لأن يطوروه تطويراً ثوريًا »[2] .

وتجدر الإشارة أيضا بإيجاز إلى بعض صور التحيز الواضح من جانب بعض المؤرخين عندما يتجهون إلى التأليف في تاريخ العلوم وتقنياتها لإذكاء نزعة قومية ، حيث نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربي ، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنساني ، ولكن لكي يثبت أسطورة الجنس الآري وتفوقه ، ويؤكد مقولة أن « العلم لا يمكن إلا أن يكون غربيًا » . فعندما صنف «جوزيف نيدهام » وزملاؤه سبعة مجلدات ضخمة (بدأ إصدارها عام ١٩٥٤م)

(١) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، الترجمة العربية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦م .

(٢) ج . د . برنال ، العلم في التاريخ ، ترجمة د. علي علي ناصف . الجزء الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩١ م .

عن العلم والحضارة في الصين ، إنما كانوا يحاولون أن يفسروا السبب الذي حال دون أن تتبع التنمية في الصين نفس المسار الذي اتبعته الثورة العلمية الحديثة في أوربا ، ثم يسعون من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمني ، مُفاده أن العلم والتقنية اللذين أينعا في أوربا النهضة ، عالميان ، وأن كل ماهو أوربي لا بد أن يكون عالميًا . وغالبًا ما يطرح أمثال هؤلاء المؤرخين المتحيزين مسألة « العلم القومي » في صورة منافسة يحاول فيها كل فريق التصدي بحماس لا يخلو من المبالغة في كثير من الأحيان للرد على كل ما يقلل من شأنهم في ساحة الفكر العالمي [١] .

وعلى غرار مافعل « نيد هام » بالنسبة للعلم الصيني ، أو شيء قريب منه ، حاول « توبي هاف » مؤخراً أن يجيب على سؤال : لماذا ظهر العلم الحديث في أوربا ، على حين أن العالم العربي الإسلامي كان متقدمًا على الغرب الأوربي بكثير طوال الفترة التي مهدت لظهور هذا العلم ؟ وروج بالطبع لبعض المغالطات التاريخية في نقده للثقافة الإسلامية ، لكنه لم يستطع أن يخفي جوانب التقدم التي أحرزها العالم العربي الإسلامي ، وتفوق بها على العالم الغربي في المرحلة التي يسميها « فجر العلم الحديث » [٢] .

أما أولئك الذين حاولوا اختراق الثقافة الإسلامية من خلال دراستهم لتراثنا العلمي ، فقد تطرقوا لأمور من صميم العقيدة الإسلامية ذاتها وروجوا لأفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين . ومن أمثلتهم « إميلي سيفيج سميث » الذي أورد في دراسة حديثة حول « الاتجاهات الجارية في دراسة العلوم والطب عند المسلمين في العصر الوسيط » كلامًا مبتسراً عن الطب النبوي والرسائل المؤلفة من قبل علماء

(١) J. Needham, The Chinese Scientific Traditi on
عن مجلة العلم والمجتمع ، الترجمة العربية ، اليونسكو ، ع ٧٣، ١٩٨٩م .

(٢) : توبي أ . هاف ، فجر العلم الحديث ، الإسلام - الصين - الغرب ، جزآن ، ترجمة د . أحمد محمود صبحي ، عالم المعرفة ، الكويت ، مارس وإبريل ١٩٩٧ . وقد أعددنا دراسة نقدية لهذا الكتاب نشرت بمجلة الأزهر ، الأعداد ٧ ، ٨ (١٩٩٧م) و٢ (١٩٩٨م) .

الدين ، وليس من قبل الأطباء ، على أساس اعتقادهم بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق الوحي والنبي محمد ﷺ وأعراف الصحابة المقربين وآرائهم . ويزعم سميث في دراسته أن رسائل الطب النبوي قد شاعت في مقابل الطب القائم على أساس إغريقي على أيدي فريق من الأطباء النطاسيين ، أمثال ابن جميع [١] .

وفي مقال آخر بعنوان « العلم في خدمة الدين يتخذ ديفيد كنج من خلال دراسته للتراث العربي الإسلامي مدخلاً لترويج أفكار خاطئة عن الإسلام ، ويتخذ من هذا الستار العلمي رداء خادعًا ، بحيث تبدو هذه الأفكار وكأنها تعبير صادق عن واقع الإسلام والمسلمين . ففي غمرة انشغاله بقضايا التراث العلمي الإسلامي المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلّة الشهور القمرية ، نجده يثير أسئلة لاتؤهله ثقافته للرد عليها ، فهو مثلاً يتساءل عن سبب اعتماد المسلمين لخمس صلوات رئيسية فقط ، زاعمًا أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح في آيات القرآن الكريم ، أو في أحاديث الرسول ﷺ ، ويظهر من خلال مناقشته لهذه القضية التي أقحمها على موضوع بحثه إقحامًا أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع ، ويسوق روايات من عنده تنسب إلى الرسول ﷺ قوله بأن صلاة الضحى بدعة موروثة ، وهذا كان سببًا واضحًا - فيما يزعم - لحيرة المتأخرين وترددهم في ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية [٢] .

(١) راجع الترجمة العربية لمقال « سميث ، في : مجلة الثقافة العالمية ، العدد ٤٤ ، الكويت ١٩٨٩م .

(٢) يعمل ديفيد كنج مديراً لمعهد تاريخ العلوم التابع لجامعة يوهان فولفجانج جوته في فرانكفورت . وقد قام منذ سنوات بفهرسة مقتنيات دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالفلك والرياضيات والميكانيكا والبصريات (٢٥٠٠مخطوط) ، ونشر أبحاثه في ثلاثة مجلدات ، يعرض كل منها نفس المخطوطات (٢٥٠٠) من خلال منظورات مختلفة . ومقاله المذكور « العلم في خدمة الدين » منشور في مجلة : Impact of Science on Society . UNESCO . No. 159.245-262 (1990).

إن مثل هذه المواقف المتحيزة بدرجات متفاوتة للعلم الغربي ، بل لكل ما هو غربي ، على حساب الإنجازات الحضارية للأمم الأخرى بصورة عامة ، والأمة العربية الإسلامية بوجه خاص ، ومثل هذه الدعاوى والافتراءات الموجهة ضد الإسلام ، والمشككة في قدرات العقلية العربية الإسلامية وأصالة الفكر العلمي الإسلامي ، والمشوهة لحقائق التاريخ والعلم على حد سواء ، هو الذي يدعونا دائمًا إلى البحث في كنوز التراث لتأصيل ثقافتنا الإسلامية وإعادة صياغتها بما يلائم إيقاعات العصر ، وتوقعات المستقبل ، وذلك في إطار الإلمام الواعي بكل الخصائص والقسمات الحضارية التي تخصنا وتميزنا عن الآخرين .

من ناحية أخرى يجب أن نثني في جميع الأحوال على ما يبديه الباحثون الغربيون من اهتمام متزايد بالتراث العلمي عند العرب والمسلمين ، وعلى تفوقهم بالنسبة لما لديهم من معاهد وأقسام علمية ودوريات متخصصة في هذا المجال ، مقارنة بما هو موجود في العالم العربي والإسلامي ، الأمر الذي يفرض علينا مضاعفة الجهود للحاق بركبهم ومشاركتهم في كتابة ما يخصنا من تاريخ العلم والحضارة .

ولا بأس هنا من الإشارة إلى نموذج جديد بأن يحتذى بالنسبة لفروع العلم المختلفة ، فقد استطاع كل من الدكتور محمد ظافر الوفائي والدكتور محمد رواس قلعجي أن ينجزا تحقيق ونشر كل ما كتب عن طب العيون (علم الكحالة) في الحقبة الإسلامية ، استكمالاً لما بدأه « ماكس مايرهوف » محقق كتاب « العشر مقالات في العين » لمؤلفه حنين بن إسحاق (طبع في القاهرة عام ١٩٢٨) ، «وهيرشبيرج» الذي نشر عام ١٩٢٥م مقتطفات من بعض المخطوطات العربية (نور العيون وجامع الفنون ، الكافي في الكحل ، المنتخب في علم العين) ، والدكتورين مصطفى شريف العاني وحازم البكري الصديقي اللذين حققا كتاب « نهاية الأفكار

ونزهة الأبصار » لمؤلفه : عبدالله بن قاسم الحريري الإشبيلي البغدادي (نشر في بغداد عام ١٩٧٩) [1] .

التراث العلمي العربي زاد للحاضر والمستقبل :

إن الفوائد التي نجنيها من تحقيق تراثنا العلمي ودراسته عديدة ومتنوعة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - إثراء المدخل التاريخي في تدريس العلوم ، وتنمية الحس النقدي والثقة بالنفس لدى الناشئة ، والوقوف على طبيعة التطور العلمي ومنهجية البحث والتفكير في العلوم المختلفة .

٢ - كشف حالات الغش الفكري والقرصنة العلمية من قبل بعض المؤرخين والنقلة والمستشرقين في حق تراثنا العربي والإسلامي .

٣ - التأصيل الجيد لمختلف فروع العلم المعاصر (البصريات - الصوتيات - الوراثة - البيئة - الشفرة - الجيولوجيا - الفلك . . . إلى آخره) .

٤ - الكشف عن المزيد من النظريات والاختراعات المتقدمة في التراث

(١) تضم قائمة تحقيقات الوفائي وقلعجي الكتب التالية :
نور العيون وجامع الفنون لصلاح الدين الحموي - المهذب في الكحل المجرب لابن النفيس- الكافي في الكحل لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي - المرشد في طب العين لمحمد بن أسلم الغافقي الأندلسي - البصر والبصيرة لثابت بن قرة الحراني - المنتخب في علم العين وعلاجاتها لعمار بن علي الموصلي - تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها لعلي بن إبراهيم ابن بختيشوع الكفرطابي - كشف الرين في أحوال العين لابن الأكفاني - أمراض العين وعلاجاتها لابن سينا - أمراض العين وعلاجاتهامن كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن عباس الأهوازي - نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر لأبي العباس أحمد بن عثمان القيسي - أمراض العين وعلاجاتها من كتاب المعالجات البقراطية لأحمد بن محمد الطبري - أمراض العين وعلاجاتها من كتاب فردوس الحكمة ، لعلي بن سهل بن الطبري . (من محاضرة للدكتور محمد ظافر الوفائي في مؤتمر مؤسسة الفرقان الرابع عن « تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي - لندن) .

الإسلامي ، ونسوق مثالاً على ذلك : قوانين الحركة والجاذبية التي اكتشفها ابن ملكا البغدادي والحسن الهمداني قبل نيوتن بعدة قرون .

يقول ابن ملكا البغدادي في كتاب « المعتبر في الحكمة » معبراً عن تناسب القوة مع تصارع الحركة : « القوة الأشد تحرك أسرع وفي زمان أقصر » . ويقول معبراً عن قانون الفعل ورد الفعل : « إن الحلقة المتجاذبة بين المصارعين لكل واحد من المتجاذبين في جذبهما قوة مقاومة لقوة الآخر ، وليس إذا غلب أحدهما فجذبها نحوه تكون قد خلت من قوة جذب الآخر ، بل تلك القوة موجودة مقهورة ، ولولاها لما احتاج الآخر إلى كل ذلك الجذب » .

ويقول الهمداني عن الجاذبية الأرضية ، في كتاب الجوهرتين : « . . فهي (أي الأرض) بمنزلة حجر المغناطيس الذي تجذب قواه الحديد من كل جانب » .

وهنا لا ينبغي التعامل مع هذه النصوص التراثية دون اعتبار لفارق الزمن ، فليس من قبيل المبالغة - كما يقول سبايسر ودي جراف - القول بأن نحو ١٢ طالبًا فقط هم الذين قرأوا واستوعبوا كتاب « برنسيبيا » الذي : وضعه نيوتن عام ١٦٧٨م خلال الخمسين عامًا التالية لنشره ، وأن عددًا قليلاً قد درسوه خلال قرنين ونصف بعد ذلك . .

ويرجع ذلك إلى الصعوبة البالغة للموضوع وغموض اللغة التي كتب بها . بل إن المعادلات الشهيرة المنسوبة إلى نيوتن داخل الكتب لا توجد بالصورة التي تعرف بها اليوم ، وإنما وضعت في صورتها المألوفة لدينا عام ١٧٥٠م فقط ، على يد العالم «أويلر » ، فالكتاب لا يحتوي إلا على عدد قليل جداً من الصياغات الدقيقة ، ويقصر نيوتن دراسته فيه على منظومات ذات كتل نقطية ويتناول الأجسام الصلبة تناولا طفيفاً ولا يتطرف مطلقًا للأجسام المرنة [1] .

(١) د. سبايسر وب . راديليه دي جراف ، نشر الأعمال الكاملة لعظماء العلماء مسئولية دولية . مجلة العلم والمجتمع ، ع ٨٢/ ١٦٠ ، اليونسكو ١٩٩١ .

وإن شئنا مثالاً آخر ، فقد أبرز ديفيد كنج أن رسالة السلطان الأشرف اليمني (ت١٢٩٦م) تحتوي على أول إشارة مبكرة في المصادر الفلكية البسيطة إلى بُوصلة مغناطيسية ، وذلك على الرغم من أن السلطان لم ينسب هذا الابتكار لنفسه . وقد ألحقت بهذه الرسالة إجازتان من أستاذي السلطان تشهدان له بصحة ستة أسطرلابات صنعها الأشرف بنفسه . ويوجد أحد هذه الأسطرلابات حاليًا في متحف «متوربوليتان » للفنون في نيويورك ، وبالرغم من مدى أصالته كان مدار تساؤل قبل نشر فهارس (ديفيد كنج) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ديفيد كنج نشر في عام ١٩٨٣ مجلدًا عن « علم الفلك في اليمن الوسيط » ، استعرض فيه أكثر من مائة مخطوطة فلكية يمنية محفوظة في مكتبات أوربا والشرق الأوسط ، وقدم قائمة بأكثر من خمسين فلكيًا ، يمنيًا مع مؤلفاتهم ، بعد أن عرض تاريخ علم الفلك في اليمن من القرن العاشر إلى أوائل القرن العشرين ، كما تضمن الكتاب مؤلفين في الحساب ، والمساحة ، والمعضلات المتعلقة بتحديد أنصبة الميراث .

٥ - يمكن توظيف نصوص جيدة من التراث العلمي العربي في أغراض التأصيل لمناهج البحث العلمي ونظريات فلسفة العلم المعاصرة . ويكفي أن نشير هنا على سبيل المثال إلى ما ذكره ابن الهيثم في مقدمة كتابه « المناظر » عن المنهج العلمي ومقارنته بآراء فرنسيس بيكون وغيره ، وما ذكره في مقدمة كتابه « في الشكوك على بطليموس » ومقارنته بمبدأ التكذيب المنسوب إلى كارل بوبر . وهنا يجد الباحث في تراثنا العلمي مددًا متدفقًا ومتجددًا لدراسات مستقبلية في مجالات الفكر العلمي [1] .

(١) راجع لمزيد من التفصيل : - د. أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي : دار الهداية ، القاهرة ١٩٩٧م .

- د. سهام النويهي : أحمد فؤاد باشا والمنظور الإسلامي لفلسفة العلم ، مجلة المسلم المعاصر ، ع ٩٢، ١٩٩٩ .

٦ - تتضمن مخطوطات العلوم إفادات مباشرة وغير مباشرة تغني مؤرخي الحضارة . مثال ذلك أن كتاب أبي الوفاء البوزجاني في المنازل السبع ، تضمن أدق البيانات عن الضرائب ونظام الخراج وأعطيات العســاكر ، مما يعـد إضـافة فريدة لا توجد في غيره ، وأن كتاب « التيسير في صناعة التدبير » لابن زَهْر الإشبيلي ، اشتمل على تفاصيل مهمة عن الصراعات الداخلية والدسائس في أسرة دولة المرابطين بالمغرب ، وهو كتاب طب لا يقصده الباحث عادة لمثل هذه الإفادات[1] .

٧ - يمكن الإفادة من التراث العلمي العربي في ميادين تطبيقية عديدة ، نذكر منها[2] :

(أ) بفضل المعلومات الجيولوجية والتعدينية التي تضمنها كتاب «الجوهرتين» للهمداني ، اهتدت بعثة المسح الجيوفيزيائي لمعرفة موارد اليمن المعدنية والبترولية إلى اكتشاف العديد من المناجم المهمة التي تحتوي على خامات الزنك والحديد والرصاص ، إلى جانب الفضة ، بكميات تجارية .

(١) إبراهيم شبوح ، لماذا التراث ؟ مؤتمر الفرقان : « تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي » ، لندن ١٩٩٧ .

(٢) راجع في ذلك :
- لطف الله قاري ، تراثنا العلمي والحياة المعاصرة ، مجلة الفيصل ، ع ٢٢٧ ، أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٩ .
- د. أحمد فؤاد باشا ، فصل المقال في ظاهرة الزلزال ، كتاب مجلة الأزهر ، القاهرة ، رجب ١٤١٣هـ .
- د. أحمد فؤاد باشا ، الإسلام والعلم والعولمة ، كتاب الجمهورية ، دار التحرير للنشر ، القاهرة ١٩٩٩م .
- شيربي وواد سورث ، الفولاذ الدمشقي ، مجلة العلوم ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، يناير ١٩٨٦ .
- فلوريال سناجوستان ، اتجاهات حالية في الطب العربي التقليدي ، مجلة تاريخ العلوم العربية ، نشر جامعة حلب ، سوريا ، المجلد ٨ ، ١٩٨٤ .
- محمد نذير سنكري ، الأسماء العربية للنبات ، أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ، الذي عقد عام ١٩٨١ م ، نشر جامعة حلب ١٩٨٣م .

(ب) كتب باحث غربي عن الفولاذ الدمشقي أنه أكثر أنواع الفولاذ صلابة ، وسرد تاريخ دراسته من جانب الأوربيين ، وأشار إلى أهميته في الصناعات الحديثة .

(ج) جاء في عدد من الكتب التراثية وصف دقيق للهزات الزلزالية التي تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية ، منها :

كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، وكتاب « بدائع الزهور ووقائع الدهور » لابن إياس ، وكتاب « كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة » لجلال الدين السيوطي ، وغيرها . ولا شك أن مثل هذه المؤلفات التراثية تعد بمثابة سجلات زلزالية موثقة ، على أساس من الملاحظة والتجريب . والاسترشاد بما جاء فيها عن كل ما يتعلق بظاهرة الزلزال ، وتواريخ حدوثها ، ودرجات تأثيرها في المنطقة العربية والإسلامية خلال القرون الماضية ، يعد ضرورة منهجية ومعرفية لأي دراسات معاصرة أو مستقبلية تتعلق بخرائط التوزيع الزلزالي وتوقعات حدوث الزلزال في منطقة ما ، خاصة بعد ما ظهر حديثًا ما يشير إلى أن أجزاء كثيرة من الأرض العربية والإسلامية لم تعد بعيدة تمامًا عن « الأحزمة » النشطة زلزاليًا في أماكن محددة من العالم .

(د) يزخر التراث الإسلامي بالعديد من المؤلفات في مجالات علوم النبات والحيوان والعلوم الزراعية وعلم الرعي والمراعي ، نذكر منها :

كتاب « النبات » للدينوري ، وكتاب « جامع فوائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة » لرضي الدين بن محمد الغزي ، وكتاب « الفلاحة النبطية » لأبي بكر أحمد بن وحشية ، وكتاب «الفلاحة الأندلسية » لأبي زكريا محمد بن العوام الإشبيلي . وقد ترجم هذا الكتاب الأخير في القرن الماضي إلى الإسبانية والفرنسية ، وقال عنه « أنطوان باسي» في تقرير قدمه سنة ١٨٥٩م إلى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية : إنه موسوعة زراعية تامة تفرد بها القرن الثاني عشر الميلادي . وقال عنه مؤرخ الحضارة « وول ديورانت » : إنه أكمل بحث في علم الزراعة ألف في القرون الوسطى برمتها .

ويمكن الإفادة من هذه المؤلفات التراثية حاضراً ومستقبلاً في تحديد العوامل الأكثر أثراً في زحف الملوحة والجفاف على مناطق عديدة من الأرض العربية والإسلامية التي تعجز الآن عن تلبية احتياجات أهلها ، بعد أن كانت تجذب في عصور الازدهار الإسلامي كل الأوربيين بجمالها وخيراتها . ويبقى على المهتمين والمختصين أن يدرسوا أنواع النبات بهذه المناطق ، وكيفية نموها والعناية بها وبيئاتها .

والأسماء العربية للنباتات كثيرة في التراث العلمي الزراعي ، وتحتاج من المحققين العرب الهمة والدأب للكشف عن كنوز علمية وتعريبية في غاية الأهمية للأجيال العربية القادمة .

٥ - توجد مؤلفات تراثية عديدة يمكن الإفادة منها في مجال طب الأعشاب ، الذي برع فيه علماء السلف ولا يزال معتمداً في أكثر الدول ، فقد أنشأت الهند والصين وباكستان معاهد وكليات لتدريسه ، وتجرى فيه بحوث تطبيقية في أكثر من مؤسسة بمصر والمملكة العربية السعودية ، ويدعو بعض الباحثين الغربيين إلى إحياء تدريس الطب العربي وإنشاء اللوائح والأنظمة الضابطة للأطباء والصيادلة الممارسين له .

ومن الملاحظ أن علماء أوربا وأمريكا بدأوا يعيدون قراءة هذه المؤلفات التراثية، بعد أن قلّ الاهتمام بها لفترة أمام التطور العلمي والتقني ، وشرعوا في إجراء التجارب على الوصفات الشعبية التي وردت فيها ، في محاولة للكشف عن أدوية جديدة للأمراض .

وفي السنوات الأخيرة زاد اهتمام شركات الأدوية في ألمانيا والدنمرك وهولندا وإيطاليا وأمريكا بهذا الموضوع ، وطلبوا من مصر وبعض دول المشرق شراء بعض النباتات ، مثل ورق السكران لتصنيع البنج الموضعي ، وبذور الخلة لاستخلاص أدوية القلب ، وبذور البقدونس لعلاج احتباس البول ، وبذور الرجلة لعلاج الأرق ، وغيرها .

وإذا علمنا أن هناك كثيرا من الأمراض لا تزال تنتظر تطوير العلاج اللازم لها ، وأن العلماء يبحثون في كل مكان ، في أعماق الغابات وقيعان المحيطات ، عن أعشاب تخلص البشرية من الأمراض الصعبة ، وأن كتب التراث لا تزال كنزاً لم تصل إليه أيدي الباحثين - أدركنا أهمية هذا التراث في عصرنا هذا ، وتزايد حاجتنا إليه في المستقبل .

(و) يهتم الباحثون المعاصرون بدراسة الأساس العلمي للتصميمات الهندسية التي قامت عليها تقنية العقود والقباب بأشكالها المختلفة وزخارفها المتنوعة ، وذلك لإظهار قيمتها الجمالية الفائقة من جهة ، ولإرشاد المعنيين برعاية الآثار قبل الشروع في أعمال الترميم والصيانة وإعادة البناء والتركيب والزخرفة ، من جهة أخـــرى .

ونشير هنا إلى أهمية الأبحاث التي تجرى حالياً حول هندسة العمارة الإسلامية في معهد أمير ويلز للآثار بلندن[١] . أيضا يقوم العديد من الباحثين بتطبيق ما ورد في كتب التراث العلمي باستخدام الحاسب الآلي ، وخرجوا بنتائج بالغة الطرافة والدقة والنفاسة . ومن ذلك أن أكثر من باحث استعمل الصيغ الرياضية التي وردت في كتاب « مفتاح الحاسب » لجمشيد الكاشي حول تصميم القبة والمقرنص والأزج أو الطاق ، وأدخل تلك الصيغ في الحاسب الآلي لاستخراج تصاميم حديثة في العمارة الإسلامية [٢] .

(١) راجع في ذلك :

- Kh Azzam and K. Critchlow , Astudy in the Geometry of the Arch in Islamic Architeciture, the prynce of Waless Institute of Architecture, london, 1997

- P. M arcfant, unit in Pattern, Astudy Guide in Traditional Geometry, The Prince of W ales,s Institute of Architectre , London 1997.

(٢) راجع في ذلك علي سبيل المثال :

- Y . Bold, Practical Arabic Mathematice , Measuring the Mugarnas By AL - Kashi , Centaurus , Vol. 35 , PP. 193 - 242 , 1992 .

(ز) كتب التراث العلمي والتقني تفيد كثيرًا في مجال التربية والتعليم ، لتدريب الطلاب على إعادة تركيب بعض الأجهزة والآلات البسيطة . فقد كان المهندسون والتقنيون في عصر الحضارة العربية الإسلامية يتبعون منهجًا علميًا رائدًا في كل أعمالهم ؛ ويبدأون في الحالات الصعبة برسم مخططات ، ثم يصنعون نموذجًا مصغرًا لما ينوون تنفيذه . وقد أعاد الفنيون المحدثون بناء العديد من التركيبات والآلات تبعًا للشروح التي قدمها التقنيون الإسلاميون في مؤلفاتهم ؛ مثل « كتاب الحيل » لبني موسى بن شاكر ، وكتاب « الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل » لبديع الزمان الجزري ، وكتاب « الطرق السنية في الآلات الروحانية » لتقي الدين بن معروف الدمشقي ، وكتاب « الأسرار في نتائج الأفكار » لأحمد بن خلف المرادي .

الشيء نفسه يصدق على الآلات والأجهزة والأدوات العلمية والفلكية التي طورها علماء الحضارة العربية الإسلامية . ومثل هذه الأعمال تفيد كثيرًا في الأغراض التعليمية ، كما تفيد لمعارض ومتاحف العلوم . وقد قام أكثر من باحث بتحديث التعامل مع المعلومات التراثية ، لاستخراج أوقات الصلوات ، وتحديد المناسبات الإسلامية المهمة من الصيغ الرياضية المقتبسة من كتب التراث ، وأمكن الاستعانة بالحاسب الآلي لوضع جداول حديثة لكل المدن في العالم ، في كل أيام السنة الشمسية[1] . ونجد في عصرنا جهازًا شبيهًا بالأسطرلاب الخطي ، هو المسطرة الحاسبة الزلاقة Slide Rule ، التي كانت الآلة الحاسبة الأحدث ، المعتمدة في الأبحاث العلمية قبل نحو خمسة وعشرين عامًا ، عندما انتشرت الآلات الحاسبة الإلكترونية (أجهزة الكومبيوتر) .

(1) - M. Ilyas, Astronomy of Islamic Time for the 2 its Century, Mansell Publishing Ltd . London , 1989 .

خاتمة :

حاولنا في هذه الدراسة المتواضعة أن نجيب بإيجاز شديد على السؤال المطروح بشأن جدوى العمل التراثي وما يمكن أن يقدمه التراث العلمي من فوائد للأمة في الحاضر والمستقبل . ومن عجب أن نجد أنفسنا مطالبين باتخاذ موقف المدافع عن التراث والبحث عن أدلة مقنعة تؤكد أهميته ومكانته في حياتنا المعاصرة والآتية ، في الوقت الذي نجد فيه أناسًا زالت حضارتهم واندثرت على مر العصور ، وغدت لغتهم أغرب من أن يتكلمها حتى المنتمون إليها ، ومع ذلك فلا يزالون يعتزون ويفخرون بما يسمونه « حضارتهم » ، مع أنهم لم يقدموا للإنسانية إلا المآسي تعقبها المآسي .

إذا كنا مدركين لأهمية تراثنا ولا نعمل على رعايته والإفادة منه في حاضرنا ومستقبلنا ، فتلك مصيبة ، وإذا كنا غير مدركين لذلك ، فالمصيبة أعظم !

* * *



موقع تراثنا العلمي وإشكالاته

د. فيصل الحفيان

هذا بحث أشبه ما يكون بمجموعة من الملاحظات والآراء التي قادني إليها التأمل في المسألة التراثية بعامة ، ومسألة التراث العلمي بخاصة . ولا شك أن هذه الملاحظات أو الآراء محتملة ، تقرب أو تبعد عن الصواب ، لكنها في النهاية محاولة صادقة وجادة تستند إلى غيرة على هذا التراث وإيمان به .

هذه الملاحظات تركز على قضيتين في غاية الأهمية :

أولاهما : موقع المخطوطة العلمية على الخارطة التراثية ، مع العلم بأن هذه الخارطة من نسختين : إحداهما للتراث المخطوط ، والثانية للتراث المطبوع . ولكل من النسختين تضاريس وحدود . ويحتاج التعرف على موقع المخطوطة العلمية ، على كل منهما إلى مجموعة متشابكة من النظرات العميقة والرؤى النافذة القائمة على تركيبة من الحقائق والبيانات الصادقة .

وثانيتهما : وتعد امتداداً للأولى وتعميقاً لها ، ونطرح من خلالها تساؤلات ترمي إلى أن نلمس بدقة وموضوعية الإشكالات الخاصة التي يعاني منها التراث العلمي العربي . وسنضع هذه الإشكالات في إطار الإشكالات العامة التي يعاني منها التراث العربي في مجمله ، وذلك بهدف توضيح الصورة ، وإلقاء أضواء قوية كاشفة ، تعري الحقائق وتكشف تفاصيلها .

* * *

« قضية تراثنا تتسع أبعادها زماناً ، وتستوعب الماضي والحاضر والمستقبل ، كما ترحب مكاناً ، وتتجاوز حدود وطننا العربي إلى العالم الإسلامي الكبير ، ثم إنها في جوهرها قضية وجود ومصير ربما تكشف عن حقيقة ذاتنا وطاقتنا ، تضيء لنا معالم وآفاق الطموح (١) .

---

(١) تراثنا بين ماضٍ وحاضر ، د. عائشة عبد الرحمن ، ط٢ . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩١ . ص٧ .

تلك كلمة قالتها الراحلة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، وهي كلمة حللت التراث إلى عناصره الأساسية : الزمان والمكان وتحقيق الذات :

الزمان على إطلاقه ، فالتراث ليس شيئاً من الماضي ، لكنه لازم للحاضر ، عدة للمستقبل .

والمكان ، وهو بالنسبة لتراثنا رحب ، وقد رأته - رحمها الله - متجاوزاً الوطن العربي الإسلامي . وأُراه يتجاوز هاتين الدائرتين ، ويرحب أكثر لينداح في كل مكان ، فالمخطوطات العربية في مكتبات العالم كله .

أما تحقيق الذات فالتراث الذي يكشف حقائقها ، ويزودنا بالقدرة ، ويضيء لنا الطريق .

والتراث لا يقتصر على علوم اللغة والدين والفلسفة وما يتصل بذلك ، فهذا فهم قاصر ، إن التراث يشمل أيضاً ما تركه الأوائل من علوم : طب وهندسة وفلك ونجوم ورياضة وجبر وكيمياء . . . إلخ .

- ١ -

الخارطة الخطية :

يقدر العارفون بعالم المخطوطات عدد المخطوطات في العالم داخل الوطن العربي وخارجه بما لا يقل عن ثلاثة ملايين ، ويرتفع بعضهم بالرقم إلى خمسة ملايين . هذا الرقم يشمل التراث العربي المخطوط عامة ، العلمي منه ، وغير العلمي .

غنى الكم :

وتصل نسبة التراث العلمي خاصة إلى ٢٠٪ ، وإذا ما حولنا هذه النسبة إلى رقم ، فإن هذا الرقم سيتراوح بين ٦٠٠ ألف ، ومليون مخطوطة علمية ، على أن تراثنا - كما هو معلوم - تراث موسوعي تتداخل فيه العلوم والمعارف تداخلاً

عجيبًا ، وتنعدم فية الحواجز ، وتختفي الحدود الفاصلة ، فنجد في ثنايا كتاب أدبي طبًا ، وفي كتاب طبي أدباً وشعراً ، وقسْ على هذا . ولو غضضنا النظر عن الأرقام العامة ونسبها ، وربطنا بين الأرقام والعلوم التي تتناولها فسنجد مثلاً أن مكتبة العزيز بالله الفاطمي كان فيها ٦٥٠٠ كتاب في النجوم والهندسة والفلسفة [١] ، وأنه كان فيها خرائط جغرافية وأجهزة علمية هندسية وفلكية مما اخترعه علماء الدولة الإسلامية [٢] .

غنى الكيف :

هل يقابل الغنى في الكم غنى في نوع هذا التراث وفي ما يقوله ؟ إن الإجابة على هذا السؤال موضع خُلف كبير ، ونؤجل القول في هذا الخلف قليلاً ، على أساس أن التفصيل سيكون في موطنه حيث الإشكالات التي يعاني منها التراث . وأحسب أن غنى هذا التراث ، تراثنا العلمي العربي ، لا ينبغي أن يكون موضع خلف أصلاً ، وكيف يكون ، وقد تجاوز ما وصل إليه اليونان والفرس والهند في مجالات عديدة ؟ وكيف يكون وقد قامت الحضارة الأوربية الحديثة - التي نعيشها- عليه ؟ بعد أن انتقل عبر الدردنيل والبحر الأسود وقزوين وصقلية وإسبانيا ، كما هو معروف . تقول د . بنت الشاطئ : « يشهد مؤرخو الحضارة الغربيون من أمثال ولز ، ولوبون ، ودي بور ، وكراتشكوفسكي بأن الفكر الإسلامي هو الذي قدم إلى الغرب شعاع النور الذي أضاء مَسراه إلى عصر النهضة الحديثة » [٣] .

وليس معنى هذا أنه كله إضافات وإبداعات ، ففي مثل هذا القول تجاوز ، على أننا لسنا بدعاً في ذلك ، فكل الأمم المتقدمة التي خلفت تراثاً ، نجد فيه السمين والغث ، وتلك طبيعة الحياة العامة ، لا العلم وحده ، ولكن المهم أن تكون هناك

(١) تراثنا بين ماض وحاضر ، ص٢٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص٢٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

إضافات وإبداعات وإنجازات تستحق الاحترام ، ويكون لها دور في مسيرة العلم التالية .

غنى التنوع :

هذه النقطة الثالثة مهمة للغاية ، فالتراث العلمي العربي ليس غنيًّا في الكم والكيف فحسب ، بل هو غني في تنوعه أيضاً ، فقد تناول العرب بالبحث مختلف العلوم ؛ الطب والعقاقير والنبات والهندسة والجبر والفلك والجغرافيا وعلوم الأرض ، والكيمياء وغير ذلك . وهذه مناسبة لأشير إلى أنهم ألفوا في تلوث الهواء والماء ، قضية الساعة التي يشغل بها العالم الآن ، فقد صنف محمد بن أحمد التميمي المقدسي ، وهو من رجال القرن الرابع الهجري كتاباً أسماه « مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء » ، أليست مجرد العناية بموضوع كهذا ، وإفراده بالتصنيف مسألة تلفت النظر بقوة ، بغض النظر عن محتوى هذا الكتاب ؟

وثمة كتاب آخر يكشف أيضاً عن هذا التنوع المعرفي في تراثنا العلمي ، هذا الكتاب هو « إنباط المياه الخفية » ، الذي نشره معهد المخطوطات العربية عام ١٩٩٧ ، ومنحه جائزته في تحقيق التراث في دورتها الأولى . إن الكتاب المذكور يعرض لمسألة كيفية استخراج المياه الجوفية وما يتصل بذلك من حفر القُني ، ومعرفة أماكن الماء ، ومسائل علمية دقيقة تتصل بهذا الموضوع الحيوي .

هذان كتابان شاهدا صدق على مقولة التنوع التي قلت بها ، وثمة مئات ، بل هناك آلاف الكتب الأخرى التي لا تقل دلالة ولا أهمية عنهما .

وفي البعثة الأخيرة التي أوفدها المعهد إلى المملكة المغربية ، وكان لي شرف القيام بها مع أحد الزملاء ، اطلعت على مئات المخطوطات في العلوم المختلفة ، واستوقفتني موضوعات طريفة ربط فيها مؤلفوها بين الطب والزمن مثلاً ، ولمسوا

العلاقة بين الصحة والفصول المختلفة ، مثل : « الوصول إلى حفظ الصحة في الفصول » . والتفتوا إلى طب الأطفال فثمة كتاب رأيته في الخزانة الحسنية ، عنوانه « كتاب في الأغذية وحفظ الصحة وتدبير الأطفال » . وقس على ذلك .

- ٢ -

الخارطة المطبوعة :

تلك نظرة سريعة على تراثنا العلمي مخطوطاً ، فماذا عنه مطبوعاً ؟ قد يكون إيراد هذا السؤال من قبيل الفضول ، ذلك أن تراثنا الإنساني لا يزال مجهولاً ، وما نشر منه لا يمثل سوى جزء قليل منه ، وما نشر منه محققاً أقل من ذلك القليل ، وما درس منه بعناية أقل من أقل ذلك القليل ، فما بالنا بتراثنا العلمي الذي لا يزال يبحث عن الاعتراف به ؟ ! إن المكتبة العربية لا تحتاج سوى نظرة لندرك دون لأي أن « كَمّ » التراث العلمي المنشور مقارناً بـ « كم » التراث العلمي المخطوط من ناحية ، و « كم » التراث في جانبه الآخر « الإنساني » المنشور من ناحية أخرى ، لا يكاد يذكر .

- ٣ -

إشكالات تراثنا العلمي :

بعد أن عرفنا ملامح خارطتي التراث العلمي المخطوطة ، والمطبوعة ، وهي ملامح - كما اتضح - لا تسر ، دعونا ندخل في قضية الإشكالات التي يعاني منها هذا التراث ، وهي إشكالات خطيرة .

ولعل أول هذه الإشكالات ما سلف الإلماح إليه من أن هذا التراث غير معترف به ، ليس من غرمائه فحسب ، بل من بنيه وأهله وهذه مفارقة عجيبة ؛ فأن يكون غير معترف به من غرمائه أمر مقبول ، أما أن يكون الإنكار بين بنيه وأهله فهذا أمر عجب ! ولكن لا علينا ، فالمسألة حلَّها ابن خلدون عالم الاجتماع ، أو عالم

العمران ، قبل مئات السنين عندما قال بقاعدته الذهبية : « المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب » . ونحن اليوم مغلوبون ، والمغلوب يردد بإعجاب ما يقوله الغالب حتى لو كان طعنًا فيه أو سبًّا له وإنكاراً لقدراته وإمكاناته .

تراثنا العلمي في أزمة مركبة ، أزمة أعمق وأكثر حدة وخطراً من تلك التي يعاني منها تراثنا الإنساني ، لأن هذا الأخير لا يزال يجد الكثير من المتمسكين به ، المؤمنين بقيمته ، المنافحين عنه ، في حين إن الأول في رأي الجميع ، باستثناء حفنة قليلة ، قد تجاوزه الزمن ، ولم يعُد له مكان في عصر العلم الحديث .

الإشكال الثاني ، هو أننا نعاني من فراغ كبير في معرفة هذا التراث ، وضمير الجمع في « أننا » يشمل : مراكز التراث ومؤسساته ، والجامعات والكليات العلمية ، والأفراد والجماعات . فتراثنا هذا منكمش في زوايا النسيان ، المخطوط منه مهدد بالحشرات والأرضة وعوامل الطبيعة ، والمطبوع - على قلته - ليس أكثر من أوراق ننظر إليها بكثير من الاستهانة والازدراء . نحن ، باختصار شديد ، معزولون عن هذا التراث بأيدينا ، أو بأيد أخرى ؛ ظاهرة وخفية ، من ناحية . وهو نفسه معزول عن الإسهام في بناء حاضرنا ، ومن ثم غائب عن رؤيتنا للمستقبل ، من ناحية أخرى .

أما الإشكال الثالث ، فيتمثل في أن تراثنا العلمي يعيش حتى اليوم دون كفالة منظمة ، فالعمل فيه ، ومن أجله ، لا يتجاوز المبادرات الفردية التي يتسم معظمها بالطابع الفردي والارتجالي . هذا إذا استثنينا عربيًّا معهد التراث العلمي العربي ، التابع لجامعة حلب ، بوصفه تجربة مستقلة ، ومعهد المخطوطات العربية بوصفه إسهاماً رفيعاً في إطار خدمته للتراث عامة . ويضاف إليهما مركز إحياء التراث العلمي في بغداد ، الذي يقوم بدور طيب في نشر هذا التراث والتعريف به ودرسه .

ولنا أن نتصور حجم الإهمال الذي يعانيه هذا التراث إذا ذكَّرنا بأن أكبر بلد عربية « مصر » لم ينشأ فيها مركز إلا مؤخراً ، وهو مركز في إطار كلية العلوم - جامعة القاهرة ، اقتصر نشاطه حتى الآن على عقد الندوات .

الإشكال الرابع ، أن العمل لخدمة التراث العلمي العربي في بلادنا داخل في إطار التراث عامة . وأحسب أن الوقت قد حان للالتفات إليه بوصفه نوعاً من التراث ذا خصوصية في فهرسته ، وتحقيقه ، وقراءته ، ودرسه . هذه الخصوصية تفرض أن نُعنى به ، وننتدب له مراكز مستقلة ، ودوائر متفرغة . وبذلك يمكن أن نزرع الإيمان به ، ونسرع في الإفادة منه .

- ٤ -

مناقشة وتعليق :

تلك هي الإشكالات الرئيسة التي يعاني منها تراثنا العلمي ، وأحسب أن ثمة إشكالات أخرى قد لا تقل عنها أهمية ، نضرب في هذا العجالة صفحاً عنها ، لنقول معلقين على الإشكالات التي سلفت :

إن الإشكالات الأربعة تؤكد باختصار شديد أننا بداية لا نعترف بتراثنا ، وأننا نجهله ، ومن ثم نهمله . ثم تأتي المفارقة في أن الكثيرين من غرماء هذا التراث ، سواء كانوا من أبنائه أو من الغرباء عنه ، يصدرون أحكاماً عجيبة عليه ، وفيهم سوأتا عدم الاعتراف ، والجهل ، ويرفعون على الرغم من ذلك راية النظرة النقدية الفاحصة ، والحيدة العلمية ، والموضوعية . والسؤال : كيف يتأتى النقد ، ومن أين تأتي الحيدة في ظل ما ذكرنا ؟

أما ما يقوله الغرباء ، فليس بمستغرب ، وأما ما يقوله أبناء هذا التراث فإن مما يؤسف له أنه كثيراً ما يتجاوز في قسوته ما يقوله أولئك - إنهم يقولون :

أما إذا درسنا النظريات العلمية المعاصرة ، فإن الحديث عن العرب لن يشغل أكثر من سطر واحد من السطور التي تخصص للنظريات العلمية المعاصرة ، هل من المعقول أن تكون كتُب الطب عند العرب هي الكتب التي يدرسها طالب الطب الآن . . ويل للأمة العربية إذا تركت كتب الطب الحديثة وجعلت المقررات الدراسية متمثلة في تذكرة داوود والقانون والطب والحاوي[1] . . . إلخ .

(١) التراث العلمي العربي برؤية نقدية ، د. عاطف العراقي (بحث في ندوة التراث العلمي العربي ٢٢ - ٢٤/٦/٩٦ - المجلس الأعلى للثقافة - مصر) .

ويقولون . . ويقولون ، وهم في ذلك يرفعون - كما قلنا - راية التحليل والنقد الفاحص ، واللغة الأكاديمية ، ناعين على المؤمنين بتراثهم ، المدافعين عنه ، النبرة الخطابية العالية ، والحماسة الزائدة ، والمبالغة في الكلام عن تأثير السابقين في اللاحقين ، والإسراف في التغني بأمجاد الماضي ، والبكاء على الأطلال .

والحق أن ما ينعونه على غيرهم ، هو فيهم ، فهم يدافعون ، ولكن عن تراث غيرهم بنبرة خطابية عالية ، وحماس يحسدون عليه . . . ويتحدثون عن تأثير السابق في اللاحق ، لكن السابق هو الحضارات الأخرى السابقة على الحضارة العربية ، فقد سقطت هذه الأخيرة من ذاكرتهم .

أما الإسراف في التغني بالأمجاد والبكاء على الأطلال فيقابله تماماً الإسراف في التغني بأمجاد الآخرين واللهاث وراء القشور والمظاهر ، بعيداً عن اللباب والجوهر ، على أن المؤمنين بتراثهم عندما يدافعون ويتحمسون ويغنون ، يقومون في ذلك على أساس الانتماء ، أما الآخرون فيتنكرون وينخلعون . . . وثمة فارق كبير بين الموقفين !!

إن تراثنا بعامة ، والعلمي منه بخاصة ، مظلوم ، واقع بين مطرقة أبنائه وسندان غرمائه ، ولا شك أن هؤلاء وأولئك على افتراض حسن النوايا وسلامة القلوب غافلون عن قضيتين ، كل منهما أهم من الأخرى :

أما الأولى فهي : أن العلم تراكمي بطبعه ، وأن شيئاً لا يمكن أن يقوم على لا شيء ، وأن ما خلفه العرب في ميدان العلم ستظل له على نحو ما قيمة ، وسيبقى فيه شيء يؤخذ ويفاد منه ، يبنى عليه ويطور منه ، بل إن فكرة بسيطة فيه قد تهدي إلى فكرة مركبة .

يقول أحد المنصفين : « يشهد التاريخ أن العرب أجادوا في العلوم التطبيقية والتقنية ، كما أجادوا في العلوم الأساسية ، ولا ينكر المنصفون من كتّاب تاريخ العلوم والدارسين إفادته لتراث الإنسانية ، وأن إنجازات العرب والمسلمين كانت

وراء تقدم الحضارة الإنسانية ، ولولاها لتأخر التقدم العلمي الذي نشهده اليوم والذي تحمل لواءه الدول الأوروبية لمئات السنين »[1] .

وأما الثانية : فمُفادها أنه مع افتراض أن التراث العلمي العربي أصبح جزءاً من الماضي وليس فيه شيء ينفع الحاضر ، فإن معرفته نافعة للغاية في الاطلاع على حركة تطور العلم ، وإلا فلماذا ندرس التاريخ؟

العلم كائن حي ، ومعرفة مراحل نموه تفيد ، تعطي العظة ، وتعلم الربط بين الأسباب والنتائج ، وبذلك نتفادى المزالق ، ونتعلم من التجارب . إن الجهل بالمراحل التي مر بها هذا الكائن تؤدي إلى أن يستغلق علينا ، ومن ثم يتحول إلى لغز مستحيل الحل .

هاتان هما النقطتان اللتان يمكن أن تقالا في سياق مجاراة الخصم .

أما ما أقوله كمؤمن بهذا التراث ، غيور عليه ، فإنه أمر آخر :

إن تراثنا العلمي الذي قامت عليه نهضة الغرب الحديثة التي نعيشها اليوم ، هو نفسه ما زال صالحاً لأن نقيم عليه نهضة جديدة أعظم ، فنحن أقدر على فهم هذا التراث ، ودرسه ، والغوص فيه ، وحل دقائقه ، وإعادة اكتشافه . إنني أعتقد أن هذا التراث بحاجة إلى قراءة جيدة وإعادة اكتشاف ، ولا شك أن هذه القراءة الجديدة ستؤدي إلى نتائج أعظم مما نتصور .

ولا يعني ذلك أن نغفل أو نتغافل عن الحضارة الحديثة وما وصلت إليه ، فنحن لا نريد أن نجعل من كتاب « حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار » ، ولا أن نجعل « تحفة الأحباب في ماهية النباتات والأعشاب » مقررات كليات الصيدلة .

(١) كتابة تاريخ العلوم ، د. عبد الحكيم بدران (بحث في ندوة التراث العلمي العربي ٢٢ - ٢٤/٦/٩٦ - المجلس الأعلى للثقافة - مصر) .

نحن لا نقول بذلك ، كما يدعي أعداء هذا التراث من الذين انخلعوا من ذاتهم وفقدوا ملامحهم ، ولكننا نقول : إننا نعيش الحضارة الحديثة ونفيد من علومها ، وعيوننا في الوقت نفسه على تراثنا ، نعيد اكتشافه ، ونأخذ منه البذور الصالحة لنزرعها في أرض الحاضر ، فتخرج منها ثمار جديدة هي جزء منّا ، تحمل خصائصنا ، وتميزنا عن غيرنا .

وبذلك نستطيع أن نحقق غرضين :

أولهما المحافظة على ذاتنا . وثانيهما الإسهام في الحضارة الإنسانية إسهاماً ذا خصوصية وقيمة . ويقول د . محمد سليم العوا : « إن التراث هو الإبداع بعينه ، وثقافتنا لا تكون إبداعية إلا إذا استمدت من التراث ، فالأمة التي لا ماضي لها ، لا حاضر لها ، إلا إذا كان حاضرها مشوهاً » .

إن غرماء هذا التراث أصيبوا بعشًى غير الذي نعرفه في اللغة ، فلم يعودوا يرون إلا ليل الآخرين ، ومن ثم فإنهم في ما يبدو لم يدركوا حتى الآن أن تراث أي أمة هو هي ، وأن الانخلاع من هذا التراث يعني ببساطة الانتحار والذوبان في الآخر .

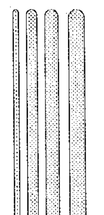
هذا كلام يصدق على التراث ، أي تراث ، والأمة أية أمة ، دون الدخول في تفصيلات تتصل بقيمة هذا التراث ، ومدى مشاركة الأمة وعطائها ، فما بالنا إذن بتراث في عظمة تراثنا ، وأمة كان لها دور لا ينكره إلا الحاقدون ، ولا يماري فيه إلا الجاحدون ؟ ! علماً بأنه لا يخفى أن هؤلاء الغرماء ليسوا من الذين بُهروا بالحضارة الغربية فحسب ، وإلا لرجونا أن يأتي يوم يخففوا فيه من غلوائهم ، ولكن معظم هؤلاء « جاء من خلفية لا تؤمن كثيراً بالأديان » [1] ، ومن ثم فإنهم لابد أن يرفضوا كل ما يرتبط بحضارة قامت على دين .

(١) كتابة تاريخ العلوم ، د. عبد الحكيم بدران (بحث سبقت الإشارة إليه) .

وبعد :

فإن التراث عامة إذا كان على تلك الدرجة العالية من الأهمية والخطورة في حياتنا كأمة ، فإنه اليوم أكثر أهمية وخطراً في ظل الرياح العاتية التي تحملها العولمة ، مهددة شخصيات الأمم بالذوبان واستقلالها ، وبخاصة الجانب الفكري والثقافي ، بالضياع ، فهل نصحو قبل أن يفوت الأوان ، وهل يرحم أولئك الذين يعادون هذا التراث أنفسهم أولاً ، وأهليهم ثانيًا ؟! نرجو ذلك .

* * *



تعقيبات ومداخلات

■ د. كمال عرفات نبهان :

أبدأ بالتحية لمعهد المخطوطات العربية على هذا الجهد العلمي الرائع ، وأتمنى للمسؤولين فيه التوفيق على الدوام ، وأعرب بداية عن سعادتي أن أكون معقبًا على كلمة أستاذنا الكريم د. أحمد فؤاد باشا ، الذي شرفت بمعرفته في مؤتمر مؤسسة الفرقان في لندن منذ عامين .

إن بحث د. باشا شديد الأهمية فهو يرسي مبادئ لعلاقاتنا بأنفسنا وبالآخر . ويؤسفني هنا أن أقول : إن هذه الأمة أمة جريحة ، فقدت الثقة بنفسها ، حتى إنها تبحث عن الاعتراف بها من الآخرين . إن أعيننا دائمًا على أية كلمة تصدر من أجنبي ، ونسعد كثيرًا إذا امتدحنا ، ونأسف كثيرًا إذا نقدنا !

وأعتقد أننا بحاجة ملحّة إلى استعادة الثقة بأنفسنا ، وأن نبحث في العلم بروح الاستقلال والاعتزاز بالنفس ، سواء كنا ندرس تاريخنا أم تاريخ غيرنا . فإذا كان هناك مستشرقون فيجب أن نكون نحن مستغربين ، ندرس الغرب بروح الباحث القوي المتمكن ، وندرس أنفسنا أيضًا قبل ذلك .

وإذا كان للتراث العلمي عند الأمم الأخرى أهمية ، فلماذا لا يكون للتراث العربي أهمية أيضًا ، أليس العرب قومًا عاشوا على وجه الأرض وأنجزوا وأبدعوا وأصابوا وأخطأوا ؟ إن الفكرة بحد ذاتها بسيطة ولا تحتاج إلى كثير من النقاش إلا إذا كنا نريد أن نقدم بأنفسنا أسوأ مثال لعلاقتنا بأنفسنا وبتاريخنا .

التراث عمومًا لأية أمّة ، سواء أكانت عربية أم صينية أم أمريكية أم إنجليزية ، هو جزء من الذاكرة الخارجية للإنسان ، ومن الخطأ المنهجي لأي باحث عربي

أو غير عربي أن ينكر جزءًا من هذا التراث ، هذا خطأ يعود على نفسه ، ولا يعود علينا نحن ، فنحن لسنا مسؤولين عن أخطاء منهجية يرتكبها باحثون سقطوا أحيانًا نتيجة عثرات التعصب ، أو عثرات العُقَد التاريخية التي تحكم الباحثين عندما يدرسون أمّة من الأمم .

أما اتجاه الإنكار ، إنكار بعضنا لتراثنا ، فأعتقد أنه أمر طبيعي ، لأنه يجب جدليًا أن يكون بيننا من يؤيد ومن يعارض ، بل إني أعتقد أن من يعارض يستحث فينا القدرة على البحث .

كما أعتقد أن من ينكر التراث ، ويطالب بقتله لا يعني التراث العلمي ، هذا العطاء العظيم لعلمائنا ، وإنما يعني ما هو سيئ في تاريخنا وتراثنا ، لأن كل تراث على وجه الأرض يحتوي على ما هو جيد وما هو سيئ ، وسنعود إلى هذه النقطة لاحقًا .

أود أن أناقش نقطة أثارها د. أحمد فؤاد باشا ، وهي : هل يمكن أن يصبح للعلم تاريخ ، وهل هناك مستقبل لتاريخ العلم ؟

هناك كثير من جمعيات تاريخ العلم في أوربا وأمريكا تنفق عليها ملايين الجنيهات الاسترلينية والدولارات ، ويبذل فيها كثير من العلماء الأفاضل في الغرب أعمارهم ، ويخصصون لها عددًا من أنبغ تلامذتهم ، وقد رأيت هذا حينما تأملت ما يفعله د. رشدي راشد في فرنسا ، عندما يختار أنجب طلابه لدراسة مسائل في تاريخ العلم في الأكاديمية الفرنسية . لكل شيء تاريخ ، فليس هناك شيء دون تاريخ ، وإذا فقد شيء تاريخه فقد مصداقيته ، وأعتقد أن أعظم كلمة قالها چان دومبرويه هي : « إن التراث العلمي لا يزال مجال عمل ضخم لم يتم » . كل شيء هو مجال عمل ضخم لم يتم ، ولكن المشكلة أننا نسأل : من الذي سيقوم بهذا العمل لإتمامه أو لمحاولة إتمامه ؟

التحدث عن تاريخ الإنسانية - وكأن العرب المسلمين لم يظهروا على وجه الأرض ذات يوم - أمر عجيب ، لقد لاحظت ذلك في حديث كثير من العلماء ، ومنهم علماء عظماء ، وأضرب مثالاً بسيطًا لنظرية أُعجبت بها كثيرًا وما زلت ، وهي نظرية « كارل يونغ » ، وهو عالم نفساني يوازي فرويد ، بل يفوقه .

كارل يونغ هذا حينما حاول أن يضع نظريته في النفس البشرية وجد أن من الضروري أن يبحث في الخرافات والأساطير القديمة ، وعلم الكيمياء القديم ، باعتباره كان محطًا لأحلام الإنسان وهو يبحث عن حجر الفلاسفة الذي يحول الأحجار الخسيسة إلى ذهب . كان ذلك وهمًا بالطبع ، ولكنه كان موضعًا لأحلام الإنسان وطموحاته ، ويشبه شيئًا من أساطير العلم ، ولا يخفى أنه من خلال البحث عن هذا الحجر ؛ حجر الفلاسفة ، توصل العلماء إلى كثير من أسرار الكيمياء وسجلوها حتى وصلت بنا إلى الكيمياء الحديثة .

حينما وضع كارل يونغ نظريته بحث في كل الأساطير القديمة ، وقرأ كل الكتب السماوية القديمة ، وقرأ في الكيمياء القديمة ، ولكنه لم يقترب إطلاقًا من التراث العربي والإسلامي، لم يذكر أنه قرأ القرآن ، ولم يذكر أنه قرأ في التفاسير . لم يرجع إطلاقًا إلى تاريخ هذه الأمة ، وكنت أعجب كيف يغفل مثل هذا الرجل الذي قارب عمره قبل أن يتوفى مئة عام ، عن أن هناك أمّة أسهمت في التراث الإنساني ١٤ قرنًا . هذه مسألة مثيرة للحيرة وللتساؤل .

الحضارة العربية الإسلامية قامت بعدة أدوار ، الدور الأول أنها كانت وريثة للحضارات القديمة في هذه المنطقة ، الحضارة المصرية القديمة والآشورية والبابلية . . . وغيرها من الحضارات ، كما أنها أيضًا استشرقت واستغربت حينما وصلت إلى الهند والصين ، وحينما درست حضارة اليونان وهضمتها واستوعبتها، هذا هو الجانب الوعائي الذي يتهمنا بعضهم بأننا قمنا به فقط ، في محاولة لتهميش

دورنا الحضاري ، والحق أننا لم نقم بهذا فقط ، وإنما تعديناه لأن نكون مبدعين ناقدين ، معدِّلين ، مصلحين ، ثم متجاوزين . لدينا عطاء جديد ، فقد أعطينا الغرب في حضارته الحالية خلاصة ما أنجزته الشعوب القديمة في بلادنا ، وخلاصة ما أعطاه اليونان أو ما سرقه اليونان أيضًا ، وأعطيناه أيضًا خلاصة ما أبدعه علماؤنا . والسؤال : لماذا لا يبدع علماؤنا ، هل لدينا نقص في الچينات أو في خلايا المخ عما يعطيه الله لأي أجنبي ، إنجليزي أو فرنسي أو أعجمي ؟

أعود لأقول : إن العلم الحديث بلا ذاكرة ، والطالب اليوم لا يعلم من أين جاءت القوانين التي يستخدمها لإقامة الأعمال الرياضية أو الفيزيائية . ولي تجربة في هذا الصدد ، فقد كنت أحكي لبعض الطلاب عن تاريخ بعض المسائل ، وكنت ألمس الشغف الشديد لديهم ، كأن هناك سؤالاً ملحًّا في داخلهم يبحث عن أصل الأشياء . والبحث عن أصل الأشياء من خصائص الطفولة ، والطفولة هي بداية العلم ، فالطفل دائمًا يبحث عن أسباب الأشياء وتاريخها وهكذا . . . والعالم الحق أيضًا لا يفقد براءته ولا شفافيته .

نقطة مهمة هي أننا لم نُسرق مرة واحدة حينما سرق بعض الغربيين حضارة العرب ونسبوها إلى أنفسهم ، نحن سُرقنا سرقة قديمة جدًّا حين قام اليونان باستعارة واقتباس علم المصريين القدماء والمشرق ونسبوه إلى أنفسهم ، وصاغوه بلغتهم التي كانت عالمية في ذلك الوقت ، ولم يذكروا مراجعهم على الإطلاق ، إلا أن الحقيقة كانت تبرز في محاورات أفلاطون التي كتبها نقلاً عن أستاذه سقراط ؛ ففي بعض المحاورات كانت هناك أساطير تروى عن مصر القديمة وعن عظمتها ، وكأن لسانهم تفلَّت ببعض الحقيقة عن مصادرهم العلمية ، سواء كان ذلك في الرياضيات أم في الطب . ويقول بعضهم : إن أبقراط قد أخذ الطب من الخرافات القديمة ، والسؤال : كيف يؤخذ الطب من الخرافات القديمة ؟ هذه الخرافات القديمة كانت طب

المصريين القدماء الذين كانوا يخلطون بين السحر والطب الحقيقي ، وكان للسحر تأثيره على المريض بصرف النظر عن اعتقادهم أن للسحر تأثيرًا ميتافيزيقيًّا . إن هؤلاء الذين قالوا : إن أبقراط استخرج الطب من الخرافات القديمة ، لم يذكروا ما هي هذه الخرافات القديمة ولمن ؟ أحسب أن ثمة أشياء كثيرة تستحق أن نقف عندها .

نقطة أخرى هي أن المعرفة حمّالة أوجه ، وهناك بُعد أُسميه البعد القابل للمعلومات ، فإذا كان التراث العلمي القديم ما زال يحتوي على حقائق علمية موحية لمسيرة العلم ، فبعض كتب الطب لا تزال تطلبها جامعات ألمانية وغيرها ، وإلى جانب الحقائق الموجودة في هذه الكتب فإن هذه الكتب لن تفقد أبدًا صلاحيتها وعطاءها ، لماذا ؟ إذا كان هناك علم قديم فقد صلاحيته لا نستخدمه الآن ، فهو ما زال جزءًا من تراث الإنسان ، فالخرافات نعتبرها معلومات ، لأنها كانت تسيِّر الإنسان ، فإذا اعتقدت أن هناك شيطانًا وراء هذا الباب وتحاشيته ، فهذه معلومة أثرت على سلوكي ، والخرافة أثرت على سلوك الإنسان القديم ، وما زال الإنسان يعتمد على الخرافة سواء بالنسبة لتقديره لذاته أو لمواهبه ، أو لجمال شخصيته أو عينيه أو شعره . وإذا انتزعنا الخرافة من الإنسان فإنه سيموت فجأة ، ومعظم علمنا الآن يحتوي على خرافات ، فنحن لابد أن ننظر إلى ما يحتويه العلم القديم ، سواء من حقائق أو من خرافات ، على أنه أشياء ضرورية لابد أن ندرسها كما هي ، سواء لمعلوماتها الحية التي ما زالت تعطي ، أو لرمزيتها ، وذلك عندما تفقد قيمتها العلمية .

قلت : البعد القابل للمعلومات ، لأن الحقائق أو المعلومات أو الخرافات القديمة والحديثة لا تستخدم لذاتها ، فالطب لا يستخدم كطب فقط ، وإنما يستخدم كمصدر لعلم النفس وللأدب وللإبداع الفني ، وللرسام وللمثّال ، ولعلوم ومناهج

بحث كثيرة ستظهر في المستقبل لا نعرف اسمها الآن . علينا إذن أن نحافظ على الكيان التراثي سليمًا ، ونسلمه لمن يأتي بعدنا ، لأنهم سوف يمتلكون من المناهج والأدوات وإمكانيات القياس والتدقيق ما يجعلهم يستفيدون من التراث استفادة بالغة ، ويكفي أن نشير إلى ما أفاده كارل يونغ من الخرافات القديمة في إقامة نظريته عن النفس البشرية .

وأود الإشارة إلى أن التعطل في العلم مسألة نسبية . إن الباحث في الإلكترونات مثلاً قد لا يستطيع أن يستخدم كتابًا عمره ٢٠ عامًا تقريبًا ، لأن هذه الدوائر والأشياء تقادمت ، لكن هذا الذي يتقادم يتحول إلى تاريخ علم ، لذا فإنه لا يوجد تعطل كامل بالنسبة لأي نوع من أنواع المعرفة ، لأنني أتبنى فكرة « البعد القابل للمعلومات » . وقد شهدت بنفسي في مجتمعاتي الريفية التي نشأت بها كيف أن الناس يتعاملون مع الغذاء وقوانينه بمعايير ابن سينا ، وبمعايير طبية قديمة ، وكانوا يحرصون قبل أن نأكل « بامية » مثلاً على عصر الليمون ، ولما عرفنا بعد أن ڤيتامين (سي) ضروري لامتصاص الحديد في الجسم ، أدركنا حكمة هؤلاء الناس الذين كنّا نسخر منهم .

إن غياب تاريخ العلم يفتح الطريق أمام المزيِّفين والمتعصبين وأمام إنكار أمة بأكملها مثل أمتنا . نحن لا ننكر الآخرين ويجب أن نثبت أنفسنا أيضًا .

وثمة نقطة مهمة أود أن ألفت إليها ، وهي أنه يجب ألا ننظر لتراثنا في إطاره العربي الإسلامي ، وإنما يجب أن نكون حريصين على أن نضع قبل ذلك تراثنا الفرعوني والقبطي والبابلي والآشوري والكلداني . . . هذه قطعة واحدة من الحضارة يجب ألا تنفصل إطلاقا . ويكفي أن أشير إلى علاقة اللغة العربية باللغة المصرية القديمة ، سواء في فقه اللغة أو في المفردات ، وهذه العلاقة أنكرها كل من تكلم عن اللغة المصرية القديمة ، في ما عدا أحمد كمال بك ، الذي كان أول من درس هذه اللغة وأثبت هذه العلاقة . اللغة العربية هي ابنة للغات القديمة سواء

في مصر أو الشام أو العراق . وعلماء اللغات بيننا يعرفون ذلك جيدًا ، ولكننا لا نقيم الدليل على ذلك .

هناك الآن تزييف ، ونحن في خطر ، ولابد أن نصنع فئة جديدة من علمائنا قادرة على مجادلة من يريد أن يسرق تاريخنا وأهراماتنا وإنجازاتنا . إن جيراننا الجدد يحاولون سرقتنا والتشكيك في مصداقيتنا ، وكأننا قوم من البلهاء لا نستحق أن نبني هرمًا ، أو نترك أثرًا .

المستشرقون لهم ومضات وإنجازات ونحن محتاجون إلى ترجمة ما كتبوه في تاريخ العلم وإلى نقده والتعليق عليه . نحن لا ننكر فضل المستشرقين وفي الوقت نفسه يجب أن نواجههم ثم نبني ونقف شامخين .

بشأن دراسة د. فيصل أعتقد أن هذا النوع من الدراسات شديد الأهمية ، لأنها دراسات استراتيجية إطارية ، إنها فكر الفكر ، فإذا كان هناك علماء يبحثون في المخطوطات ويحققونها ، فنحن محتاجون أيضًا إلى مفكرين يفكرون في ما يفعله هؤلاء ، ويرسمون الاستراتيجيات للعمل ، وينظرون في المخطوطات وحصرها مكانيًا وكميًا ونوعيًا ، هذه المسألة ضرورية جدًا ، وتحتاج إلى أفكار بذرية لابد أن نتبناها وننميها .

أشار د. فيصل إلى قضية مهمة ، قضية نقص المؤسسات ، وهي مسألة خطيرة ، فإذا كان ديڤيد كينغ يعمل في مؤسسة ألمانية (وهو أمريكي يجيد اللغة العربية والنكتة المصرية ، ويعمل في ألمانيا وتتبناه مؤسسة) فأين علماؤنا ؟ ومن يتبناهم ؟ إنهم يعيشون في غربة وفي شتاء قارس ، نرجو الله أن يلهمنا المحبة ، ويسدد خطانا نحو التعاون .

■ **د. محمد عبد المجيد الطويل :**

أبدأ بما انتهى به د. أحمد فؤاد باشا من تحسر ، حيث يقول : من عجب أن نجد أنفسنا مطالبين بالدفاع عن تراثنا والبحث عن أدلة مقنعة لأهميته في حياتنا ، في الوقت الذي نجد فيه أناسًا زالت حضارتهم واندثر تراثهم يتعلقون بالماضي الذي كان ، مع أنهم لم يقدموا ما قدمنا .

القضية هي حاجتنا إلى هذا التراث ، والإصرار على أهمية نشره وإظهار جوانب البراعة والتفرد فيه ، والتأكيد على صلاحيته لحل كثير من مشاكل العصر .

أما إهمال غيرنا لتراثنا ودعواهم عدم جدواه ، فلا يؤثر هذا فينا ، ولا نتوقع من الآخر غير هذا .

أما أبناء جلدتنا ووقوفهم الموقف نفسه ، فلا ضير في هذا أيضًا . فبعض منا لا يقلون عن الآخر كراهة لتراثنا وإهمالاً له وغضًا من شأنه . رحم الله أمير الشعراء حينما قال :

ما كل ذي ولد يسمي والدًا كم من أب كالصخرة الصماء

وسوف أسوق الآن بعض النماذج لتأكيد أهمية الدعوة إلى نشر تراثنا ، بعض هذه النماذج قُدِّمَتْ عنها أعمال كثيرة ، فهناك كثير من الجهود المخلصة لعلمائنا للكشف عن جوانب العظمة في هذا التراث بمختلف جوانبه ، فتراثنا متنوع ، وقد قال د. فيصل : إن التراث العلمي لا يقل عن ٢٠٪ من تراثنا .

وإذا كان د. أحمد فؤاد باشا قد ضرب أمثلة لاهتمام علماء الغرب بتراثهم ، فلدينا مثلهم ، فقد اهتم كثير من علمائنا المحدثين بالكشف عن تراث الآبار ، وكان في ما ذكر د. فيصل إشارة إلى كتاب عن المياه حصلت محققته على جائزة المعهد عام ١٩٩٧ .

النموذج الأول الذي أحب الإشارة إليه : دراسة عنوانها : كتاب البئر لابن الأعرابي والمصطلح الهندسي ، للمهندسة : بغداد عبد المنعم[1] .

وأول ما يلفت انتباهنا عند سماع (كتاب البئر) أن الكتاب يأتي ضمن كتب الثروة اللفظية أو ضمن كتب الآبار والمياه ، مما يشكل اهتمامًا خاصًا لعلماء المعاجم العربية ، لكن الباحثة الفضلى كشفت عن جانب هام من جوانب عبقرية الآباء . تقول :

هذا الكتاب واحد من الكتابات المبكرة التي اهتمت بالبئر بشمول واستقصاء ، شكل مقدمة للأعمال المعجمية العربية ، لما فيه من مادة لغوية غزيرة تخص البئر والماء . ورغم هذه السمات اللغوية فإن دراسة الكتاب تظهر أبعادًا جديدة ذات طابع هندسي ، وذلك للآتي :

- أنه يجمع طائفة من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها واستخراج المياه منها .
- يحدد أجزاء البئر بأشكالها المختلفة : المقطع - الجوانب - القعر . . . إلخ .
- يحدد أسماء الآبار وصفاتها في أحوالها المختلفة : الشكل - الغزارة - الصيانة . . . إلخ .

ثم تقول : إن دراسة هذا الكتاب تضعنا أمام إمكانات عديدة لاستنتاج آلية التطور الذي سارت عليه عمليات إنشاء الآبار واستثمارها . وإن الثراء اللغوي للموضوع يعكس ثراء في التفاصيل التطبيقية الهندسية ، ويكشف عن حضارة تعاملت بدقة مع الأشياء ، فقد تعاملت بتسعين لفظًا مختلفًا مع حالات الآبار وتنوعها ، وبخمسة ألفاظ مختلفة (درجات) حددت صلاحية الماء للشرب الإنساني .

(١) مجلة معهد المخطوطات : نوفمبر ١٩٩٧ .

لقد استكشفت اللغة في هذا الكتاب حين تمثل حضارتها ، واستطعت أن أبني من هذه الثروة اللفظية حلقة متكاملة عن تاريخ علم المياه ، فهذه الألفاظ لا يمكن إلا أن تكون وليدة ظروف حضارية عميقة .

وقد ذكر د. أحمد فؤاد باشا أن من الفوائد التي نجنيها من التراث الكشف عن النظريات المتقدمة في التراث والتأصيل الجيد لمختلف فروع العلم ، تقول المهندسة بغداد : « لقد تعاملت مع هذا النص التراثي الثري والمبكر من خلال وجهة نظر هندسية مائية لضرورة تصنيف جديد وصياغة جديدة له ، تكسبه أهمية جديدة ، فالبحث في التراث لا يعني كشفًا فحسب ، وإنما إظهار إمكانيات جديدة قابلة (للعصرنة) » .

لقد عثرت في الكتاب على رصيد كبير من الألفاظ القديمة المماتة ، وهي تكاد تكون الأداة الرئيسة المستعملة اليوم لوضع المصطلحات الجديدة في اللغات الأوربية ، فهم يرجعون إلى أصول اللاتينية أو اليونانية القديمة . . .

هذا عن النموذج الأول الذي يعرض جانبًا من تراثنا وما فيه من إمكانات وعطاءات لا حدود لها .

أما النموذج الثاني، فهو من دراسة عنوانها : رسالتان في الحساب العربي[١] ، تحقيق د. أحمد سليم سعيدان ، يقول د. سعيدان عن عمله في نشر هاتين الرسالتين ، وهما : أصول حساب الهند ، لكوشيار الجيلي، والكفاية ، لأحمد بن علي الإربلي ، يقول :

الرسالتان اللتان ننشرهما تعطيان أقدم صورة عربية للعناصر الرئيسة التي منها تكون علم الحساب الإسلامي ، فقد كانت هذه العناصر الثلاثة : حساب السنين - حساب اليد - الحساب الهندسي الهندي .

(١) مجلة معهد المخطوطات : مايو ١٩٩٧ .

ويشير إلى كثير من تراثنا في هذا العلم ، ومن أهم ما ذكره : كتاب « المنازل السبع » لأبي الوفاء البوزجاني الذي أشار إليه د. أحمد فؤاد باشا ، ويذكر أن اسمه الكامل : « ما يحتاج إليه العمال والكتاب من صناعة الحساب» ، وفيه عرض شامل لحساب اليد ، ويعنى بالدرجة الأولى باستعراض المشاكل الحسابية التي يجابهها موظفو الدولة من جباة ومحاسبين ومَسَّاحين ومثمنين . . فللكتاب - عدا قيمته الرياضية - قيمة كبيرة لدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في العصر الإسلامي .

وينبِّه إلى أن المكتبات العالمية التي نشرت لها فهارس ذكرت عددًا كبيرًا من مخطوطات الحساب العربي تكون في مجموعها ثلاثين كتابًا ورسالة ، وأن ثلث هذا العدد فقط هو الذي يعرفه العالم عن طريق نشره وترجمته إلى إحدى اللغات أو عن طريق نشر دراسة عنه أو تلخيصه والكتابة عنه .

وبعد دراسة الكتابين وتحقيقهما يخلص المحقق الفاضل إلى القول : إن ما ورثه العرب من علم الحساب كان أشبه بالمواد الخام ، ومن هذه المواد صنع العرب علم الحساب العملي الذي نجربه اليوم بكل ما فيه من طرق ومبادئ عمليات ، باستثناء اللوغاريتمات التي لم نجد عربيًّا اقترب من فكرتها .

النموذج الثالث : حديث المرحوم د. يحيى الخشاب عن الطوسي وكتابه « آداب المتعلمين »[١] .

والذي يهمني هنا هو حديثه عن الطوسي لا عن كتابه ، فقد قال عنه : يعد الطوسي أعلم أهل زمانه ، وهو الذي أعاد للحضارة الإسلامية بهاءها وقوتها في أحلك الظروف السياسية وأقساها على القسم الشرقي من العالم الإسلامي ، وهو

(١) مجلة معهد المخطوطات : نوفمبر ١٩٩٧ .

لهذا استحق لقب (أستاذ البشر) ، وله ما يقرب من ثلاثة ومائة كتاب ورسالة ومقالة في موضوعات وفنون مختلفة ، منها خمسة وعشرون كتابًا ومقالة بالفارسية ، وتراثه كله في الحكمة النظرية والعملية والهيئة والنجوم والرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم الدينية والتاريخ والجغرافيا والتصوف .

هذا ما قاله د. الخشاب عن الطوسي ، ولا أظنه مبالغًا ، فقد قيل عن الرجل : إنه أهم شخصية علمية في شرق العراق خلال القرن السابع الهجري .

بقيت إشارتان صغيرتان ، الأولى : أن د. عبد الستار الحلوجي قدم دراسة عن المخطوط العربي منذ نشأته حتى القرن الرابع الهجري[1] ، وفي حديثه عن بعض علومنا التي وردت عن السلف من الآباء والأجداد التفت التفاتة بارعة إلى اشتمال الكتب العربية في هذا العصر المتقدم على الخرائط والصور ، فلم تكن علمًا مجردًا : ولم تكن الكتب الجغرافية وحدها هي التي توضّح بالصور والخرائط ، وإنما كانت بجوارها كتب الهيئة مشتملة على صور الكواكب والنجوم ، والشيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة لكتب الهندسة والبيطرة وعلم النبات .

الإشارة الثانية تتمثل في أن إلقاء نظرة سريعة على ما سطره د. صلاح الدين المنجد عن تاريخ الطب عند العرب ، يدل على مدى ما وصل إليه الأجداد .

بقيت نقطة في غاية الأهمية ، وهي أن هناك مجموعة من الدراسات عن تراثنا العلمي تعرض لها شيوخ كبار في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولكن الوقت لم يسعفني بالعودة إليها والنقل عنها ، لكن يكفي أن أسرد على مسامعكم أسماء المقالات وأصحابها ليرجع إليها من شاء .

(١) مجلة معهد المخطوطات : نوفمبر ١٩٩٧ .

د. محمد يوسف حسن عضو مجمع اللغة بالقاهرة ، وله - في ما قرأت - ثلاث مقالات عن علم الجيولوجيا عند العرب وأثرهم فيه ومصطلحاته التي استخدمها العرب :

١ - المصطلح الجيولوجي . مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة ، نوفمبر ١٩٧٣ .

٢ - ثراء اللغة العربية بأصول المصطلحات الجيولوجية ، السابق ، مايو ١٩٧٤ .

٣ - التراث الجيولوجي عند العرب ، السابق ، نوفمبر ١٩٧٥ .

وثمة أسماء أخرى كتبت أيضًا : ومما كتبت :

- **علم الأرض وفقه اللغة** ، د. على السكري . مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة - نوفمبر ١٩٧٦ .
- **المصطلحات العربية في علوم الأرض** ، د. على السكري و د. زايد محمد زايد . السابق - نوفمبر ١٩٧٦ .
- **فجر الجغرافيا العربية** ، د. حمد محمود الصياد . السابق - مايو ١٩٧٨ .
- **أثر العرب في النهضة العلمية الأوربية** ، د. عبد الحليم منتصر . السابق - نوفمبر ١٩٦٩ .

■ د. علي عبد المعطي محمد :

أشكر د. أحمد فؤاد باشا على بحثه القيم ، وأقول : أعرف أن لدينا نظرية أرسطو التي ترى أن الأجسام تسقط من أعلى إلى أسفل بفضل ثقلها ، لأن الأجسام الثقيلة تهبط أولاً وتليها الأخف ، وهكذا ، لكن هذا الرأي تمّ تجاوزه لاحقًا بعد الذي أجرى تجربة كانت غريبة في وقتها ، إذ إنه أنزل جسمًا خفيفًا جدًّا (ريشة حمامة) وجسمًا ثقيلاً جداً (كتلة من الحديد) ، وفرَّغ المكان من الهواء وربطهما

من خارج بشيء يمكن فكُّه بسهولة دون أن يؤثر ذلك على خلو المكان من الهواء . وحينما أتاح للجسمين أن ينزلا من أعلى إلى أسفل في مكان محاط بالزجاج على مرأى من الملاحظين ، دهش الجميع عندما نزل الجسمان في نفس الوقت ، فانتهت نظرية أرسطو تمامًا ، وعُرف أنه ليس للثقل أي أثر في هبوط الأجسام من أعلى إلى أسفل .

ثم جاء نيوتن ، ووضع الفرضية الأخيرة وهي الجاذبية ، وطبعًا لا يستطيع نيوتن أو غيره أن يصل إلى نظريته لمجرد أنه رأى تفاحة تسقط ، ويقول : وجدتها وجدتها . ولكن كل عالم يصل إلى ما يصل إليه بعد تفكير طويل وعميق ، فهو لايستطيع حل المشكلة أول الأمر ، بل تتخمَّر في عقله ، ثم بعد فترة تفاعل ، ثم يظهر ضوء بسيط ، ومنه تظهر الفكرة العامة ، وبعدها ينسج الأفكار التفصيلية .

أوافق على كل ما قاله د. باشا ، ولكن لأول مرة أسمع أن هناك إسهامًا عربيًا في هذا المجال ، وأتمنى مخلصًا أن يثبت أن في تراثنا مصدرًا يؤكد توصلنا إلى نظرية الجاذبية قبل أن يصل نيوتن إليها .

في ما يتعلق بما ذكره د. كمال عرفات نبهان لدي بعض الملاحظات ألخصها في ما يلي :

أولاً : أفلاطون لم ينقل من سقراط أي محاورات ، بل إن سقراط لم يكتب شيئًا على الإطلاق ، أول من كتب في الفلسفة هو أفلاطون ، ومحاوراته هي المعروفة ، وهناك دراسات تثبت أن سقراط شخصية وهمية لا وجود لها على الحقيقة ، وأن سقراط في محاورات أفلاطون ليس إلا متحدثًا بلسانه فقط ، ومعبرًا عن رأيه .

ثانيًا : اليونان أخذت من مصر وهذه حقيقة ، لكن كما أخذت اليونان من مصر وغيرها من حضارات وصاغت ذلك على هيئة فلسفات مختلفة ، منها ما هو مثالي ومنها ما هو واقعي ، وهكذا - أعطت العالم أيضًا فلسفة . فهناك اتصال بين الحضارات ، ولا يجب أن نقف دائمًا عند الصدام بين الحضارات ، إنما هناك حوار مستمر ، والمسألة أخذ وعطاء على الدوام .

ثالثًا : يونغ اتجه إلى النماذج البدائية لأنها هي التي تشكِّل النفس البشرية ، كما أن النماذج البدائية لابد أن يتراجع فيها للوراء ، لأن كل جيل يورث الجيل الذي يليه ، وهكذا ، وكان يونغ يرى أن هذه النماذج البدائية لها أكبر التأثير ، ويعتقد أن الصفات الأخلاقية تورث كما تورث الصفات الفيزيقية . وثبت خطأ هذه النظرية ، فهو ليس عالمًا أعلى قيمة من فرويد كما يظن د. نبهان . والمثل الدارج يقول : « يخلق من ظهر العالم فاسد » ، فليس ضروريًا أن يتم توريث الصفات الأخلاقية .

■ د. سعيد مغاوري :

البردي - كما هو معلوم - نبات زرع في مصر ، وكتب عليه موضوعات عديدة . وعندما كنت في النمسا وجدت عشرات البرديات الطبية ، وأذكر من ذلك فقرة تتعلق بأمراض الحمّى والكبد والبنكرياس ، جاء فيها : « وللصبي الذي يشتكي أذنه لبن أمه » . هذه وصفة طبية ، وهناك مئات الوصفات الطبية محفوظة في جامعة ڤيينا . وفي مجموعة ريمر بالنمسا عشرات البرديات الطبية الخاصة بالعلاج بالأعشاب والنباتات ، وكذلك بالماء الفاتر والماء البارد .

البرديات علم جديد في العالم العربي ، ولكنه قديم في أوربا وأمريكا .

وهذه مناسبة لأعرب عن استغرابي لعدم إعطاء هذه الوثائق حقها ، فعندما التقيت الشيخ أحمد زكي يماني و د. كمال عرفات نبهان بدار الكتب المصرية قلت :

هناك عشرات الآلاف من البرديات العربية محفوظة في كل المكتبات الأوربية ، بعضها يتعلق بمكة والمدينة ، وبعضها يتعلق بالنواحي الطبية والفلكية منذ القرن الأول الهجري ، وتساءلت لمَ لا يكون لمعاهدنا العربية وجامعاتنا الإسلامية دورها في دراسة هذه الوثائق ؟ لدينا في دار الكتب المصرية عدد من البرديات وهي بحاجة إلى تصنيف وترميم ودراسة ، وأعتقد أنه آن الأوان ونحن نقترب من الألفية الثالثة أن نعطي هذه الوثائق حظها من الاهتمام والدراسة والنشر .

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

لي تعقيب قصير على معلومة وردت في بحث د. فيصل ، وهي معلومة كثيرة التكرار ، وتتعلق بعدد المخطوطات العربية في العالم . إن الرقم الذي ذكره مصدره الأساسي د. صلاح الدين المنجد في مقدمة أحد فهارسه ، وفي رأيي أن هذا الرقم لا يقوم على أي أساس علمي أو إحصائي .

حاجي خليفة – وهو آخر من وضع إحصاء تصنيفيًا للكتب العربية – ذكر ١٥ ألف عنوان ، أما بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » فوصل إلى ٢٠ ألفًا . فإذا أضفنا إلى ذلك ما ورد في كتب البيليوغرافية القديمة : كتاب النديم وغيره ، أو في تراجم العلماء . . . ، فإن هذا الرقم سيتضاعف .

الحديث إذن ينصرف إلى نسخ مكررة لمخطوطات ، بعضها له حظ في الرواج ، حتى إننا نجد من كتاب واحد ٢٠٠ و ٣٠٠ نسخة ، على أن بعضها لم يلق ذلك الحظ ، فليس بين أيدينا سوى نسخ فريدة . والتراث العلمي من هذا الصنف الأخير ، لأن العلم كان بين أيدي طبقة أو فئة ، وليس له انتشار العلوم الدينية واللغوية .

وأخيرًا فإن أهمية تاريخ العلم أو ما نتحدث عنه في هذه الندوة لا تكون في نشر تراثه ولكن في محاولة دراسة مكانة هذا العلم ودوره في العلم العالمي وإسهامه

فيه ، فتراثنا العلمي هو الحلقة التي تصل الإغريق بعصر النهضة بالعلم الحديث . أما مسألة نشر النصوص في حد ذاتها فالعلم الحديث تخطى ما احتوته بمراحل . نحن مطالبون بإثبات مكانة هذا العلم ودوره في العلم العالمي ، هذه هي المهمة الحقيقية .

■ **د. يوسف زيدان :**

إن د. أحمد فؤاد باشا ، و د. فيصل الحفيان قد أبانا إبانة تامة عن أهمية درس تاريخ العلوم ، وهذا كان كافيًا في حد ذاته ، ولا أعرف لماذا تطرقا للرد على دعاوى المهاجمين لهذا التراث . أنا أربأ بهما عن تناول هذه النقطة ، لأنه معروف أن مهاجمي التراث بمناسبة ودون مناسبة يحدثون « فرقعات » ليتولى الأجلاء الرد عليهم فيُعطَون قيمة . وأظن أنه ما دام النهج والمهمة واضحين فلا يجب أن نشغل بالنا كثيرًا بشخص يقول : إن تاريخ العلم العربي لا يكتب في أكثر من سطر ، ويقول : إن ابن النفيس ليس أكثر من حلاق صحة . مثل هذه المسائل نحن أجلّ من التعرض لها .

والأخ العزيز د. فيصل ذكر أنه يوجد نحو ٦٠٠ ألف مخطوط علمي ، على أساس أن عدد المخطوطات عمومًا يصل إلى ثلاثة ملايين ، وأن نسبة التراث العلمي منها تبلغ ٢٠٪ . طبعًا أنا أتفق مع د. أيمن في أن هذا العدد شديد الجزافية ، وأظن أنه لا يوجد في العالم ٦٠٠ ألف مخطوط علمي . هذا مع ملاحظة أن هذه المسألة تختلف من مكتبة إلى أخرى . ودعني أحدثك عن أمثلة تطبيقية : في مكتبة بلدية الإسكندرية ٦٠٠٠ مخطوط منها ٤٥١ مخطوط علمي ، إذا أضفنا المنطق إليها يصبح الكل ٩٠٠ مخطوط ، في حين لا تزيد النسبة فى مكتبات أخرى على ٣ أو ٤٪ .

أما بشأن الصلة بين المطبوع والمخطوط فأقول للدكتور أيمن : هذه مسألة نستطيع أن نتحكم فيها عندما نرى أي فهرس وما نشر منه ، وسوف نجد أن كم

العناوين الواردة في هذا الفهرس لم ينشر منه أكثر من ٥ – ٧ ٪ ، ومن هنا نقول : إن ما نشر من تراثنا العربي لا يتجاوز ٥ – ٧٪ .

نعود للأخ العزيز د. فيصل في إعجابه بالتفصيلات التي خاض فيها الأطباء العرب ، وأزيد : ليس تدبير الأطفال وحسب ، بل هناك مؤلفات كاملة في تدبير الحبالى ، ومؤلفات في مواليد الثلاثة ، وكيفية العناية بهم .

وقد أشار د. فيصل إلى أن مصر لم يكن بها معهد للتراث العلمي . صحيح أنه يجوز له الفخر بمعهد حلب للتراث العلمي ، ولكن يجوز لي الفخر أيضًا بأن مصر هي أكبر دولة عربية نشرت تراثًا علميًّا منذ مطلع القرن حتى الآن ، ويجوز لنا معًا الفخر بأننا قد انتهينا إلى هذه القضية في آخر القرن العشرين .

أخيرًا أقول لأستاذنا الدكتور كمال عرفات : قلت إن أبقراط أخذ الطب من الخرافات القديمة ، وما أعلمه هو أن أبقراط قد خلّص الطب من الخرافات القديمة ، والدليل على ذلك أنه في كتابه في الصرع يبدأ فيقول : « ها أنا ذا أبحث في المرض المعروف بالمقدس ، لست أرى فيه قدسية تزيد عن أي مرض آخر » . هذا المنهج الأبقراطي هو الذي أخرج الطب من الخرافات القديمة إلى المنهج العلمي الذي استمر بعد ذلك ، ثم ازدهر على يد العرب المسلمين .

أشار د. أيمن : إلى أن المخطوطات العلمية ليس منها نسخ كثيرة ، ولقد رأيت بنفسي عشرات النسخ من مخطوطات علمية ، فيبدو أن التراث العلمي كان مقررًا دراسيًّا في العديد من النواحي ، وقد دققت الجزء الأول من فهرس مخطوطات المعهد الديني في سموحة ، فلاحظت أنه اشتمل على نحو ٦٠٠ مخطوطة ، ورأيت أن أبدأ بالمخطوطات العلمية ، وكان هناك ما يقرب من ٢٠ مخطوطة من اللمع ، ونحو ٥٠ مخطوطة من « شروح اللمع » ، فاستنتجت من ذلك أن في المعهد الديني في سموحة الذي هو أصلاً مكتبة جامع الشيخ إبراهيم

(أزهر الإسكندرية في القرن التاسع عشر) ، كانت هذه الكتب مقررًا دراسيًّا ، ولذا عُني الطلبة بكتابتها في تواريخ متقاربة .

■ د. ماهر عبد القادر :

استمتعت ببحثيْ د. أحمد فؤاد باشا ، و د. فيصل الحفيان ، ففيهما ثراء فكري في كافة الجوانب ، ومع هذا فالحوار والنقاش يثري .

إننا نتعامل مع تاريخ العلم حتى الآن على أنه مجرد تاريخ ، وغالبًا ما يُدرّس في كثير من الكليات الجامعية ، سواء في مصر أو خارجها ، تحت عنوان « تاريخ العلوم عند العرب » ، ويتم تدريس هذا المقرر على أنه جزء من التاريخ ، ويأخذ شكل سرد لأسماء علمائنا ومجالات إبداعهم .

وأرى أن هذا ليس تاريخ العلم . ومما يؤسف له أن كثيرًا من الناس لا يعرفون قدر التاريخ كعلم . وهذه نقطة مهمة جدًّا استوقفتني منذ فترة طويلة وكتبت عنها ، وتساءلت : كيف ننظر إلى تاريخ العلم وكيف نتعامل معه على أنه علم وليس تاريخًا ؟ إذا كان تاريخًا فإنه سيكون سردًا للأسماء والإنجازات ، أما إذا كان علمًا فهناك أسس ومبادئ أخرى . وأستاذنا د. أحمد فؤاد باشا له باع كبير في هذه المسألة ، لأنه تناول تاريخ العلم وفلسفته .

أنا أعتبرهما نظامين ، ولكل منهما منهج وتصور مختلف ، والسؤال : هل نستطيع أن نقوم بعملية تقعيد لأصول تاريخ العلم كعلم ، ونحاول تطبيقها على التراث العلمي ، فيصبح هناك مجموعة أو منظومة من القواعد المنهجية ؟ مثل هذا يجعلنا نستطيع أن نصل إلى سبب تقدمنا في الماضي ، أو تخلفنا الآن .

في رأيي أن المنهج « چينة » أو چين الفكر ، فمن خلاله نستطيع أن نصل إلى شيء . وهذا ما نجحت فيه أوربا منذ القرن السابع عشر ، عندما تحدث فرنسيس بيكون عن المنهج العلمي .

هناك نقطة أخرى تتصل بالمستشرقين ، أقول : لماذا نجح هؤلاء في العناية بتراثنا ونحن لا نزال نحبو ؟ إن علماء الاستشراق عندما تعاملوا مع التراث تعاملوا معه على أنه تراث يحتوي نظريات حاولوا الاستفادة منها ، لقد أفادوا من النظريات ، وتركوا لنا الباقي ، تركوا لنا الحديث عن الإنجازات .

■ د. عبد الكريم عوفي :

أود أن أشير إلى مسألة أظن أنها في غاية الأهمية ، وإن كانت غير متصلة اتصالاً مباشراً بالتراث العلمي ، موضوع ندوتنا ، هذه المسألة هي : ربط التراث باللغة العربية ، فاللغة العربية فيها مصطلحات كثيرة ، وهذا العلم أُتيح في بيئات مختلفة ، واللغة هي الوعاء الذي حمل هذا التراث ونقله إلينا ، ونقطة البداية تكمن في الاهتمام بهذه اللغة وتمكين الجيل الجديد منها . إننا نجد في الجامعات نفوراً كبيراً من الإقبال على هذا التراث ودرسه ، ويلجأون إلى ما يقدمه الغرب ، بدعوى أن هذا التراث لا يهتم إلا بالقضايا الهامشية ، ومن ثم ينبغي الانصراف عنه ، لأنه لا يفيدنا في شيء .

ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧) مثلاً له شرح على قصيدة الهيئة ، وعندما شرح مضمونها العلمي قدم لنا مجموعة من المصطلحات التي يمكن الاستفادة منها في المجال العلمي .

ولابد أيضًا من الإشارة إلى قضية « الترجمة » ، ترجمة تراثنا العلمي إلى اللغات الأخرى ، لا شك أن ذلك يبرز الدور الذي قام به علماؤنا في تقديم العلم والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية .

■ أ. هاني المرعشلي :

أما وقد سبقني د. علي عبد المعطي إلى الجنوح قليلاً إلى مجال الفلسفة ، فأستميحكم عذراً بالقفز قليلاً من مجال التراث العلمي الخاص ، إلى مجال تحقيق التراث بصفة عامة . فقد مررت بتجربة ورأيت تجربة أثارت في ذهني قضية عامة ، كنت أنوي مناقشتها مع د. يوسف زيدان أو د. أحمد فؤاد باشا في أقرب فرصة تسنح ، وقد سنحت بين هذا الجمع من العلماء .

التجربة الأولى كانت في إعدادي لورقة تخص د. عبد الرحمن بدوي تكشف للأسف بعض أوجه الخلل في تحقيقاته التي قام بها مما لا يجوز لمحقق ، سواء أكان عربيًا أم غربيًا أن يقع فيه ، ولا مجال للتفصيل هنا .

التجربة الثانية هي التجربة التي قام بها د. يوسف زيدان حين نشر قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل ، فقام بتحقيق المطبوع المحقق ، وليس النص الأصلي الذي قام بنشره د. أحمد أمين ، وهو أستاذ جليل ؛ صاحب « الفجر » و « الضحى» و « الظهر » لتاريخ الإسلام .

وهنا ثارت هذه القضية العامة في ذهني : ألا يمكن أن يخلو العمل التراثي المحقق من شائبة النقص ؟ وتلك الشائبة قد ترجع إلى قصور أدوات البحث التي يملكها الباحث أو عدم انتهاجه مفردات العلم المطلوب .

ثم ألا يجب أن تخلو ساحة المحقق من التحيز الأيديولوجي لدى قيامه بتحقيق النص التراثي ؟

ثم إنه إذا عاب علينا المستشرقون وجرّحوا تراثنا ، فإن هذا لا يعيبهم على الإطلاق ، بل هو مطلوب منهم خدمة لبلادهم ولأبناء جلدتهم ، أفلا يدعونا هذا للقول : لندع الاستشراق ورجاله ولنهتم بإعادة النظر في أبناء جلدتنا نحن ، حتى لا يكون تراثنا عرضة للسخرية ومضغة في الأفواه .

■ **د. حسن أحمد خليل :**

ذكر د. أحمد فؤاد باشا أن تراثنا العلمي زاد للآتي وليس مجرد شيء من الماضي ، ولكن هناك إشكالية من إشكاليات التراث العلمي ، إضافة إلى ما عرضه د. فيصل الحفيان ، يجب حلها حتى يصبح هذا التراث زادًا للآتي ، وهي اللغة المكتوب بها هذا التراث ، فالمصطلحات العلمية الواردة فيه أصبحت غريبة عنا تمامًا ؛ إما لاندثارها ، أو لغرابة مدلولها الآن ، ووجود انفصام بين ثقافتنا وثقافة تراثنا العلمي ، فعلى سبيل المثال صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كتاب في هذا المجال ، وهو كتاب « الموجز في الطب » لابن النفيس ، والكتاب فيه آراء علمية تدل على تمكن صاحبه من الطب ، وحققه اثنان من المحققين الأفاضل وراجعه على « القانون في الطب » لابن سينا د. رمضان عبد التواب ، وكتب له مقدمة ضافية د. إبراهيم بدران ، ولكن مع كل هذا ، لغة الكتاب غريبة عنا تمامًا وبعيدة كل البعد عما نتناول الآن سواء في الأعشاب أو النباتات أو حتى في الأدواء والأمراض التي يصفها المؤلف .

■ **د. أحمد فؤاد باشا :**

أتوجه بالشكر لحضراتكم جميعًا ، وخاصة الزميلين المعقبين ، فقد أفدت كثيرًا من كل الكلام الذي قيل ، لقد أضاء كثيرًا من الجوانب التي تطرقت إليها ، والموضوع متشعب واستيفاؤه في جلسة واحدة أمر من الصعب تحقيقه ، فهناك أمور بطبيعتها جدلية تحتاج إلى نقاش طويل .

أقول : تراثنا هم ثقيل ، نحن الأحق بحمله ورعايته وتقديمه والاستفادة منه ، لأن العملية لا تقتصر على توثيق التراث وإظهاره ، ولكنها تكتمل بدراسته ووجود رؤية مستقبلية لتجاوزه ، حتى نستطيع أن نجمع بين ماضينا المشرّف ،

وتكون لنا نظرة موضوعية نشارك من خلالها في حضارة العصر بنصيب يتناسب مع تاريخنا المجيد .

■ **د. فيصل الحفيان :**

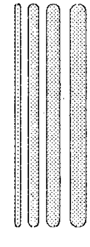
سعدت جدًّا بأن البحث الذي قدمته وجد صدى طيبًا ، وكنت أظنه مجرد ملاحظات سريعة . واسمحوا لي أن أرد على النقطة التي أثارها د. أيمن فؤاد سيد فأقول : إن الأرقام التي ذكرتُها احترزت قبلها بالقول بأن هذه الأرقام اجتهادية ، وأنه لا يوجد شيء قطعي .

أما د. يوسف فأقول له : أنا لم أقيّم حركة النشر في مصر وسورية وإنما تحدثت عن المراكز ، ولا شك أنه يتفق معي في أن لمركز التراث العلمي العربي بحلب عطاء أكبر من عطاءات المراكز العربية المماثلة .

* * *

الجلسة الثالثة

تحقيق التراث العلمي



خصوصية تحقيق التراث العلمي

د. مصطفى موالدي

■ **د. علي عبد الفتاح (رئيس الجلسة) :**

نحن على أبواب قرن جديد ، ولا شك أن هذه الندوة المهمة مدخل مهم لهذا القرن ، إذ لابد لنا من أن نكون على دراية بما قَدَّمه أجدادنا ، لنفيد منه ، ونتسلَّح به .

المحاضر الأول في هذه الجلسة من سورية الشقيقة ، التي لها في نفسي مكانة عالية ، ولن يمرَّ ذكر هذا البلد دون أن نشير إلى مكتبة الأسد الوطنية التي تعد من أهم مكتبات المخطوطات في العالم ، إذ تحفل بمجموعات نفيسة ، يدرك قيمتها المتخصصون .

د. مصطفى موالدي وكيل معهد التراث العلمي العربي (جامعة حلب)سابقاً ، يحدثنا عن « خصوصية تحقيق التراث العلمي » ، ويعقبه د. ماهر عبد القادر من كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ليجيب عن سؤال كبير : « من يحقق التراث العلمي » .

* * *

تعد المخطوطات العلمية العربية ، التي ألفها العلماء العرب والمسلمون ، لبنة من لبنات صرح الحضارة الإنسانية في جميع فروع المعرفة العلمية .

ولدراسة تطور أي علم من العلوم ، وكذلك لدراسة تطور الفكر والمنهج العلمي وتحليله لدى الإنسان عموماً ، والعرب والمسلمين خصوصاً ، لابد من تبيان مساهمة العلماء العرب والمسلمين ، على نحو موضوعي ودقيق ، وإلا لظهر خلل في صرح تاريخ الحضارة ، وانقطعت سلسلة تطور تلك العلوم بشكل لايقبله المنطق العلمي السليم المعتمد على المقدمات والنتائج .

لا نقبل بأن يكون هدف الكشف عن إسهامات العلماء العرب والمسلمين في مجال العلوم – التفاخر بما قدمه أجدادنا ، وأن تكون تلك الإسهامات منارة وحافزاً للأجيال الصاعدة على طريق التقدم والازدهار ، وإنما نريد أن نبين دورنا الحضاري في تاريخ الإنسانية ، ذلك الدور الذي أهمله وتغافل عنه عدد من مؤرخي العلوم الغربيين ، وتعمدوا « تهميش » مساهمات العلماء العرب والمسلمين في مؤلفاتهم لأسباب عديدة .

– ١ –

موقع التراث العلمي في حضارتنا وأهمية نشره [١]

تطور تقسيم العلوم عند مصنفي العلوم في الحضارة العربية الإسلامية تطوراً كبيراً ، فقد ميّز الكندي (٠٠٠– نحو ٢٦٠هـ = ٠٠٠ – ٨٧٣ م) في رسالته التي عنوانها : « رسالة الكندي في كمية كتب أرسطو طاليس ، وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة » بين العلوم الإنسانية وعلوم الرسل ؛ وأدرج الفارابي(٢٦٠– ٣٣٩هـ =٨٧٤ – ٩٥٠م) في كتابه « إحصاء العلوم » العلوم العربية (علم اللسان) والعلوم الدينية (علم الفقة وعلم الكلام) ، بشكل مستقل ، ضمن علوم المعرفة الإنسانية ، ويُعدّ الخوارزمي (٠٠٠ – ٣٨٧هـ = ٠٠٠ – ٩٩٧م) في كتابه « مفاتيح العلوم » أولَ مَنْ قَسَّمَ العلوم إلى قسمين : علوم الشريعة وما يلحقُ بها من العلوم العربية والتاريخ ، والقسم الآخر خاصٌّ بعلوم العجم .

وبشكل عام فقد حدد مصنفو العلوم العرب والمسلمون موقع التراث العلمي

(١) موالدي ، مصطفى ، «تطور موقع الرياضيات عند مصنفي العلوم في الحضارة العربية» ، المؤتمر السنوي العشرون لتاريخ العلوم عند العرب ، ٢٥ – ٢٧ أيلول ١٩٩٩م ، معهد التراث العلمي العربي – جامعة حلب – سورية ، تحت الطبع .

بما يتناسب مع فلسفتهم وعقيدتهم الإسلامية الجديدة ، ووفق نمطٍ ينسجم مع الاتجاهات الفكرية والفلسفية السائدة في كلِّ عصرٍ من العصور .

وتعد مخطوطات علوم اللغة العربية والعلوم الدينية والعلوم الفلسفية وغيرها ، من تراث الحضارة العربية والإسلامية ، ولايمكن فصل تأثيرها عن العلوم الأخرى ، ولكن ما نقصده بمخطوطات التراث العلمي العربي في بحثنا هو المخطوطات المكتوبة باللغة العربية في أية فترة ، زمنية وهي مختصة – بشكل عام – بالعلوم التالية :

– **العلوم الأساسية** : والمتضمنة لـ : العلوم الرياضية والفلكية والكيميائية والفيزيائية والجيولوجية والطبيعية وما يتعلق بها .

– **العلوم الطبية** : والمتضمنة لـ : العلوم الطبية والصيدلانية والبيطرية وما يتعلق بها .

– **العلوم التطبيقية** : والمتضمنة لـ : علوم الهندسة المختلفة والآثار ، والصناعات الحربية والكيميائية ، والعلوم الزراعية وما يتعلق بها .

وتأتي أهمية تحقيق المخطوطات العلمية العربية ونشرها ودراستها من أنها مظهر من مظاهر النشاط الفكري المعرفي في الحضارة العربية ، فالفكر العربي لم يقتصر على الإبداع في العلوم الأدبية والدينية فحسب ، بل كان العرب والمسلمون يمتلكون فكراً علمياً أثَّر بشكل مباشر على تطور العلوم الحضارة الإنسانية .

ومن ثَمَّ فإن التراث العلمي العربي تعدى مفهوم الإنتاج الفكري الخاص بالحضارة العربية الإسلامية إلى مفهوم الإنتاج الفكري المؤثر في تطور الحضارةالإنسانية بشكل ملموس .

ونهدف من تحقيق المخطوطات العلمية العربية إلى أمرين أساسيين :

١ - الكشف عن الإضافة العلمية الأصيلة إلى العلم الذي تبحثه المخطوطة .

٢ - دراسة المنهج العلمي الذي اتبعه مؤلف المخطوطة .

ومن ثَمَّ فإننا نبدأ بتحقق المخطوطة العلمية العربية بعد دراستها ، وإثبات أنها تشكل حلقة من حلقات تطور العلم ، وأن مؤلفها يمتلك منهجاً علميًّا جديراً بدراسته وتقديمه .

ففي مجال دراسة التراث العلمي العربي تُعتبر المخطوطة المحققة تحقيقاً علميًّا دقيقاً ، وثيقةً ودليلاً قاطعاً في دراستنا التي نسعى من خلالها إلى إثبات نسبة فكرة أصيلة أو منهج معين إلى عالم ما ، في فترة ما ، ينتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية .

إنني أعتقد أن الهدف من تحقيق المخطوطات في المجالات المعرفية العربية الأخرى يختلف قليلاً أو كثيراً عن تحقيق المخطوطات العلمية .

وفي كتاب أصدرته مؤسسة آل البيت لإحياء التراث[١] فقرة تتضمن بعض صفات المحقق وهي :

١ - الرغبة أو الهواية أو العشق .

٢- الغيرة على هذا التراث القيم .

٣- الذكاء ودقة الملاحظة .

٤- التواضع والاستعانة بذوي الخبرة .

---

(١) مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، منهج تحقيق المخطوطات ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، إيران ، ١٤٠٨ هـ ص ١١-٢٣ .

٥- الصبر والأناة .

٦- الأمانة .

٧- الذوق الجميل .

٨- الالتزام بالدين الإسلامي .

ويذكر الأستاذ عبد السلام هارون في فقرة « مقدمات تحقيق المتن » عدة مقدمات رئيسة لإقامة النص ، إحداها[١] : « وهو الإلمام بالموضوع الذي يعالجه الكتاب ، حتى يمكن المحقق أن يفهم النص فهماً سليماً يجنّبه الوقوع في الخطأ حين يظن الصواب فيحاول إصلاحه ، أي يحاول إفساد الصواب ! » .

ويعدد الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان الصفات التي لابد من توافرها في شخصية من يتولى تحقيق المخطوطات على النحو التالي[٢] :

١ - الإحساس بقيمة التراث العلمي والفكري إحساساً ينبع من الإيمان العميق بدوره الفعال في بناء حضارة الأمة ، عن طريق إحياء تراثها .

٢ - الحب والتعلق بتراثنا المخطوط .

٣ - الخبرة والتمرس بتحقيق المخطوطات .

٤ - أن يكون المحقق على علم ودراية بموضوع الكتاب ، فإذا كان الكتاب في الحديث ، فلابد أن يكون للمحقق إلمام ودراية بهذا العلم ، وكذلك الشأن إذا كان في التفسير ، أو اللغة ، أو الأدب ، وسائر العلوم ، وحبذا لو أن كل عالم بفن ،

---

(١) هارون ، عبد السلام ، تحقيق النصوص ونشرها ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٣٩٧هـ = ١٩٩٧م ، ص ٦٠ .

(٢) عسيلان ، عبد الله بن عبد الرحيم ، تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٤١-٤٣ .

ومتبحر فيه يتجه إلى تحقيق المخطوطات التي تتصل بفنه وتخصصه ، فذلك أدعى إلى يكون العمل أكثر إتقاناً ودقة ، مما لو تصدى له شخص آخر له وجهة علمية أخرى .

٥- الأمانة العلمية التي تقتضي تحرير النص وتصحيحه .

٦ - الإلمام الواسع باللغة العربية وأساليبها ومفرداتها وسائر علومها .

٧ - التذرع بالصبر والأناة .

٨ - سعة الاطلاع على كتب التراث ومصادره في مختلف جوانب العلم والمعرفة .

ويرى برجستراسر أن « النقد وسيلة إلى اختيار القراءة الصحيحة ، فأول ما نقول في هذا الباب : إنه لا نقد إلا بعد فهم » ، ويذكر بأن[1] « الفهم مبني على شرطين :

١ - معرفة المادة التي يبحث فيها الكتاب .

٢- ثم معرفة اللغة والأسلوب .

أما عن الشرط الأول : فمن الواضح أن « قانون ابن سينا » مثلاً لا يمكن أن يفهمه إلا من فهم علم الطب وتاريخه بتعمق .

ونحن نؤكد على أنه يجب أن تتوفر في تحقيق المخطوطة العلمية العربية جميع الصفات التي ذكرها سابقاً الأساتذة الأفاضل في كتبهم ، ويعد التخصص في موضوع المخطوطة العلمية ضروريّا وواجبًا ، ولايكفي - إطلاقاً - العلم والدراية والإلمام بموضوع المخطوطة ، أي أن المتخصص بتاريخ الطب يحقق المخطوطات الطبية وما يلحق بها ، والمتخصص بتاريخ الرياضيات يحقق المخطوطات الرياضية وما يلحق بها ، وهكذا . . . . إلخ

(١) برجستراسر ، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، إعداد وتقديم محمد حمدي البكري ، مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٩ -٥٠ .

وهنا أشير إلى أن أحد أساتذتنا الأجلاء في مجال التحقيق ممن اطلعوا على عشرات المخطوطات العربية ، وحققوا الكثير ، لا يعرف أرقام حساب الجُمَّل المستعملة في المخطوطات العلمية ، وبخاصة الرياضية والفلكية ، ويعتبرها بدعة ابتكرها أحد ناشري كتب التراث ، فيقول[1] :

« ومما عثرت عليه من تعقيد الأرقام ما صنعه أحد ناشري « أخبار أبي تمام » من الإشارة إلى الأرقام بحروف تحاكي الحروف الرومانية المستعملة في الترقيم ، فالحرف (أ) = ١ ، و(هـ) = ٥ ، و (ي) = ١٠ ، و (ن) = ٥٠ ، و (ق) = ١٠٠ و (ث) = ٥٠٠ ، و (غ) = ١٠٠٠ ، ومعنى ذلك أن الرقم ٨٩٦ يترجم بهذه الحروف (أ هـ ق ي ق ق ق ث) .

« وليست هذه الطريقة بمحتاجة إلى تعليق ، وليست إلا انسياقاً نائماً وراء بعض الأوربيين الذين يرمزون للواحد بالحروف : (I) ، وللخمسين بالحرف : (L) ، وللمائة[2] ، وللخمسمائة بالحرف : (D) ، وللألف بالحرف : (M) ، فالرقم١٨٧ عندهم = CLXXXVII ، والرقم ١٩ = XIX ، والرقم ٢١ = XXI ، واستعمال هذه التعقيدات العددية لا ينجم عنه إلا كدّ الذهن ؛ إلى ما فيه من الخروج على المألوف ، وهو استعمال الأعداد الهندية في أعلى الصفحات أحياناً ، وفي أسفلها حيناً » .

إن الأرقام التي تحدث عنها أستاذنا الجليل تُعرف بأرقام حساب الجُمّل ، وقد وهم في تعريفها[2] ، وأخطأ في التعبير عن رقم مثاله بأرقام حساب الجُمل ، فهل من الممكن أن يقوم أستاذنا بتحقيق مخطوطة رياضية ؟

(١) هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، . . . ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) أرقام حساب الجُمل هي :
أ=١ ، ب=٢ ، ج=٣ ، د=٤ ، هـ=٥ ، و=٦ ، ز=٧ ، ح=٨ ، ط=٩ ، ي=١٠ ، ك=٢٠ ، ل=٣٠ ، م=٤٠ ، ن=٥٠ ، س=٦٠ ، ع=٧٠ ، ف=٨٠ ، ص=٩٠ ، ق=١٠٠ ، ر=٢٠٠، ش=٣٠٠، ت=٤٠٠ ، ث=٥٠٠ ، خ=٦٠٠ ، ذ=٧٠٠ ، ض=٨٠٠ ، ظ=٩٠٠ ، غ=١٠٠٠ .

أي أنه يجب على محقق المخطوطة العلمية أن يكون متخصصًا في العلم نفسه وبتاريخه وبمناهجه وبمصادره وبمراجعه ، إذا كنا نريد أن نحقق تراثنا العلمي وندرسه بشكل علمي دقيق .

– ٢ –

صعوبات تحقيق التراث العلمي ، وافتراقه عن التراث الأدبي والديني :

١ - قلة عدد النسخ :

تعد عملية المقابلة بين نسخ المخطوطة من المراحل المهمّة جداً والمتعبة والدقيقة وينتج عن تلك المقابلة الاختلافات بين النسخ بأنواعها المختلفة : الزيادة ، والنقص ، والخطأ اللغوي والإملائي ، وجميع أنواع التصحيف ، والتحريف ، وغيرها .

ويضعنا تعدد نسخ المخطوطة الواحدة أمام روايات عديدة ، مما يساعدنا على اختيار الرواية الأصح ، والمتناسبة مع أسلوب المؤلف وغرضه من النص ، مما يؤدي إلى إثبات نص أقرب ما يكون إلى نص المؤلف .

ومع الأسف لا نجد – في معظم الأحيان – نسخاً للمخطوطة الواحدة في مجال التراث العلمي ، أو نجد نسخاً قليلة جداً : نسختين أو ثلاث ، بعكس المخطوطات في المجالات الأخرى ، مما يزيد من صعوبة تحقيق النص العلمي . ويعد هذا الفرق مشكلة حقيقية في تحقيق النصوص العلمية .

٢ - أخطاء النساخ :

صعوبة فهم النساخ للمخطوطة العلمية ومصطلحاتها الخاصة :

لانريد أن نعد أنواع أخطاء النساخ في مخطوطات التراث العلمي وأسبابها ، ولكنْ نؤكد على وقوع بعض النساخ في أخطاء كثيرة ومتنوعة فيها ، وذلك بسبب صعوبة فهمه واستعماله لمصطلحات علمية خاصة ودقيقة وغير دارجة في الحياة اليومية أو باللغة العربية الشائعة ، فنجد الدكتور المشوخي يعدد أسباب أخطاء النساخ : فمنها[1] :

« ١ – ضعف معرفة الناسخ بقواعد الإملاء ، وجهله بمعاني الكلمات التي يتولى نقلها إلى نسخته ، فقد ينقل عن نسخة بها تصحيف وتحريف ، أو بها محو أو سقط ، فلا ينتبه إلى كل ذلك » .

« ٢ – تأثر الناسخ باللغة الدارجة ، فقد يبدل بعض النساخ الصحيح في الأصل بالدارج في لغتهم » ، ويستشهد المؤلف بقول برجستراسر التالي[2] : «وكان أكثر خطئهم في الأعداد ، لأن المادة كانت جارية على أن ينطقوا بالأعداد طبق اللغة الدارجة ، ولهذا السبب فإن النسخ التي لا خطأ فيها في الأعداد نادرة » .

ويعترض الدكتور المشوخي على حكم برجستراسر .

وفي الواقع أن أخطاء الأعداد في أية مخطوطة رياضية تؤكد قول

---

(١) المشوخي ، عابد سليمان ، أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ ، ص ٦١ .

(٢) برجستراسر ، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، . . . ، المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ثم ص ١٧ .

برچستراسر ، فقد نشر معهد المخطوطات العربية مخطوطة رياضية بعنوان [1] « أساس القواعد في أصول الفوائد » ، لكمال الدين الفارسي ، فبالاطلاع على الفروق والأخطاء في حواشي الصفحات ، والبالغ عددها أكثر من خمسمائة صفحة ، نجد في معظم تلك الصفحات أخطاء بالأعداد .

ناهيك عن الأخطاء بالمصطلحات العلمية في جميع فروع التراث العلمي : الرياضيات والفلك والميكانيكا والطب والصيدلة والنبات . . وغيرها من العلوم .

ويؤكد برچستراسر أن الناسخ لا ينسخ نسخاً صحيحاً إلا ما يفهم معناه ، فيقول [2] : « وكان النساخ من جهلهم لا يفهمون شيئاً مما كانوا ينسخونه من الكتب في كثير من المواضع ، وشر ذلك في اللغة العربية أكثر منه في اللغات الأجنبية ، لأن حروف اللغات اللاتينية مثلاً تكتب حرفاً حرفاً ، أما الخط العربي فحروفه متصل بعضها ببعض ، لذلك فإن الناسخ لايكاد ينسخ نسخاً صحيحاً إلا ما يفهم معناه » .

فلنتصور برهان مسألة من المسائل الرياضية يملأ عدة صفحات ومن غير استعمال المعادلات والرموز الحديثة ، أو وصفة طبية تتضمن عدة مواد تحمل أسماء غريبة وبأوزان مختلفة ، وبطريقة تحضير طويلة ، أو وصفًا لآلة ميكانيكية دقيقة من غير رسم توضيحي . . . ، إلى آخره من الأمثلة ، من المخطوطات العلمية التي تكون ضحية التحريف والتصحيف من قِبل النساخ بشكل أكبر من المخطوطات الأخرى .

---

(١) الفارسي ، كمال الدين ، أساس القواعد في أصول الفوائد ، تحقيق مصطفى موالدي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

(٢) برچستراسر ، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، . . . ، المرجع السابق ، ص ٨٣، ثم ص ١٧ .

الأشكال الهندسية والرسومات والجداول :

تتضمن المخطوطات العلمية : الرياضية والفلكية والميكانيكية والجغرافية والمتعلقة بالفنون الحربية والنباتية والطبية . . . وغيرها ، رسوماً توضيحية وأشكالاً هندسية وجداولَ، الغاية منها توضيح مضمون النصوص وشرحها وتفسيرها ، أو رصد النتائج ضمن جداول منظمة يمكن استعمالها بسهولة ويسر .

والبحث في تلك الرسوم والأشكال والجداول في المخطوطات العلمية يضعنا أمام ثلاث حالات في معظم الأحيان :

١ – **الحالة الأولى** ، وهي الأكثر شيوعاً : ينقل الناسخ الرسوم والأشكال والجداول بدون الدقة العلمية المطلوبة ، فيغيّر – من غير قصد – التناسب في أطوال الأشكال الهندسية والرسوم التوضيحية ، ونلاحظ تغييراً في الحروف المستعملة في تلك الأشكال والرسوم ، أما الجداول فحدث ولا حرج عن تغيير في الأرقام والحروف .

٢ – **الحالة الثانية** : يهمل الناسخ رسم الرسوم والأشكال وإعداد الجداول، ويترك مكاناً مناسباً فارغاً في المخطوطة في بعض الأحيان .

٣ – **الحالة الثالثة** : ينقل الناسخ الرسوم والأشكال والجداول بدقة علمية ، ولكن إذا كان الناسخ ينقل من مخطوطة صحيحة ،فإن رسومه وأشكاله وجداوله تكون صحيحة ، وإذا كان الناسخ ينقل من مخطوطة سقيمة ، فإن رسومه وأشكاله وجداوله ستكون سقيمة أيضاً .

نعلم أن بعض المخطوطات الأدبية تتضمن رسوماً تزيينية فنية ، ككتاب[1] «**كليلة ودمنة** » لعبد الله بن المُقَفَّع ، وكتاب « **المقامات** » للحريري ،

---

(١) سيد ، أيمن فؤاد ، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، الجزء الثاني ، الدار المصرية القاهرة ،١٩٩٧م ، ص ٣٧١ - ٣٩٧ .

وكتاب « **العُرْس والعرايس** » للجاحظ وغيرها ، ولكن تلك الرسوم تزيينية لا تؤثر على فهم النص أو على محتواه ، فلنتصور تغييرات في أرقام جداول كتب الزيجات التي تشكل الجداول محتواها الأساسي ، وأثر ذلك على عملية تحقيق النصوص العلمية .

وفي تحقيق الرسوم التوضيحية والأشكال الهندسية والجداول ، ينقسم المحققون إلى فريقين :

الفريق الأول : يقترح إعادة رسم الرسوم والأشكال ، وحساب الجداول بشكل يتناسب مع الشرح العلمي الوارد في المخطوطة ، بحجة أن تلك الرسوم والأشكال الهندسية والجداول من نَسْخ النساخ - في معظم الأحيان - وليست من وضع المؤلف ، إلا إذا كانت لدينا نسخة المؤلف .

الفريق الثاني : يقترح المحافظة عليها كما هي ، لأنها وثيقة وطابع خاص بكل مخطوطة ، ولكن في هذه الحالة نحتاج إلى صفحات لإيراد الرسوم والأشكال الهندسية والجداول الخاصة بكل نسخة من نسخ المخطوطة المحققة .

والطامة الكبرى ، عندما تكون المخطوطة مجردة من الرسوم والأشكال الهندسية والجداول ، وهي نسخة وحيدة ، عندئذ تكون عملية التحقيق شاقة جداً .

٣- صعوبة تحديد المصطلحات العلمية في المصادر والمراجع العربية :

يعد تحديد المفهوم الدقيق للمصطلحات العلمية الواردة في التراث العلمي من ضروريات تحقيق المخطوطة العلمية ، وتأتي عملية تحديد المفهوم العلمي في المرحلة التالية لمرحلة المقابلة بين النسخ في عملية التحقق من الشكل الكتابي للمصطلح ومفهومه العلمي واللغوي الدقيق .

ويبين الدكتور عسيلان أهمية التعريف بالمصطلحات بشكل عام ، فيقول[1] : « التعريف بالمصطلحات العلمية التي قد ترد في النص المحقق أمر ذو أهمية بالغة في إيضاح النص وفهمه والإفادة منه » .

ويدلنا الدكتور عسيلان على طريقين يمكن أن نسلكهما للتعليق على المصطلحات وتفسيرها ، فيقول : « الأول منهما يتم بالرجوع إلى العلماء من أهل الاختصاص في العلم الذي يدور حوله المصطلح ، للتعرف على حقيقته . . . ، والطريق الثاني يتمثل في الرجوع إلى المصادر التي تلتقي مع الكتاب الذي نحققه . . . ، ولابد من الرجوع أيضاً إلى المصادر التي تعنى بشرح المصطلحات العلمية قديماً وحديثاً » .

ويذكر الدكتور عسيلان أن معاجم اللغة العربية لاتعطينا المعنى الاصطلاحي للمصطلح العلمي ؛ فيقول: « إنه يمكن الإفادة من معاجم اللغة العربية في بيان المدلول أو المعنى اللغوي للمصطلح ، أما المعنى الاصطلاحي فغالباً ما نفتقده فيها لكثير من المصطلحات العلمية التي تدور في فلك علوم عديدة ، وبخاصة ما يتعلق بالعلوم الطبيعية ، وإن وجد شيء فقد يكون حول بعض مصطلحات العلوم الشرعية واللغوية والأدبية ، ولعل ذلك يعود إلى أن كثيراً من المصطلحات قد استُحدث مع ظهور هذه العلوم وتطورها عبر العصور وفي فترة لاحقة لتدوين أصول المعاجم ، إلى جانب أن اللغويين - القدامى خاصة - قد لا يلتفتون إليها ولا يعنيهم أمرها ، وربما تناول شيئاً منها بالتفسير بعض المتأخرين من شرّاح المعاجم وأصحاب الموسوعات اللغوية ، كالزبيدي في « تاج العروس شرح جواهر القاموس» .

وينبه الدكتور عسيلان إلى نقطة هامة جداً وهي إيجاد الصلة بين مفهوم المصطلح العلمي القديم وما يقابله في العلم الحديث ، فيقول : « وثَم أمر لابد من

---

(١) عسيلان ، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل . . . ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

التنبيه عليه فيما نحن بصدده من تفسير المصطلحات العلمية وشرحها ، وهو أن نراعي في ذلك إيجاد الصلة بين مفهوم المصطلح العلمي القديم وما يقابله في العلم الحديث ، ويتأكد ذلك على وجه الخصوص فيما يتصل بتفسير المصطلحات العلمية في مجال الطب والهندسة ، والفلك والحساب والزراعة والصيدلة وغيرها » .

إذن نحن نواجه جملة من الصعوبات في تحديد مفهوم المصطلح العلمي ، التي قد لا نواجهها عند دراسة المصطلحات الأدبية والدينية ، ومن ثَمَّ نطلب من المحقق لمخطوطة علمية الاجتهاد بوضع معجم للمصطلحات العلمية الواردة في مخطوطته ، وذلك بهدف تحقيق الأغراض التالية :

١ - الفهم الصحيح والدقيق لنص المخطوطة المحققة .

٢ - المساعدة في تحقيق مخطوطات أخرى في العلم نفسه .

٣ - الاستفادة - قدر الامكان - من بعض المصطلحات العلمية الواردة في التراث العلمي العربي ، بإحلالها محل بعض المصطلحات غير الدقيقة المستعملة حالياً .

٤ - تعويض النقص الحاصل في بعض المعاجم والموسوعات العربية .

إن تحقيق المصطلحات العلمية يشكل عبئاً وجهداً شاقًا على محقق مخطوطات التراث العلمي ، وقد لا نجده بهذه الصورة في مجالات التراث الأخرى .

٤- قلة الحواشي الموجودة على الهوامش :

أولاً : لابد من الإشارة إلى أنني لا أقصد بالحواشي والتعليقات النواقص التي يضيفها الناسخ إلى الهوامش أثناء المقابلة بين نسخته والأصل المنسوخ منه .

وكما نعلم فإن الحواشي والتعليقات التي نجدها على هوامش المخطوطات توضح بعض النقاط الغامضة بالنص ، وتضيف معلومات مهمة للموضوع ،

ولاسيما إذا كتبها علماء مشهورون ، فهي تحل للمحقق بعض الإشكالات التي قد يصادفها ، وتدلُّه على مصادر بعض الأفكار الواردة في النص ، وقد تكشف عن بعض أخطاء المؤلف .

ويبين الدكتور المشوخي بعض الفوائد الأخرى ، فيقول[1] : « تكمن أهمية هذه التعليقات بضروبها المختلفة في أنها توضح مدى العناية بتوثيق صحة النص ، ومدى تداوله بين القراء ، ومدى اهتمام العلماء بجزئياته أو كلياته ، ويمكن أن تلعب الاقتباسات دوراً مهمًّا في معرفة شروح بعض الكتب التي لم تصل إلينا ، وفي معرفة بعض المصادر الأخرى المشابهة التي فقدت أيضاً ، كما تعين المفهرس والمحقق معاً على تحديد تاريخ المخطوط إذا لم يكن مؤرخاً ، وبخاصة إذا كانت هذه التعليقات مؤرخة أو مقتبسة من كتاب نعرف تاريخ تصنيفه ، أو منسوبة إلى مؤلفين نعرف تواريخ وفياتهم » .

وعلى الرغم من فائدة الحواشي والتعليقات الكبيرة ، فإننا نجدها قليلة ، وأحياناً معدومة على هوامش المخطوطات العلمية ، بعكس التعليقات والحواشي على هوامش المخطوطات الأدبية والدينية ، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة ، منها :

١ - لا تقبل النصوص العلمية الجدل الكثير .

٢ - المخطوطات العلمية غير مستساغة من قبل الجمهور العادي ، ولا تمنح الفرصة لغير المتخصصين للتعليق عليها ، لصعوبة مضمونها ، بعكس المخطوطات الأدبية والدينية .

٣ - عدم الانتشار الواسع للتراث العلمي ، بعكس التراث الأدبي أو الديني .

إن قلة الحواشي والتعليقات على هوامش المخطوطات العلمية يصعّب عملية تحقيقها .

---

(١) المشوخي ، أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري ، ص ٧٧ .

٥ - أهمية الدراسة :

تكشف دراسة المخطوطة العلمية عن أهمية محتواها من الناحيتين العلمية والتاريخية ، وفيما يلي الهدف من الدراستين :

أولاهما : الدراسة العلمية التي تبين أهمية الأفكار الواردة في النص من الناحية العلمية ، ومقارنتها بالحقائق العلمية الحديثة ، وتحديد الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة ، وتبيان المنهج العلمي الذي اتبعه المؤلف في سرد أفكاره ، هل هو منهج تجريبي أم تحليلي أم تركيبي[١] أم استقرائي ، وما إلى ذلك من مناهج علمية أخرى ، وهل خدم منهجه العلمي في تقديم مادته العلمية ؟

ثانيتهما : الدراسة التاريخية التي توضح موقع المخطوطة من سلسلة تاريخ العلم الذي تعالجه ، ويتم ذلك بالمقارنة مع ما جاء في كتب السابقين له ، وبذلك يتاح لنا تحديد الإضافات التي تضمنها النص . ونقارن محتوى المخطوطة - أيضاً - مع محتويات الكتب التي وضعت بعد المخطوطة المدروسة لبيان أثر ذلك العالم على من جاء بعده .

وتفيدنا كلا الدراستين : العلمية والتاريخية ، في تحقيق النص بشكل دقيق وعلمي وموضوعي ، أي تسبق الدراستان عملية تحقيق المخطوطة ونشرها ، وتحدد الدراستان أيضاً أهمية تحقيق المخطوطة ونشرها أو إهمالها ، إذ لافائدة من هدر الجهد والوقت في تحقيق مخطوطة لا تقدم شيئاً جديداً للعلم وتاريخه .

---

(١) موالدي ، مصطفى ، « طريقة التحليل والتركيب في حل المسائل الرياضية من خلال بعض المخطوطات والمؤلفات العربية » ، الندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب ، رأس الخيمة ، ١٦ -١٩ كانون الأول ١٩٩٦ م.

ويؤكد الدكتور عسيلان ما ننهجه في تحقيق المخطوطات ، فيقول[١] :

« فالمخطوطات على ما لها من قيمة تراثية لا تنكر ، إلا أنها تتفاضل قيمة وأهمية ، وموضوعاً ، ومنزلة ، وقدماً ، وتوثيقاً ، وصحة ، وضبطاً ، ولا ينقص من قيمة المخطوطات أن نقدم في التحقيق والنشر الأهم منها على المهم ، من حيث الموضوع والقيمة التاريخية وما تقدمه من فائدة عامة للعلم والمعرفة ، ولاضير أن نصرف النظر عن نشر المخطوطات التي لا جدوى تذكر من نشرها » .

إننا نعد دراسة المخطوطة علميّاً وتاريخيّاً عملية مهمة وجوهرية في موضوع « تحقيق المخطوطات العلمية » ، لأنها الهدف والوسيلة في التحقيق ، وهذا الهدف لايتطابق - بشكل كامل - مع الهدف من تحقيق التراث الأدبي والديني .

٦ - خصوصية الاختصارات والرموز والتسميات :

نجد في المخطوطات العلمية اختصارات ورموزاً لبعض الكلمات ، وكذلك تسميات خاصة ببعض الموضوعات ، بالإضافة إلى ذلك نجد الاختصارات التي توجد في معظم مخطوطات التراث العربي .

وسنورد على سبيل المثال بعض الاختصارات والرموز والتسميات التي وجدناها في مخطوطة رياضية ، عنوانها : أساس القواعد في أصول الفوائد[٢] ، لكمال الدين الفارسي (توفي عام ٧١٨هـ/ ١٣١٩م) ، وسنذكر رقم الجزء ورقم صفحة واحدة فقط على سبيل المثال :

---

(١) عسيلان ، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل . . . ، المرجع السابق، ص ٤٩

(٢) MAWALDI (Moustafa) , L'Algèlre de Kamal al Din Al-Farisi, Édition Critique, Analyse mathématique et Étude historique, En 3 Tomes, Thèse du Nouveau Doctorat (Univ ParisIII), 1989.

الاختصارات والرموز :

هف = هذا خُلف	(الجزء ١ ، الصفحة ٢١٦)
ح = حينئذ	(الجزء ١ ، الصفحة ٢٣٦)
مح = مُحال	(الجزء ١ ، الصفحة ٣٩٣)
المط = المطلوب	(الجزء ١ ، الصفحة ٦٩٥)
المص = المصنف	(الجزء ١ ، الصفحة ٥٦٠)
ش = الشرح	(في الجزأين ، وفي صفحات عديدة)
تع = تعالى	(الجزء ١ ، الصفحة ٣٣٢)

التسميات :

- **الشكل المأموني** (الجزء ١ ، الصفحة ٤٢٣) ، وهو الشكل الخامس من المقالة الأولى من كتاب « الأصول » لإقليدس . والذي ينص على أن :

« الزاويتان اللتان على قاعدة المثلث المتساوي الساقين متساويتان » .

- **الشكل الملقب بالحماري** (الجزء ١ ، الصفحة ٤٦٦) ، وهو الشكل العشرون من المقالة الأولى من كتاب « الأصول » لإقليدس ، والذي ينص على أن :

« كل ضلعين من أضلاع أي مثلث كان ، فهما معاً أطول من الثالث » .

- **شكل العروس** (الجزء ١ ، الصفحة ٧٥٩) ، وهو الشكل السابع والأربعون من المقالةالأولى من كتاب « الأصول » لإقليدس ، والذي ينص على أن :

« كل مثلث قائم الزاوية فإن مربع وترها يساوي مجموع مربعي الضلعين المحيطين بها » .

إذن فإن هناك بعض التسميات والاختصارات والرموز الخاصة بالتراث العلمي ، لابد من معرفتها ، لتسهيل عملية التحقيق .

٧ - خصوصية المصادر والمراجع المعتمدة :

نحتاج لإعداد الدراسة العلمية والتاريخية لمخطوطة علمية ، إلى مصادر ومراجع خاصة بذلك العلم الذي تعالجه ، وفي دراسة المصطلحات العلمية ، نعود إلى مصادر ومراجع معينة ، حتى بالنسبة لبعض أنواع التوثيق العامة كالأعلام ، يمكن العودة - أحياناً - إلى كتب خاصة بالتراث العلمي ، بالإضافة إلى الكتب العامة ، فعلى سبيل المثال :

لتوثيق اسم طبيب يجب العودة بشكل مباشر إلى كتاب : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ، وذيل الكتاب : « معجم الأطباء » لأحمد عيسى .

إذن تختلف الكتب التي نحتاج إليها في تحقيق التراث العلمي عن الكتب التي نحتاج إليها في تحقيق فروع التراث الأخرى ، بالإضافة إلى الكتب العامة التي نرجع إليها عندما نحقق مخطوطة في أي فرع من فروع التراث العربي .

٨ - قلة عدد الشروحات والتفسيرات :

تُعد الشروحات والتفسيرات التي ألفها العلماء على بعض الكتب هامة جداً في مجال تحقيق النص وفهمه ، وتصحيح ما أصاب عباراته من تصحيف وتحريف ، ومثل هذه الشروحات والتفسيرات قليلة نسبيّاً في مجال التراث العلمي ، بالمقارنة مع التراث الأدبي والديني ، مما يزيد تحقيق التراث العلمي صعوبة .

- ٣ -

المنهج المتبع في تحقيق المخطوطات العلمية :

إن المنهج المتبع في تحقيق المخطوطات العلمية يلتقي في بعض نقاطه مع المنهج المتبع في تحقيق المخطوطات العربية بشكل عام ، ويختلف في نقاط أخرى .

لقد وضع أساتذة أجلاء كتباً عديدة في مجال تحقيق المخطوطات العربية ، ارتكزت على خبرتهم الطويلة في مجال تحقيق المخطوطات الأدبية والدينية

والتاريخية – بشكل أساسي – واستفدنا من تلك الكتب استفادة عظيمة في مجال التحقيق ، بالإضافة إلى الخبرة التي تعلمتها من أستاذي الأول في حياتي العملية الأستاذ الدكتور أحمد يوسف الحسن ، في مجال تحقيق المخطوطات الميكانيكية ، والخبرة التي اكتسبتها من أستاذي د. رشدي راشد ، الذي علمني كيفية البحث في التراث الرياضي وتحقيقه – أثناء عملي برسالة الدكتوراه – ويضاف إلى ذلك الخبرة التي تعلمتها أثناء إشرافي على رسائل طلابي في الدبلوم والماچستير في مجال تحقيق المخطوطات الطبية والهندسيةوالتاريخية ، وقد طبقت كل هذه المعارف على أبحاثي التي أقوم بها في مجال تحقيق المخطوطات الرياضية وما يتعلق بها .

ولن أكرر ما ذُكر في الكتب المتعلقة بتحقيق المخطوطات ، وسأقتصر هنا على ترتيب المراحل بشكل متلاحق ، وأوضح النقاط الخاصة بالتراث العلمي .

١ - اختيار المخطوطة :

يُبنى اختيار المخطوطة على تقدير الأساتذة في هذا العلم ، على احتمال وجود إضافة جديدة في الموضوع الذي تدرسة المخطوطة ، بعد التأكد من عدم تحقيق المخطوطة تحقيقاً علميّاً دقيقاً سابقاً .

٢ - دراسة المخطوطة :

نقوم بإعداد الدراسة العلمية والتاريخية لهذه المخطوطة بشكل مبدئي ، ونحقق عنوان المخطوطة واسم المؤلف ونسبة الكتاب إلى مؤلفه . بعد القيام بتلك الدراسةنحن أمام احتمالين :

– **الاحتمال الأول** : وجود إضافة جديدة لهذا العلم ، وبالتالي نتابع مراحل التحقيق .

– **الاحتمال الثاني** : عدم وجود إضافة جديدة لهذا العلم ، وبالتالي نعود لاختيار مخطوطة أخرى .

٣ - جمع نُسخ المخطوطة [1] :

نبحث عن أماكن وجود النسخ من خلال المراجع المعروفة وفهارس المكتبات ، ونحاول دراسة النسخ ، إما بشكل مباشر – وأعتقد بأنها طريق صعبة لأسباب كثيرة – أو دراسة النسخ من الفهارس العلمية – إذا وجدت – التي تكشف عن محتوى النسخ وكافة المعلومات الوصفية الدقيقة لكل نسخة على حدة ، فإذا وجدنا تطابق المعلومات – بشكل كامل – بين نسختين أو اكثر ، فنختار نسخة واحدة من هذه المجموعة ، وهكذا نفعل في كل مجموعة ، وبعد ذلك نحاول الحصول على صور ميكرو فيلمية عن جميع النسخ المختلفة ، قدر الإمكان .

٤ - اختيار المخطوطة « أساس المقارنة » :

المخطوطة الأم هي المخطوطة الأكمل (لتوفير الوقت) ، والأوضح خطّاً (لتسهيل المقارنة مع باقي النسخ) ونحددها اعتماداً على إحصاء لعدد الكلمات الكلي التقريبي للنسخ ، من خلال تطبيق المعادلة التالية :

عدد كلمات المخطوطة : عدد صفحات المخطوطة × عدد الأسطر في الصفحة الواحدة × عدد الكلمات الوسطى في السطر الواحد .

٥ - نَسخ المخطوطة الأم :

ننسخ المخطوطة الأم على ورق بخط واضح ، أو نطبع النص بالآلة الكاتبة أو بالحاسوب ، بحيث يكون النسخ صفحة بصفحة ، وسطراً بسطر . والهدف الأساسي من النسخ هو قراءة الكلمات التي لاتكون واضحة ، قراءة موحدة وثابتة مع كل المقارنات مع النسخ الأخرى .

---

(١) المنجد ، صلاح الدين ، قواعد تحقيق المخطوطات ، الطبعة العربية السادسة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢ ، ص ١٢ .

٦ - المقابلة بين النُسخ :

نعقد المقابلات ونسجل جميع الفروقات بين النسخ مهما كان نوعها . وأثناء هذه العملية نسجل الأوصاف الداخلية والخارجية لكل نسخةمن النسخ المدروسة .

٧ - إعداد شجرة المخطوطات :

نقوم بإعداد شجرة المخطوطات ، اعتماداً على « طريقة النواقص المهمة » ،[1] التي تقوم على دراسة نسخ المخطوطة ، اعتماداً على الاختلافات بينها ، دراسة علميةرقمية مقارنة ، سعياً إلى فهم مراحل تطور كتابة النص ، وإثبات أو نفي وجود علاقة بينها .

وترتكز « طريقة النواقص المهمة » على المبادئ العامة التالية[2] :

١ - النسخة التي تتضمن نواقص مهمة ،وهذه النواقص لا توجد في أية نسخة أخرى ، لا يمكننا اعتبارها أصلاً وحيداً لأية نسخة أخرى .

٢ - إذا كان هناك جملة ناقصة في إحدى النسخ ، وهذه النسخة تعتبر نسخة من نسخ عائلة واحدة ، وجب أن تكون تلك الجملة ناقصة في جميع نسخ تلك العائلة .

٣ - النسخ التي ينقصها جمل ، وهذه الجمل ناقصة من نسخ تنتمي إلى عائلات أو مجموعات مختلفة ، يجب اعتبارها نسخاً كتبت أو نسخت من عدة أصول في نفس الوقت أو بالتتالي .

---

(١) موالدي ، مصطفى ، « طريقة جديدة في تأصيل النسخ الخطية (أساس القواعد نموذجاً) » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣٦ ، الجزآن ١ ، ٢ - جمادى الآخرة، ذو الحجة ١٤١٢هـ/ يناير، يوليو ١٩٩٢م، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة، ص١٦٩-٢٠١.

(٢) ALLARD (A.), Cours d'Histoire des Textes, à L'Université de Paris VII, L, Année Scolaire 1985 - 1986, (Inédit).

٨ - التعريف بمواد المخطوطة :

نحدد معاني المصطلحات العلمية بكافة أنواعها ، ونترجم للأعلام ، ونحدد مواقع الأماكن . . . ، ونكشف عن الكلمات الصعبة والغريبة ، وكل ما نجده في المخطوطة من مواد بحسب موضوعها ، وذلك بالعودة إلى المعاجم والقواميس والمصادر والمراجع العلمية ذات الاختصاص في عصور مختلفة .

ونهدف من ذلك إلى تحديد شكل كتابة تلك المواد بشكل دقيق ، ومعانيها العلمية المحددة ، ومن ثَمَّ إثبات النص وإعداد الفهارس .

٩ - إثبات النص :

نقوم بإثبات النص اعتماداً - بشكل أساسي - على ما يلي :

- الفروقات بين النسخ .
- شجرة المخطوطات .
- الدراسة العلمية والتاريخية .
- التعريف بمواد المخطوطة .

وأثناء إثبات النص نقوم بما يلي:

تصحيح كافة التغييرات في النص :

(الزيادة ، النقص ، التصحيف والتحريف ، والتغيير والتبديل . . .) ، والأخطاء (اللغوية و الإملائية) ، والإشارة إلى ذلك ، إما في الحواشي مع الفروقات ، أو في فقرة : منهجنا في التحقيق أثناء كتابة المقدمة .

استعمال الرموز والأقواس والخطوط :

< > القوسان المكسوران يحصران ما نضيفه .

[ ] القوسان المربعان يحصران ما نقترح حذفه .

/ ابتداء صفحة مخطوطة .

و وجه صفحة مخطوطة .

ظ ظهر صفحة مخطوطة .

الحـــواشي :

تتضمن الحواشي بشكل أساسي الفروقات بين النسخ : الرواية المثبتة والروايات الواردة في النسخ الأخرى ، وبعض التعليقات الضرورية جداً لفهم النص .

الشـــكل :

ضبط الأشعار والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والكلمات النادرة ، والأفعال المبنية للمجهول ، والكلمات التي تحتمل معنيين مختلفين بدون الشكل ، فعلى سبيل المثال : كلمة « خمسين » ، يمكن ان تُفسر كما يلي : « خَمسين = ٥٠ » أو « خُمسين = $\frac{٢}{٥}$ » .

استعمال علامات الترقيم :

نقوم بإضافة علامات الترقيم للنص ، النقاط (. . .) . النقطتين (:) ، الفواصل (،) ، إشارة الاستفهام (؟) ، علامات التنصيص« . . . » . وذلك لتسهيل قراءة النص وفهمه ، ولتجنب أي غموض .

تقسيم النص :

نقسم النص الأصلي إلى مقالات وأبوب وفصول وفقرات ومسائل ، بحسب طبيعة النص العلمي .

العنـــاوين :

نورد عناوين المقالات والأبواب والفصول ضمن النص ونضعها في منتصف الصفحة وعلى سطر واحد أو عدة أسطر .

ونضيف عناوين للأقسام السابقة ، في حالة عدم وجود عناوين ، ونضعها بين القوسين الخاصين بالإضافة من قبلنا .

الكتابة :

نتقيد بالأشكال الإملائية المقبولة في مجمل النص .

الأشكال الهندسية والأحرف المتعلقة بالمقادير الهندسية :

إن الأشكال الهندسية من إعداد النساخ – عادة – لذا نقوم بإعادة رسمها وفق مضمون النص بدون إدراج الأشكال الهندسية الأولى – الواردة في النسخ – في الحواشي .

الجـــداول :

نقوم بتصحيح الجداول وفق مضمون النص دون إدراج الجداول الأولى – الواردة في النسخ – في الحواشي .

١٠ - مراجعة الدراسة العلمية والتاريخية وتدقيقها :

نقوم بإعادة النظر بالدراسةالعلمية والتاريخية بعد إثبات النص بشكل نهائي ، ونستكملها .

١١- إعداد الفهارس :

تعد عملية إعداد الفهارس من المراحل الهامة جداً في تحقيق المخطوطة العلمية لما لها من فائدة جمة للباحثين والدارسين للتراث بشكل عام .

وترتبط طبيعة الفهارس بطبيعة مواد المخطوطة بشكل جوهري ، فعلى سبيل المثال نقوم بإعداد فهارس للأعلام ، وللكتب ، وللأماكن ، وللنظريات العلمية ، ولوحدات المقاييس والأوزان وما يقابلها من الوحدات الحديثة . . . إلى آخره .

ونقوم بإعداد فهارس للمصطلحات العلمية : أسماء الأمراض ، والأدوية ، والنباتات ، والآلات الميكانيكية ، والأدوات . . . إلخ .

١٢ - إعداد المقدمة[١] :

نقوم بإعداد المقدمة ، وتشمل الفقرات الأساسية التالية :

- مقدمة قصيرة تكشف عن الكتاب في علمه وأصالته .

- ترجمة المؤلف ومنهجه العلمي .

- وصف للمخطوطات المستخدمة في التحقيق ، وشجرة المخطوطات ، مع إثبات صورة في بداية كل نسخة ونهايتها .

- بيان المنهج المتبع في التحقيق .

١٣- ترتيب إخراج المخطوطة المحققة :

نرتب مواد المخطوطة المحققة كما يلي :

- المقدمة .

- النص المحقق .

- الدراسة العلمية .

- الدراسة التاريخية .

- الفهارس .

- المصادر والمراجع .

* *

(١) عبد التواب ، رمضان ، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م ، ص ١٧٥ - ٢١٢ .

ويجب أن نذكّر أخيرًا بما أقرته لجنة وضع مشروع « أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه » ، التي اجتمعت في بغداد خلال الفترة ٢٠ - ٢٩/ ٥/ ١٩٨٠م ، برعاية معهد المخطوطات العربية - من قواعد عامة ، وهي : [١]

« ١ - أن يكون تحقيق التراث في أيد أمينة ، قادرة عليه ، فلا يطاله من لم تكتمل أدواته اللغوية والعلمية والفنية .

٢ - أن يُبنى التحقيق على مناهج منظمة وأولويات مرتبة .

٣ - أن تخضع أعمال حديثي العهد بالتحقيق للتدقيق والمراجعة ، على أن يتحمل الأستاذ المراجع التبعة العلمية في ذلك كاملة .

٤ - أن تصرف عناية خاصة إلى التراث العلمي ، استجابة للحاجة الحضارية الراهنة ، وتحقيقاً للتوازن بين التراثين : العلمي والأدبي .

٥ - أن تنشأ في العواصم العربية فروع لمعهد المخطوطات العربية ، يودع في كل فرع منها نسخ من الرقوق المصورة المحفوظة في مقر المعهد .

٦ - أقرت اللجنة أن تكون للتحقيق ثلاثة مقاصد ، وأن تُراعى هذه المقاصد في وضع المنهج والتوصيات :

الأول : تقديم النص صحيحاً مطابقاً للأصول العلمية .

الثاني : توثيق النص نسبة ومادة .

الثالث : توضيح النص وضبطه .

* * *

(١) لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه ، معهد المخطوطات العربية ، محضر الاجتماع الذي عقد في بغداد ٢٠-٢٩/ ٥/ ١٩٨٠م.

المصادر والمراجع

١ - برجستراسر ، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، إعداد وتقديم محمد حمدي البكري، مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

٢ - سيد ، فؤاد ،الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، جزآن ،الدار المصرية - اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

٣ - عبد التواب ، رمضان ، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٤ - عسيلان ، عبد الله بن عبد الرحيم ، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٥ - الفارسي ، كمال الدين ، أساس القواعد في أصول الفوائد ، تحقيق مصطفى موالدي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٦ - لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه ، أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه ، معهد المخطوطات العربية ، محضر الاجتماع الذي عقد في بغداد ٢٠-٢٩/ ٥/ ١٩٨٠م .

٧ - المشوخي ، عابد سليمان ، أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٨ - المنجد ، صلاح الدين ، قواعد تحقيق المخطوطات ، الطبعة السادسة ، دارالكتاب الجديد، بيروت، لبنان ، ١٩٨٢م .

٩ - موالدي ، مصطفى ، « تطور موقع الرياضيات عند مصنفي العلوم في الحضارة العربية » ، المؤتمر السنوي العشرون لتاريخ العلوم عند العرب ، ٢٥-٢٧ أيلول ١٩٩٩م ، معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب - سورية ، تحت الطبع .

١٠ - موالدي ، مصطفى ، « طريقتا التحليل والتركيب في حل المسائل الرياضية من خلال بعض المخطوطات والمؤلفات العربية » : الندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب ، رأس الخيمة ، ١٦ - ١٩ كانون الأول ١٩٩٦م ، تحت الطبع .

١١ - موالدي ، مصطفى ، طريقة جديدة في « تأصيل النسخ الخطية (أساس القواعد نموذجاً) » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣٦، الجزآن ١ ، ٢ - جمادى الآخرة، ذو الحجة ١٤١٢ هـ/ يناير ، يوليو ١٩٩٢م ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة .

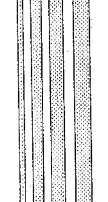
١٢ - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، منهج تحقيق المخطوطات ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، إيران ، ١٤٠٨هـ .

١٣ - هارون ، عبد السلام ، تحقيق النصوص ونشرها ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

14 - ALLARD (A.), Cours d,Histoire des Toxtes, àL'Université de Paris VII, L' Année Scolaire 1985 - 1986, (Inédit).

15 - MAWALDI (M.), ALgèbre de Kamàl al-Din Farisi, Edition Critique, Analyse mathématique et Étude historique, En 3 Tomes, Thése du Nouveau Doctorat (Univ Paris III).

* * *



من يحقق التراث العلمي؟

د. ماهر عبد القادر محمد علي

سؤال مهم يحتاج إلى إجابة ، أو قل : إلى رأي و نقاش ، خاصة مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة ، ومع توديع أطروحات واستقبال أطروحات أخرى . سؤال نحتاج إلى طرحه الآن لبيان مدخلات العقل إبستمولوجيًا ، وإنتاجه تواصليًا . وهو أيضاً سؤال تلعب فيه الرؤية الإبستمولوجية دوراً مهمًا وفاعلاً ، لأنه يفصل ويمنع . يفصل بين تصورين ، أولهما : « التراث العلمي » ، وهو موضوع حديثنا ، وثانيهما «التراث»[1] بإطلاق ، وهو ليس موضوعاً لحديثنا . ويمنع دخول تصورات أخرى في مدلول التراث العلمي كبنية معرفية تنطلق من خلالها بنيات أخرى لابد من التعامل معها ، ولابد من التوقف عندها لنعرف مكوناتها .

ويجب أن نعترف منذ البداية أن تعاملنا مع التراث العلمي تحقيقاً ، جاء متأخراً بصورة كبيرة عن الجهود التي بذلها علماء الاستشراق في هذا المجال . ولهذه الظاهرة أسباب متعددة ، من بينها :

أولاً : أن الرعيل الأول من المحققين العرب تتلمذ على أيدي المستشرقين ، دراسة وفهمًا وتكوينًا . وكانت غاية هؤلاء أن يهتم المحقق أو الدارس العربي

(١) على صعيد الدراسات الإبستمولوجية ، ناقش حسن حنفي في كتابه «دراسات إسلامية» (١٩٨٢) تحت عنوان «تراثنا الفلسفي» قضية التراث وعلاقتها بالعديد من القضايا الأخرى ، وأثبت نظريته الأساسية بالنسبة للتراث الفلسفي الذي حدده بأنه «مجموع ما وصل إلينا من نظريات في المنطق والطبيعيات والإلهيات ومازالت تؤثر في سلوكنا اليومي وتحكم تصورنا للعالم ، وتعطينا موجهات للسلوك ، وتكون أحيانا الجذور التاريخية لأزماتنا ومآسينا وعثراتنا في قضايا التقدم والتغير الاجتماعي» . راجع في ذلك : حسن حنفي ، دراسات إسلامية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٨٥ .

بالنصوص الأدبية من شعر وأدب ونحو وبلاغة ومناظرات وفقه وفلسفة ، والهيئات وغيرها . وقد وجدت هذه المسألة هواها في نفوس المحققين ، إذ إن هذه المسألة لا شك أنها تعبر عن نسيج اللغة العربية وآدابها وهي لغة القرآن الكريم ، وهي لغة الأمة ، والحبل السري الذي يربط الحاضر بالماضي . ومن ثم وجبت العناية بتلك العلوم بالدرجة الأولى من أجل معرفة جوانب الأصالة في الفكر العربي الإسلامي .

وربما جاءت هذه المسألة في فترة مهمة من فترات التاريخ العربي كانت فيها البلدان العربية ترزح تحت نير الاستعمار الذي حاول طمس الهوية وتذويب الذات ، وحاول ضرب اللغة العربية في الصميم ، كما حدث في بلدان المغرب العربي مثلاً .

والجدير بالذكر أيضاً أن مثل هذا التوجه الذي انصب على الدراسات الأدبية وجوانبها وتخصصاتها المختلفة ، إنما جاء مواكباً لفترة ازدهار أدبية في العالم العربي ، خاصة في الثلاثينات والأربعينات ، وهذه فترة شكلت فيها الصالونات الأدبية للكتاب والأدباء العرب واجهة ثقافية جمعت في طياتها كل الاتجاهات ، وصدرت من خلالها حركات نقدية لها اعتبارها وقيمتها في الحياة الثقافية العربية .

ثانياً : أن أنظار العلماء العرب وتوجهاتهم في التخصصات المختلفة لتحقيق التراث العلمي جاءت متأخرة نسبيًا ، رغم وجود كتابات في حقل تاريخ العلوم عند العرب ، وهو ذلك الحقل الذي يشكل فرع التحقيق جزءاً مهمًا منه . وربما كانت هناك أسباب عديدة لمثل هذا التأخر ، من بينها إدراك الأهمية النسبية للمخطوطات العلمية ، وتراجُع أهمية تحقيق المخطوطات العلمية لدى عدد كبير من الباحثين في الفترة السابقة على الستينات . وتساءل أكثر الباحثين عن جدوى النظريات العلمية المطروحة في المخطوطات العربية القديمة ، وهل تشكل أساساً علميًا ، أم أنها مجرد آراء ونظريات قيلت في عصر أقرب إلى الأسطورة منه إلى العلم ؟ وغير هذه التساؤلات مما جاء بفكر الباحثين وقتئذ .

ثالثاً : أضف إلى هذا أن الهيئات العلمية والمؤسسات والجامعات لم تفسح المجال للباحثين لتقديم دراسات في هذا المجال ، ولم تخصص لهم الأموال اللازمة للحصول على نسخ المخطوطات أو الميكروفيلم أو الأجهزة والأدوات اللازمة لقراءة المخطوط والتعامل معه . وهذه كلها مسائل تكلف الكثير من الأموال التي قد تكون فوق طاقة الفرد . في الوقت الذي كان فيه علماء الغرب يدرسون تراثنا العلمي ويستفيدون منه ، ويقدمون الاستشارات الفنية والعلمية لدولهم للتعامل معنا . فكأننا بأيدينا نقدم أسلحتنا الفكرية للآخر ، ونحجم نحن عن التعامل مع تراثنا .

ولكن قبل أن نخوض في كثير من التفصيلات حول هذه المسائل وغيرها علينا أولاً أن نحدد تصورنا للتراث العلمي من خلال تصور التراث ذاته ، إذ إن أبسط القواعد المنطقية والمنهجية تقتضينا أن نبين موقع التصور الذي نتعامل معه ، حتى نعرف مفرداته وبنيته الأساسية . التراث العلمي كما ننظر إليه يشتمل على الأعمال التي تقع في مجال الرياضيات والعلم الطبيعي بكافة جوانبه والمنطق .

وربما كان السبب في هذه النظرة أن هذه المجموعة من العلوم تتمتع بنظرة موضوعية أكبر ، كما أن نظرياتها مما يقبل التحقيق التجريبي أو البرهان الرياضي .

وهذا يعني أن صفة العلمية تنصبّ على الموضوع أساسًا وهو التراث ، وينسحب من هذه الدائرة تصور التحقيق الذي يجب أن يخضع لمعايير يعرفها كل مشتغل بالتراث .

النموذج :

وفي هذا الإطار نقدم بعض النماذج التي تشير إلى منظومة تحقيق التراث العلمي ، والتي يمكن الإشارة إليها كما يلي :

١ - نموذج تحقيق كتاب العشر مقالات في العين ، المنسوب إلى حنين بن إسحاق ، وهو الذي قدمه العلامة ماكس ماير هوف ، من خلال التحقيق الذي أصدر طبعته عام ١٩٢٨ .

٢ – نموذج تحقيق كتاب المناظر للحسن بن الهيثم ، الذي قدمه الدكتور عبد الحميد صبره ، وصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت عام ١٩٨٣ .

٣ – نموذج تحقيق مقالة ثمرة الحكمة للحسن بن الهيثم ، وهو الذي قدمه الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ، وصدر في القاهرة عام ١٩٩١ .

٤ – نموذج تحقيق كتاب اللمع في الحساب لابن الهائم .

أما أساس اختيار النماذج الأربعة المشار إليها فيرجع إلى عدة عوامل أهمها :

١ – أن نموذج العلامة ماير هوف[(١)] ، طبيب العيون الذي عمل بالقاهرة فترة طويلة ، يعد من النماذج المبكرة في التحقيق ، هذا من جهة ، كما أنه يتعلق بإحدى المخطوطات العلمية القديمة المهمة في مجال علم الطب وفي فرع طب العيون بالذات ، الفرع الذي تخصص فيه ماكس مايرهوف ، وهذا من جهة أخرى . وهذا النموذج يبين بوضوح أن المحقق قد حصل في ذهنه مفردات العلم الذي يتعامل معه .

يشير العلامة ماكس مايرهوف إلى أن كتاب «العشر مقالات في العين»، لحنين ابن إسحاق ، أقدم كتاب في طب العيون ، ألف على الطريقة العلمية . وقد جاءت هذه العبارة على صدر صفحة الغلاف . ومعنى هذه العبارة أنه قد سبقت هذا الكتاب كتابات أخرى في طب العيون ، لكنها لم تنهج الطريقة العلمية التي امتاز بها كتاب حنين بن إسحاق . ومعنى هذا أن طب العيون لون من ألوان المعرفة العلمية المنظمة ، إنما ترجع أصوله ومفرداته إلى الدراسات العربية القديمة .

وانطلاقاً من هذا التصور نجد مايرهوف يبدأ مقدمته باستعراض أبحاث

(١) ماكس مايرهوف ، كتاب العشر مقالات في العين ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٢٨ .

هيرشبرج في مجال طب العيون ، وينتقل من هذا إلى حصر المصنفات العربية القديمة في أمراض العيون ووصفها ، وقد أحصاها في سبعة عشر مصنفًا وصفها في ما بين الصفحات (٦ – ١٤) ، حيث أشار إلى ما طبع منها وما لم يطبع .

وينتقل ماكس مايرهوف إلى تناول حياة حنين بن إسحاق وتلمذته على يوحنا ابن ماسويه ، ثم انصرافه عنه ، وإجادته اللغات ، وصلته بآل بختيشوع ، وصلته وقربه من المأمون والمتوكل على الله ، وزياراته ورحلاته لجمع المخطوطات ، ومحنته أيام المتوكل ، وأهم تلامذته .

ثم يناقش الحياة العلمية لحنين بن إسحاق ، ويشير إلى ما ترجمه من الكتب ، وأسلوبه في الترجمة . ويعد هذا مدخلاً ضروريًا لمناقشة موضوعات الطب العام ، وطب العيون بصفة خاصة ، وكتاب « العشر مقالات في العين » ومكانته ومقالاته .

وينتقل من هذا لمناقشة كتاب « المسائل في العين » ، وكتاب« تركيب العين » ، وكتاب « اختبار أدوية العين » ، وأخيراً كتاب « علاج أمراض العين بالحديد » .

ويبين مايرهوف من خلال دراساته لطب العيون في أوربا وخبرته بالدراسات اللاتينيةومعرفته الوثيقة بالأبحاث التي صدرت في العصور الوسطى ، وما يتضمنه كتاب العشر مقالات في العين ، أن الرازي الطبيب اقتبس من هذا الكتاب فقرات مسهبة في كتاب «الحاوي» ، وأن أبحاث هيرشبرج تثبت أن نص العشر مقالات موجودة في ترجمات لاتينية زائفة ، ففي كتاب « طب العيون » لقسطنطين الإفريقي (المطبوع في كليات إسحاق الإسرائيلي سنة ١٥١٥م) تسع مقالات منه ، وفي (كتاب طب العيون لجالينوس ترجمة دميطريوس) ، وبالأخص

التسع مطبوعات التي طبعت في البندقية عند جوتا – صاحب مطبعة – من سنة ١٥١٤ إلى سنة ١٦٢٥م[1] .

ويشير مايرهوف إلى أن قسطنطين الإفريقي « لم يكن يحترم ملكية العرب الروحانية (الذاتية) وحقوقهم الأدبية ، فكان يترجم كثيراً من كتبهم وينسبها لنفسه ، وقد انتحل كتاب « العشر أو التسع مقالات في العين » ، وجعل عنوان ترجمته (كتاب قسطنطين الإفريقي في طب العيون) »[2] .

ويبين مايرهوف كيف أنه حصل في عام ١٩٠٨ على هذا الكتاب من مكتبة أحمد تيمور باشا ، وكيف أنه استفاد من هذه المكتبة التي وصفها بأنه « لا تضارعها مكتبة في الشرق الأدنى من حيث النظام والترتيب والعناية بما فيها من نفيس الكتب ، والحرص عليها حرصاً بالغاً »[3] ، وكذلك يشير إلى محاولته العثور على نسخ أخرى . وقد حصر نسخ هذا الكتاب في أربع .

وأخيراً يشير مايرهوف إلى محتويات العشر مقالات في العين تفصيلاً ، والنسخ الخطية لهذا الكتاب ، ثم يتحدث عن ترجمته إلى اللغة الإنجليزية .

٢ – أن نموذج العلامة عبد الحميد صبره[4] الذي كرس حياته لدراسات ابن الهيثم محققاً وشارحاً ومفسراً ، بالإضافة إلى الإعداد العلمي الذي تلقاه في مجال الطبيعيات وعلم الضوء بصفة خاصة ، يفسر لنا مدى العناية الفائقة التي أولاها الدكتور عبد الحميد صبره لتحقيق كتاب المناظر .

والواقع أن عبد الحميد صبره من الأعلام القلائل المعروفين عالميًا في مجال تاريخ العلم بصفة عامة ، وتاريخ العلم العربي بصفة خاصة . وأبحاثه في العالم

(١) المرجع السابق، ص ٤١ .
(٢) المرجع السابق، ص ٤١ .
(٣) المرجع السابق، ص ٤٣ .
(٤) عبد الحميد صبره، كتاب المناظر للحسن بن الهيثم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣ .

الغربي معروفة وذائعة ، خاصة تلك التي نشرها عن الحسن بن الهيثم الذي وقف حياته تقريباً عليه .

وأهمية نموذج صبره الذي اخترناه يتمثل في النشرة العلمية المحققة لكتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم ، الذي صدر عن الكويت عام ١٩٨٣ . ويرتبط بهذا أن كتاب ابن الهيثم شكل بعداً مهمًا من أبعاد تطوير الحركة العلمية في أوربا منذ العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، بل إنه شكل عصب «علم البصريات» بأكمله ، وقد ترجم إلى اللاتينية في فترة مبكرة « تتعاصر » مع حياة المؤلف ذاته أو بعد وفاته بقليل . وعلى أساس هذا الكتاب قامت دراسات كبار العلماء الأوربيين في مجال علم الضوء خاصة نيوتن وهيجنز .

والواقع أن عبد الحميد صبره قدم لتحقيقه الرائع بتحديد مصادر سيرة الحسن ابن الهيثم عند ابن القفطي وابن أبي أصيبعة ، ثم انتقل إلى مصادر مصنفاته ومؤلفاته فى مجال البصريات ، ومكانة كتاب « المناظر » بينها ، وألقي الضوء التفصيلي على مخطوطات المقالات الثلاث الأولى لكتاب المناظر .

وينتقل صبره من كل هذا إلى كتاب « تنقيح المناظر » الذي وضعه كمال الدين الفارسي (– ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) . ثم يتناول بشيء من التفصيل الترجمة اللاتينية لكتاب « المناظر » ومنحنياتها وظروفها المختلفة، وما تمثله من أهمية في فهم الظروف التي أحاطت بها في أوربا وتداولها بين أيدي العلماء . وأخيراً ينتقل إلى التحقيق والأسلوب الذي استخدمه في إخراج النص المحقق .

والسؤال الجدير بالذكر في هذا المقام : ما القضايا التي طرحها عبد الحميد صبره في تحقيقه ، وأراد أن ينبهنا إليها باعتباره محققاً علميًا ؟ إن علينا هنا أن نجري تحليلاً لبعض العبارات التي وردت في مقدمته ، والتي من أهمها :

أ – الإشارة إلى مسألة الاعتماد على كتاب كمال الدين الفارسي وخطورتها ، لوقوع التحريفات فيها . وفي هذا الصدد يقول في المقدمة « أن

كمال الدين اتبع أيضا في (تنقيحه) أسلوباً في العرض ميز فيه بين ما ينسبه إلى ابن الهيثم وما ينسبه إلى نفسه ، فصدر الكلام المنسوب إلى ابن الهيثم بكلمة (قال)، وصدر المنسوب إلى نفسه بكلمة (أقول) . وقد يدعو ذلك إلى الظن بأن الكلام التالي لكلمة (قال) هو قول ابن الهيثم بلفظه، والحق أنه مأخوذ من كتاب «المناظر» ، بعد أن تصرف فيه كمال الدين ضروب التصرف التي رآها مناسبة» [1] .

إن هذا القول الذي يقدمه لنا صبره يشكل قاعدة مهمة لابد أن يخضع لها المحقق العلمي في عمله أثناء عملية التحقيق . وهذه القاعدة تتمثل في ضرورة أن يجيء « تحقيق نص الكتاب تحقيقاً يهدف إلى أن يجيء على الصورة التي أداه بها مؤلفه ، بريئاً مما طرأ عليه من تحريف . . . . . أداء لحق الأمانة العلمية[2] .

ب - والمحقق العلمي يسعى بصورة متواصلة لاستكمال النقص الذي يمكن أن يؤثر على بنية العمل الذي يقوم بتحقيقه ، وهذا ما فعله صبره في تحقيق كتاب «المناظر» . يقول لنا في فقرة مهمة : « لهذه الأسباب لم نجد فائدة من معارضة نص المقالات الثلاث الأولى من كتاب « المناظر» على كتاب «التنقيح» . ولكن الأمر مختلف تماماً فيما يتعلق بالمقالات الرياضية في كتاب « المناظر» ، وبخاصة المقالة الخامسة، فإن خلو هذه المقالة من الرسوم في مخطوط الفاتح رقم ٣٢١٥ ، ومخطوط أيا صوفيا ، يجعل لكتاب «التنقيح» أهمية خاصة، بشرط التحرز من الأخطاء الكثيرة في طبعة حيدر أباد ، والاستعانة بمخطوطات «التنقيح» التي يوجد منها عدد غير قليل » [3] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) طه الحاجري ، « تحقيق التراث : تاريخاً ومنهجاً » . عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول ، ١٩٧٧ ، ص١٨ .

(٣) كتاب المناظر، ص ٤٦ .

ومسألة الإكمال التي يقوم بها المحقق العلمي على هذه الصورة ، إنما تعني أن يستكمل المحقق ما نقص من الأشكال أو الرسوم أو غيرها من النسخ الأخرى التي يكون قد استبعدها لسبب أو لآخر ، مما قد يفيد النص ولا يبدد هويته . ويجب أن نلاحظ في هذه الحالة أن المحقق العلمي الملم بالموضوع والدارس لطبيعته ، والمتخصص فيه أصلا ، هو وحده الذي يستطيع تقدير النقص ومواضعه واستكماله .

جـ - كذلك أشارت المقدمة إلى مهمة خاصة لمن يقوم بتحقيق التراث العلمي ، وهو ما يبدو من تقدير دور الترقيم والضبط وأهميتهما . أما عن المسألة الأولى فقد أوضحها صبره بقوله : «وقسمنا النص إلى فقرات مسلسلة في كل فصل من فصول المقالات على حدة، وسرنا على هذا النهج أيضا في الترجمة الإنجليزية . وبذلك صار لكل فقرة من فقرات المقالات الثلاث الأولى رمز ثابت في النسخة العربية والترجمة الإنجليزية، يتألف من ثلاثة أرقام : أولها رقم المقالة ، وثانيها رقم الفصل ، وثالثها رقم الفقرة»[1] . إن هذه السمة تشكل بعداً مهماً في إطار عمل المحقق العلمي الذي يسعى إلى تقديم النص بالصورة التي تناسب المفكرين الذين سوف يطلعون عليه . وأما الخاصية الثانية فهي خاصية الضبط الذي يجب أن يخضع له النص ، وهو ما حدده صبره في عبارته التي يقول فيها : « وأما نحن فقد اتبعنا طريقة موحدة فأثبتنا همزة القطع (فوق الألف أو تحتها) دائمًا، ولم نثبت همزة الوصل أبدًا ، وأثبتنا الهمزة مفردة أو فوق كرسيها ، دون أن ننص على ذلك . . . ولم نضبط الحروف إلا في حالات قليلة، دفعًا لإبهام أو التباس» [2] .

د - ومن الواضح أن صبره استعان بالترجمات اللاتينية المختلفة مما يعتبر مصدراً من المصادر غير المباشرة التي يلجأ إليها المحقق العلمي أحياناً . وفي تحديد هذه الخاصية يقول د. طه الحاجري : « وإلى جانب استقصاء مخطوطات النص

---

(١) المرجع السابق، ص٥٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٠ .

ومعارضة بعضها ببعض ودراستها يحسن أن يستأنس - ما أمكن - بما يمكن أن يسمى بمصادر التحقيق غير المباشرة . . . [1]

٣- أما النموذج الثالث ، الذي يمثله الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة [2] في تحقيق مقالة « ثمرة الحكمة » ، فقد اخترناه لأنه يجمع بين ثلاثة منظورات : الفلسفي والمنطقي والرياضي .

إن مقالة ثمرة الحكمة للحسن بن الهيثم من المقالات المهمة التي دوّنها هذا العالم العربي ، وهي تتدرج من الفلسفة إلى المنطق والرياضيات ، فريدة في منهجها وتصورها . وفي هذا التحقيق نجد المحقق بعد تصديره للرسالة يتناول منهج ابن الهيثم ونقده للمعرفة من خلال أعماله . وينتقل من هذا إلى مناقشة فكرة الشك ومعيار المعرفة العلمية عنده ، ويبين إلى أي حد يواصل ابن الهيثم العمل العلمي رغم الشعور الذي كان ينتابه بحتمية انتهاء الحياة . ثم يضع ابنَ الهيثم في سياق عصره ، ويربط هذا بالفكر الإسلامي ، ويبين جوانب الزهد عنده . ويشير إلى أنه أخرج رسالة ثمرة الحكمة من بين عدة أعمال متناثرة .

وابن الهيثم في هذه المقالة يبدأ بالحديث عن قوى النفس التي يحصرها في ثلاث ، ثم يتحدث عن أصول الحكمة وقواعدها ، والنفس الناطقة وقواها ، ونظرية الأحلام . وينتقل من هذا كله إلى تناول العقل وقواه ، ونظرية اللذة والألم ، والراحة الإنسانية ، والإنسان الحقيقي ، وأقسام الفلسفة وفوائدها ، والإنسان التام بالسعادة مع الحكمة ، وفوائد الحكمة وفضائلها ، والمنهج للوصول إلى الحكمة ، وأصول الهندسة والعلوم المستفادة منها ، ومدخل إلى صناعة الهندسة ، وتحليل البرهان الرياضي ، وأنواع البرهان وأقسام البرهان الهندسي ، وفضيلة علم الهندسة ، والحكمة ، وتحقيق إنسانية الإنسان .

---

(١) طه الحاجري، تحقيق التراث، ص ٢٠ .

(٢) عبد الهادي أبو ريدة، مقالة عن ثمرة الحكمة، لأبي علي الحسن بن الهيثم، القاهرة، ١٩٩١ .

والواقع أن د. أبو ريدة ، باعتباره محققاً علميًا له خبرته الواسعة في هذا المجال ، ينبهنا إلى أنه أجرى تفعيلاً لخاصية التحقق من نسبة المخطوطة إلى الحسن ابن الهيثم ، ومن بين ما قام به في هذا الصدد فحصه لأسلوب الرسالة ، إذ إن « أسلوب هذه الرسالة ، في نظري ، هوأسلوب ابن الهيثم ، وهو علمي دقيق »[1] ، وأن ألفاظ الرسالة هي ذاتها ألفاظ ابن الهيثم .

٤ - وأما النموذج الرابع فيتمثل في كتاب « اللمع في الحساب » ، بتحقيقي ، ولما ينشر بعد . ويأتي ليكشف عن أهمية العناية بالتراث العلمي في أصوله ومصادره وتتبع نظرياته ، خاصة أن هذا الكتاب الصغير الحجم قد كتب في فترة علمية دقيقة ، ما بين القرن الثامن والقرن التاسع الهجريين ، وهي الفترة التي تندرج تحت ما أسماه المستشرقون[2] « فترة توقف الإبداع العربي » . وهذا الكتاب على صغر حجمه قام بدور مهم في تطور علم الحساب .

لقد أشارت الدراسة في بداية الأمر إلى شخصية ابن الهائم وبينت إلى أي مدى حدث خلط بين ثلاث شخصيات هي : ابن الهائم الفقيه(-٨٩٧هـ)، وابن الهائم الشاعر (٧٩٨-٨٨٧هـ)، وابن الهائم الرياضي (٧٥٣-٨١٥هـ) . وقد ميزت الدراسة بين هذه الشخصيات الثلاثة ، وبينت أن ابن الهائم الرياضي(-٨١٥هـ) هو صاحب كتاب « اللمع في الحساب » .

وانتقلت الدراسة إلى تناول مؤلفات ابن الهائم والشروحات التي عملت عليها لبيان أهَميتها، وأهمية موقع كتاب « اللمع » منها . وفي هذا الإطار كان لابد

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢ .

(٢) راجع في ذلك :

- ماهر عبد القادر محمد علي، المنهج العلمي عند العلماء العرب، سلسلة معارف إنسانية، دبي، ١٩٩٥ .

- ماهر عبد القادر محمد علي، الحسن بن الهيثم وتأسيس فلسفة العلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧ .

من تناول تطور علم الحساب ، والمنظومة التي يعبر عنها هذا العلم ، كما أشارت الدراسة أيضًا إلى أن ابن الهائم إنما اجتهد في هذا المجال ليبين علاقة علم الحساب بالمواريث .

وأخيراً تناولت الدراسة منهج التحقيق ، ووصفت نسخ التحقيق التي تم الاعتماد عليها ، وعرضت نماذج المخطوطات ورموز التحقيق .

فكأن المحاور الأساسية التي اعتمد عليها الاختيار في النماذج المشار إليها تتمثل في طبيعة الموضوع الذي اخترناه ، وهو التراث العلمي : الأول في الطب ، والثاني في الطبيعيات (الفيزياء) ، والثالث في منظومة (الفلسفة - المنطق - الرياضة) ، والرابع في علم الحساب .

والآن : ماذا فعل المحقق في كل هذه الحالات؟ وما الأسس التي استند إليها في عمله لإخراج نص محقق؟ وهل هناك معايير محددة يمكن الاحتكام إليها في هذا المجال ؟

إن هذه التساؤلات تذكرنا بضرورة العودة إلى البدايات لنصل الماضي بالحاضر ، ونتعمق في منظومة العمل الإبستمولوجي الذي يجعل لعمل المحقق العلمي تقديره .

البدايات :

لنرجع إذن إلى البدايات الأولى عندما التقت الحضارة العربية الإسلامية بالفكروالعلم الوافد ، إن في العصر غير الرسمي للترجمة أيام الأمويين ، أو في العصر الرسمي للترجمة زمن العباسيين ، لنرى كيف التقى المفكرون العرب مسلمون ومسيحيون وصابئة وغيرهم بهذا العلم الذي يتصف بأنه «تراث» الأمم السابقة ، وفكرها وذاتها ، ويعبر عن كينونة مغايرة للذات العربية الإسلامية ، وكتب

بلغة مخالفة للغة العربية ، سواء أكانت هذه اللغة هي اليونانية أم السريانية أم الفارسية أم الهندية[1] .

أول ما نجد في فترة مبكرة من تاريخ حركة النقل والترجمة تلك الإشارة التي زودنا بها ابن القفطي والمستشرق الألماني ماكس مايرهوف عن ماسرجويه اليهودي ، الذي ترجم إلى اللغة العربية كتابا طبيًا مهمًا يعرف باسم« كناش أهرون» . وكان على زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز .

لكن لما بدأت الترجمة بصورة رسمية زمن العباسيين ، وبنى الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة بغداد (٧٦٢م/ ١٥٤هـ) ، وانتقلت عاصمة الخلافة الإسلامية وحاضرتها من الجزء البيزنطي إلى الجزء الفارسي ، وجمع المنصور في بلاطه عددًا من العلماء والمهندسين والفلكيين ، ووضعت خارطة المدينة بإشراف الوزير الشهير خالد بن برمك ، وبمعرفة (نوبخت) الفلكي الفارسي ، وما شاء اللّه اليهودي= قدم الفلكي يعقوب الفزاري للمنصور في بلاطه عالمًا هندسيًا ورياضيًا وفلكيًا اسمه مالكا ، الذي جاء بكتاب السند هند (السدهانتا) ، وهو رسالة في علم الفلك على الطريقة الهندسية ، فاستحسنه المنصور وأعطى إشارة البدء الرسمية بترجمتها إلى اللغة العربية ، فترجمها الفزاري الابن ، وترجمتها مفقودة إلى الآن .

واتسع نطاق الحركة التي انطلقت شرارتها زمن المنصور في عهد حفيده الخليفة المأمون ، الذين أمر بجمع كتب الأقدمين ، وأسس داراً للترجمة في بغداد عرفت باسم (بيت الحكمة) أعرق أكاديمية علمية عرفها العالم الإسلامي . واقتضت ضرورة العمل في بيت الحكمة أن تنشأ جماعات علمية في أروقتها ، ومن بين هذه الجماعات يمكن تمييز ثلاث منها على الأقل ، وهي :

---

(١) ماهر عبد القادر محمد علي ، التراث والحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ص٥٩ - ٦٣ .

١ - جماعة حنين بن إسحاق، وهذه الجماعة ضمت نخبة من المترجمين والمحققين وصل عدد أفرادها وفق تقدير بعض الكتابات القديمة والحديثة مثل: ابن القفطي وماكس مايرهوف، إلى تسعين تقريباً من التلامذة والمحققين. ومن أبرز هؤلاء: حبيش بن الحسن بن الأعسم، وإسحاق بن حنين، وموسى بن خالد، وعيسى بن يحيى بن إبراهيم، وعيسى بن علي.

وقد نقل أعضاء هذه الجماعة معظم التراث الطبي والمنطقي اليوناني والسكندري إلى اللغة العربية.

٢ - جماعة الكندي فيلسوف العرب.

٣ - جماعة ثابت بن قرة.

لقد عملت هذه الجماعات على وضع كتابات القدماء أمام العلماء العرب كاملة، ودرس العرب هذه الكتابات وفهموها جيداً، ثم في مرحلة تالية جاءت إبداعاتهم. ولكن هل شكلت حركة الترجمة شيئاً بالنسبة للعلماء العرب؟ أو بمعنى آخر، هل عرف العلماء العرب في بيت الحكمة أصول العمل العلمي في الترجمة؟

الواقع أن هذه النقطة تستحق منا وقفة مهمة، لنقف على بنية العمل الذي كان يتم على المستوى الإبستمولوجي والميثودولوجي معاً. وأقصد بهذا المضمون الذي شكلته حركة الترجمة. هل كانت الترجمة مما يمكن أن نطلق عليه مصطلح الترجمة العلمية؟ أم أن الترجمة كانت مجرد ترجمة تنقل من لغة إلى أخرى دون وعي بالمضمون ودون معرفة بأصول الاختلاف الإبستمولوجي؟ وما علاقة الترجمة أصلاً بالتحقيق العلمي؟ هل هناك ثمة علاقة بين التصورين؟ وأيهما يندرج تحت الآخر: الترجمة تندرج تحت التحقيق أم التحقيق تتضمنه الترجمة؟ كل هذه التساؤلات تثير نوعًا من الجدل المعرفي بين البنيات: بنية الترجمة وبنية التحقيق.

لنأخذ بعض الأمثلة القليلة التي تلقي الضوء الكشاف على علاقة الترجمة بالتحقيق عند القدماء، وما يمكن أن تمثله بالنسبة للمحقق العلمي. وربما أسعفنا في هذا الصدد نموذج حنين بن إسحاق المترجم والمحقق.

علاقة الترجمة بالتحقيق:

تشكل الترجمة عملاً علميًا مهمًا لا يقل بحال من الأحوال عن الأعمال العلمية الأخرى.

وقد عرف التراجمة العرب صورتين من صور الترجمة على الأقل، وهو ما أشار إليه الصفدي (ت٧٦٤) في نص مهم يقول فيه:

« وللتراجمة في النقل طريقان: أحدهما، طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه الطريقة رديئة لوجهين:

أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني: أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات، وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني في التعريب: طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها. وهذه الطريقة أجود. ولذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية، لأنه لم يكن قيماً بها، بخلاف كتب الطب والمنطق الطبيعي والإلهي، فإن الذي عربه منها لم يحتج إلى إصلاح[1].

(١) الصفدي، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، ط١، ١٩٧٥، ص٧٩.

لقد لخص لنا الصفدي في هذا النص طرق الترجمة ، وبين مميزاتها وما تنطوي عليه من مدلولات بالنسبة للفعل الحضاري . وربما استخلص الصفدي هذا مما دوّنه حنين بن إسحاق ذاته في تعليقاته على عمليات الترجمة في رسالته المشهورة التي بعث بها إلى علي بن يحيى ، إذ يذكر في معرض حديثه عن ترجمته لكتاب جالينوس « في القوى الطبيعية » ، أنه قد « ترجم هذا الكتاب إلى السريانية سرجيس ترجمة سوء ، ثم ترجمته أنا إلى السريانية وأنا غلام قد أتت عليَّ سبع عشرة سنة أو نحوها لجبريل بن بختيشوع ، ولم أكن ترجمت قبله إلا كتابًا واحدًا سأذكره بعد، وترجمته من نسخة يونانية فيها أسقاط ، ثم إني تصفحته إذ أحسنت فوقعت منه على أسقاط أُخر فأصلحتها »(١) .

وهذه الترجمة التي يشير إليها حنين، والتي عملها سرجيس ، إنما كانت تتبع الطريقة الأولى التي وصفها الصفدي ، وهي الترجمة اللفظية الحرفية، وهي ترجمة تفتقر إلى الفهم الحضاري والثقافي لطبيعة الفكر المنقول منه والحضارة المنقولة إليها . وقد أشار حسن حنفي إلى هذه المسألة بصورة واضحة ، حين أراد أن يبين فعل الاتصال الثقافي والالتقاء الفكري بين حضارتين ، مؤكداً أن « الترجمة ليست عملاً آليًا ، يوضع فيه لفظ مكان لفظ، ويُنقل فيه نص فلسفي من لغة إلى لغة ، بل هو عمل فلسفي يقوم على فهم معاني الألفاظ في اللغة المترجم منها ، ثم نحت ألفاظ مشابهة في اللغة المترجم إليها . كما أن الاختصار والإسهاب والإضافة داخل الترجمة هي بداية تأليف جديد »(٢) .

ويرى حسن حنفي في هذا الإطار أن الترجمة الفاعلة هي الترجمة المعنوية التي تنقل عبارة بعبارة، ومعنى بمعنى ، وسياقًا بسياق، ومن ثم فإن الترجمة المعنوية

(١) ماهر عبد القادر محمد علي، دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ١٩٠ .
(٢) حسن حنفي ، دراسات إسلامية ، ص ٨٩.

وفقًا لهذا التصور هي في حقيقتها « تأليف جديد ، لأن المترجم يتعامل مع المعاني وسياقاتها الفلسفية والحضارية ، ويعيد صياغتها بعباراته الخاصة وتلقائيته كمفكر وليس بمهارته كمترجم(١) .

وهنا نأتي إلى قضية العلاقة الوثيقة بين الترجمة والتحقيق ، إذ لما كان المنقول دائمًا في إطار عملية الترجمة هو تراث الأمم السابقة ، فإنه كان لابد من القيام بعملية تحقيق أثناء عملية الترجمة ذاتها، للوقوف على النص الأصلي قدر الإمكان ، خاصة مع ضياع النسخ وفقدها . وهنا ارتبطت العمليتان معاً ، وأصبح من الواضح أن من يترجم إنما يحقق في الوقت نفسه ، وعليه أن يقارن النسخ ببعضها، وأن يقف على بنية النص الأصلي ومغزى السياق، وتأثيراته الفكرية المترامية، وما يمثله من فعل في الحضارة الجديدة المنقول إليها . ولكن كيف تتم هذه العملية؟ وما الإجراء الذي اتبعه الأسلاف في تقديم تحقيق النص العلمي، حتى في ضوء عملية الترجمة ذاتهـا؟

يذكر حنين بن إسحاق في رسالته إلى علي بن يحيى ، حين تحدث عن كتاب «الفرق» لجالينوس ما نصـه : «وقد كان ترجمته قبلي إلى السـرياني رجل يقال له : ابن سهدا ، من أهل الكرخ، وكان ضعيفًا في الترجمة ، ثم إني ترجمته وأنا حدث من أبناء عشرين سنة أو أكثر قليلاً لمتطبب من أهل جنديسابور، يقال له : شرشيوع ابن قطرب ، من نسخة يونانية كثيرة الأسقاط، ثم سألني بعد وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها حبش - تلميذي - إصلاحه ، بعد أن كانت قد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية ، فقابلت تلك بعضـها ببعض حتى صحت منها نسخة واحدة ، ثم قابلت بتلك النسخة السرياني وصححته، وكذلك من عادتي أن أفعل في جميع ما أترجمه»(٢) .

(١) المرجع السابق ، ص ٩٠ .
(٢) ماهر عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

إن النص الذي بين أيدينا يؤكد بعض الأمور والتصورات المعرفية والمنهجية المهمة، فعلاقة حنين بن إسحاق بنص كتاب « الفرق» لجالينوس جاءت في مستويات: أولها معرفته بكتاب جالينوس في نصه اليوناني، وهو يعلم أن هذا النص الذي بين يديه كثير الأسقاط. وثانيها معرفته بترجمة ابن سهدا لكتاب «الفرق» إلى السرياني، حيث تبين من خلال هذه الترجمة أن ابن سهدا لم يستطع أن يحصل المعنى، وإنما عمل على إخراج ترجمة لفظية حرفية على نسخة واحدة ليست صحيحة تقريبًا. ومن ثم فإنها لا تفي بغرض تحصيل المعنى الذي قصد إليه جالينوس في كتابه. ولذا وجدناه يصف هذا المترجم بأنه كان ضعيفاً في الترجمة. وهنا يبدو السؤال المهم الذي أجاب عنه حنين بصورة واضحة ومحددة في عبارته، وهو أن الترجمة استدعت بالضرورة الحصول على مجموعة من النسخ اليونانية: (الأصل)، ومقابلتها ببعضها، ثم مقابلتها بالنسخة السرياني، لإخراج أصل صحيح. وهذا هو المستوى المنهجي الثالث الذي عمل من خلاله حنين بن إسحاق لكونه مترجماً ومحققاً علميًا.

ويترتب على هذا أن المعرفة بالنص وتماسكه تشكل مصدراً معرفيًا مهمًا للتحقيق الجيد.

والذي لاشك فيه أنه يجب على المحقق أن يكرس تفعيلاً لهذا المنظور في ثنايا تعامله مع النص الذي يحققه، إذ قد يتعذر في كثير من الأحيان أن يقوم المحقق الفرد بأداء هذا العمل دون مساعدة الآخرين، بل قد يقتضي الأمر وجود فريق متكامل من المحققين يتعاملون مع نص واحد وبصورة نمطية. خذ على سبيل المثال ما يذكره حنين بن إسحاق عن تحقيقه لكتاب «حيلة البرء» لجالينوس عندما أراد سلمويه أن يصلح ترجمته: « فقابلني ببعض المقالة السابعة ومعه السرياني ومعي اليوناني، وهو يقرأ عليَّ السرياني، وكنت كلما مر بي شيء مخالف لليوناني

خبرته به، فجعل يصلح حتى كبر عليه الأمر، وتبين أن الترجمة من الرأس أرخى وأبلغ، وأن الأمر يكون فيها أشد انتظاماً »[١].

ثم يتابع كلامه قائلاً: « وكانت عندي للثماني المقالات الأخيرة عدة نسخ باليونانية، فقابلت بها وصححت منها نسخة وترجمتها بعناية ما أمكنني من الاستقصاء والبلاغة، فأما الست المقالات الأول فلم أكن وقعت لها إلا على نسخة واحدة وكانت مع ذلك نسخة كثيرة الخطأ، فلم يمكني لذلك أن تخلص تلك المقالات على غاية ما ينبغي. ثم إني قد وقعت على نسخة أخرى فقابلت بها وأصلحت ما أمكنني إصلاحه، وأخلو إلى أني أقابل به ثالثة إن اتفقت لي نسخة، فإن نسخ هذا الكتاب باليونانية قليلة »[٢].

فكأن هذا النص إشارة مباشرة إلى استعانة حنين بن إسحاق كمحقق ومترجم، بمحقق آخر عمل معه وتابع معه النص بحثاً واستقصاء، عندما اكتملت النسخ.

وتوقف العمل بالنسبة للمقالات التي كانت نسخة وحيدة، حتى تم العثور على نسخة جديدة للمقارنة.

إن الطريقة التي اتبعها حنين بن إسحاق استرعت انتباه المستشرقين الذين تناولوا العلم العربي بالدرس والتعليق، فقد لاحظ برجستراسر، وفرانز روزنتال، وماكس مايرهوف مجموعة من الملاحظات على هذه الطريقة؛ حيث يرى برجستراسر أنه لم تكن لحنين ثمة طريقة خاصة به، وإنما كانت طريقته مجرد اتباع لتقاليد المدرسة السريانية، يقول في هذا الصدد: « ونحن نرى في تقاليد المدرسة اليونانية – السريانية – أمثلة كافية للوقوف على طريقة مقابلة المخطوطات. فقد كان معروفاً عند هذه المدرسة، أن مقابلة المخطوطات المختلفة لكتاب ما، هي الوسيلة

(١) المرجع السابق، ص ١٩٠

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٠ – ١٩١.

الوحيدة لإقامة نص موثوق به. وكان الغرض من استعارة الكتب بين علماء سريان هو قراءتها ونسخها ومقابلتها»[1].

ويتابع برجستراسر في فقرة أخرى قوله: «وكانت المدرسة اليونانية - السريانية - تدرك تماماً فائدة مقابلة المخطوطات، ونحن نعرف أن حنينًا سماها (عادته الشخصية)، وكان يعني أنه التزم بتطبيق قواعدها أكثر مما التزمها من سبقوه»[2].

ومع هذا الرأي متفقاً يذهب روزنتال إلى حد التأكيد: «ونحن لا نظن أن طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها كانت من ابتكاره، بل يجب أن يكون قد اقتبسها عن التقليد الذي كان معروفاً في حلقات الترجمة السريانية - اليونانية»[3].

ويقرر في فقرة أخرى: «نعم إن حنينًا عندما يتكلم عن أسلوبه في مقابلة مخطوطة بأخرى للتثبت من صحة المتن إنما يتكلم عن حقل خاص، هو حقل الترجمة من لغة إلى أخرى»[4].

صفات المحقق العلمي:

لابد إذن أن نحدد بعض المقاييس التي لابد أن تتوافر في المحقق العلمي الجيد، حتى يستطيع أن يخرج لنا نصًا علميًا دقيقًا يعبر عن روح العصر الذي كتب فيه. ومن بين هذه الصفات:

١ - الالتزام بالقاعدة المنهجية في التحقيق والحصول على عدد كاف من المخطوطات، ومقابلة نسخ المخطوطات ببعضها، وإعداد المخطوطات بما يتفق ومقتضيات النشر العلمي[5].

(١) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب. إعداد محمد حمدى البكري، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٤.

(٣) فرانز روزنتال، مناهج العلماء المسلمين، بيروت، ١٩٦١، ص ٧٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٥) قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨، ص ١٢١، ١٢٢.

٢ - خبرة المحقق بالنص الذي يحققه، والعلم الذي يقع في مجاله النص، وما تشكله تلك الخبرة من تأثير على فهم بيئة النص وسياقه.

٣ - السياق التاريخي الذي صدر فيه النص وأهمية هذا في التحقيق، وهو ما تبينه عدة جوانب من نماذج التحقيق. على سبيل المثال ما نجده في تحقيق ماكس مايرهوف لكتاب «العشر مقالات في العين»، حين تعرض لحياة حنين بن إسحاق وظروف عصره، وعلاقته بالخلفاء، والنكبات التي مر بها. وما تناوله عبد الحميد صبره، حين قدم لتحقيقه لكتاب «المناظر» لابن الهيثم بسيرة حياته، والتعريف بمصادر مؤلفاته. وكذلك تناول أبو ريده لحياة ابن الهيثم ونقده للمعرفة العلمية.

وما أشرت إليه عند تحقيق كتاب «اللمع في الحساب» من تمييز بين شخصيات ثلاث لابن الهائم، وما اعتبرته من أن هذا التمييز إنما كان لتحقيق صلة نسب النص لشخصية معينة بالذات.

٤ - مدى تأثير الثقافة والمعرفة والإلمام باللغات ومعرفتها في عملية التحقيق ذاتها، وهو ما تشير إليه الخبرة المعرفية في ميدان التحقيق. ويمكن أن ندلل على هذا بمثال حديث من نموذج تحقيق عبد الحميد صبره لكتاب «المناظر»، وما اكتشفه أثناء مسيرة التحقيق.

وإذا انتقلنا إلى جانب الخبرة المعرفية بالنص المحقق، وهو ما يشكل حزام الأمان لإخراج النص المحقق، فسوف نجد أن خبرة المحقق العلمي بطبيعة النص تجعله يستبصر المواضع التي يمكن أن يحدث فيها تزييف، أو الاجتزاءات التي تقتطع. وهنا أريد أن أنقل للقارئ أهمية الخبرة بالموضوع ذاته، وكيف تلعب ذاكرة المحقق دوراً مهمًا في وضع قائمة المقارنات، خاصة إذا كانت تتعلق بالصِّلات البينية بين النصوص، وما يترتب عليها من نسبة نص معين لمؤلف معين. يقول عبد الحميد صبره في هذا الصدد: «في سنة ١٥٧٢ نشر فريدرش رزنر في مدينة بازل مجلداً من القطع الكبير، بعنوان «الذخيرة في البصريات»، اشتمل على ثلاثة مصنفات:

أولها ترجمة لاتينية لكتاب «المناظر» لابن الهيثم في سبع مقالات، وثانيها ترجمة لاتينية لمقال في «الفجر والشفق» نسب إلى ابن الهيثم، وثالثها كتاب في البصريات للعالم البولندي فيتيلو في عشر مقالات. وقد بينا في مقال لنا نشر عام ١٩٦٧ خطأ نسبة مقالة «الفجر والشفق» إلى ابن الهيثم، وأن مؤلفها هو العالم الأندلسي أبو عبد الله محمد بن معاذ الجياني، الذي عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أما كتاب فيتيلو فقد دون في القرن الثالث عشر الميلادي وسبق نشره في نورنبرج مرتين سنة ١٥٣٥، وسنة ١٥٥١. والمعروف أن فيتيلو صنف كتابه بعد اطلاعه على الترجمة اللاتينية المخطوطة لكتاب ابن الهيثم، ويتبين من مقارنه نص الكتابين أن العالم البولندي قد سار في كتابه على نهج كتاب ابن الهيثم فاستقى منه موضوعاته وأشكاله، بل نقل ألفاظه في كثير من المواضع»[١].

أردت أن أنقل هذا النص المطول المأخوذ من مقدمة عبد الحميد صبره لكتاب «المناظر»، لأشير من خلاله إلى بعض الأمور المهمة، وهي:

أولاً: أن وعي محقق كتاب «المناظر» بأنه في إطار خبرته للموضوع الذي يقوم بتحقيقه، بأن دوره ليس مجرد التحقيق الذي يكشف عن الاختلافات بين النسخ، وإنما يتجاوز هذا الدور لأنه (محقق علمي). ولما كان - وهو المحقق العلمي - ذا خبرة بالموضوع يعرف مفردات أسلوب ابن الهيثم، تمامًا كما فعل أبو ريدة في تحقيقه لمقالة «ثمرة الحكمة»، فقد استطاع أن يقرر بصورة قاطعة أن المقالة التي عنوانها (الفجر والشفق) لا تصح نسبتها إلى ابن الهيثم، لأنها ليست له، وإنما هي للعالم الأندلسي (الجياني). وما كان لهذا التقرير أن يتم إلا بناء على مقارنات في الأسلوب والتركيب وغير ذلك.

(١) صبره، كتاب المناظر، ص٤٦ - ٤٧ .

ثانياً: أن خبرة المحقق العلمي في هذه الحالة، بالإضافة إلى دراسته للتراث العلمي المدون باللاتينية، وما استتبع هذه الخبرة من استرجاع الذاكرة للمخزون العلمي فيها، ومعرفته بمحتويات كتاب فيتيلو بأشكاله ورسومه وأسلوبه ومنهجه، ومكونات كتاب ابن الهيثم بمقالاته، وأشكال ابن الهيثم المعروضة في كتاب «تنقيح المناظر». كل هذا مكن المحقق العلمي أن يقرر بصورة قاطعة أن كتاب فيتيلو مأخوذ من ابن الهيثم، إنْ في الخطة أو المنهج أو الأشكال أو الألفاظ.

ثالثاً: أن المقارنة وصحة النسب في الحالتين إنما صدرت أصلاً من خلال فكرة المقارنة بين بنيات معرفية متصلة، وهو ما يبدو في قول المحقق العلمي: «بل نقل ألفاظه»، وأن «العالم البولندي قد سار في كتابه على نهج كتاب ابن الهيثم».

رابعاً: أن المقارنة بين البنيات إنما تكشف عن الخلل الذي يعتور بنية من البنيات، مما يدعو إلى الشك الذي معه يرتفع اليقين، مما يعزز التكذيب أو التأييد هنا أو هناك. وكثيراً ما نجد أن المقارنة قد تتجاوز الألفاظ والكلمات وغيرها إلى شخصية المؤلف ذاته.

خامساً: أنه من الواجب على المحقق أن يفطن إلى مسالة الالتباس بين الشخصيات، وهذه المسألة كانت موضع الاعتبار والبحث في مقدمة دراسة مخطوطة «اللمع في الحساب»، وهو ما أجريناه؛ إذ تم التمييز بين ثلاث شخصيات يحمل كل منها اسم ابن الهائم، وأثبتت الدراسة النقدية المقارنة أن كتاب «اللمع في الحساب» ينسب لشخصية محددة.

سادساً: يكشف الجانب العلمي في التحقيق أيضاً عن الارتباط الوثيق بين الترجمة والتحقيق، ولنا في نموذج حنين بن إسحاق وتحقيقاته وترجماته قديماً، وفي نموذج عبد الحميد صبره حديثاً - مثل واضح يبين أهمية هذه الخاصية.

إن خبرة حنين (المحقق) تفاعلت مع خبرته باعتباره طبيباً وعالم لغات في الوقت نفسه، خاصة أنه قد نقل الكتابات الطبية القديمة لأبقراط وجالينوس، وخبر

مكوناتها وأبعادها المختلفة، بل إنه ميز بين التراث الطبي الأبقراطي والتراث الطبي الجالينوسي، مما مكنه من أن يصف ترجمات السابقين عليه بأنها جيدة أو رديئة، ولم يكن هذا الحكم بناء على خبرة بالترجمة وحدها، وإنما تفاعلت معه الخبرة الطبية المتعلقة بفهم المصطلح الطبي في دلالته ومعناه، وما يشير إليه من مفردات في منظور الخبرة، فكأن الوصف «رديء» أو «جيد» إنما تدخلت فيه معرفة المصطلح أيضاً. وهو ما جعله يحكم على ترجماته هو ذاته في مراحل وسني حياته المختلفة على ما يقول لنا عن ترجمته لكتاب جالينوس في العروق الضوارب: «وقد كنت ترجمته وأنا غلام إلى السريانية لجبريل، إلا أني لم أثق بصحته لأن نسخته كانت واحدةكثيرة الخطأ». فكأن النسخة الوحيدة في التحقيق تظل موضع شك من جانب المحقق، لأن «دراسة مثل هذه النسخة تستلزم الدقة والحذر، للتثبت من صحة ألفاظها، ونصوصها، فمهما كانت دقة الناسخ وأمانته، فإنه قد يتعرض للخطأ في النقل من الأصل»[1]، لأنه لا توجد نسخة أخرى ضابطة تجعل المحقق يقدم لنا نصًا محققًا بصورة دقيقة. كما أن خبرة عبد الحميد صبره بالفيزياءوباللاتينية وما ترجم من التراث العلمي العربي إلى أوربا في العصور الوسطى، وتأثيرات كتاب ابن الهيثم، كل هذا مكنه - باعتباره محققاً علميًا - أن يربط بين الترجمة والتحقيق.

يستنتج من كل ما سبق أنه لابد من توافر شروط معينة في المحقق الذي يقوم بتحقيق التراث العلمي على وجه الخصوص، وقد بينت الدراسات والآراء المشار إليها في ما تقدم حصيلة هذه الشروط التي يمكن من خلالها اشتراط ضرورة التخصص في مجال موضوع التحقيق، باعتباره شرطاً أساسيًا لإخراج نشرة علمية دقيقة.

* * *

(١) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي - المركز العربي للصحافة، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٣٩.

تعقيبات ومداخلات

■ د. عبد الفتاح غنيمة:

لماذا لا نتبع أسلوب التخطيط العلمي المعاصر في وضع خريطة بحثية خاصة بالتراث العلمي؟ لماذا نهمل التخطيط والتنظيم في هذا المجال؟ لماذا لا يشارك أساتذة التخصص من الكليات العلمية في فريق متكامل من المحققين، وخاصة أن الجامعات المصرية والعربية تعج بآلاف الأساتذة، وكثير منهم في فراغ. ومن خلال الممارسة سيتبادل الخبراء الجوانب المعرفية التي ستزداد حصيلتها بذلك، ولا شك أن المتخصص يستطيع أن يدرك المعنى من السياق أسرع من غيره.

هل نحن بحاجة إلى قرار سياسي يدعم اتجاه الاهتمام بالتراث العلمي؟.

د. ماهر عبد القادر ذكرنا بمدرسة الترجمة العظيمة في عهد المأمون، وأنها اعتمدت على المجموعات التي تتعاون كفريق عمل، وفي نفس الوقت كان هناك قرار سياسي واهتمام من الدولة، وطبعاً الشعوب على دين ملوكها. وكذلك مدرسة الترجمة في أوربا (دانتي، جيرارد كريمون، بتراك، ....) وضعت هذه المجموعة مدرسة المأمون في الترجمة نموذجاً، وكان هناك شرط لدخول هذه المدرسة، وهو التمكن من اللغة العربية بجانب اللغة اللاتينية.

وفي الواقع نحن الآن أحوج ما نكون في الوطن العربي في مجال البحث العلمي إلى القدوة، ولعلنا نجدها في الأعلام التي ألفت هذا التراث، سنجد فيهم القدوة، ونستطيع من ثَمَّ أن نحقق ذاتنا ونثق بهذه الذات، لأن الذات لا تتحقق إلا عندما تشعر بالاتصال والتواصل والمصداقية العلمية. والحقيقة أن خير قدوة حالياً هي كتب أعلام التراث، لأننا نستشعر أنه لم يكن هناك جامعات ولا مدارس منظمة، وعلى الرغم من ذلك وصل العلماء إلى ما وصلوا إليه.

مكوناتها وأبعادها المختلفة، بل إنه ميز بين التراث الطبي الأبقراطي والتراث الطبي الجالينوسي، مما مكنه من أن يصف ترجمات السابقين عليه بأنها جيدة أو رديئة، ولم يكن هذا الحكم بناء على خبرة بالترجمة وحدها، وإنما تفاعلت معه الخبرة الطبية المتعلقة بفهم المصطلح الطبي في دلالته ومعناه، وما يشير إليه من مفردات في منظور الخبرة، فكأن الوصف «رديء» أو «جيد» إنما تدخلت فيه معرفة المصطلح أيضاً. وهو ما جعله يحكم على ترجماته هو ذاته في مراحل وسني حياته المختلفة على ما يقول لنا عن ترجمته لكتاب جالينوس في العروق الضوارب: «وقد كنت ترجمته وأنا غلام إلى السريانية لجبريل، إلا أني لم أثق بصحته لأن نسخته كانت واحدةكثيرة الخطأ». فكأن النسخة الوحيدة في التحقيق تظل موضع شك من جانب المحقق، لأن «دراسة مثل هذه النسخة تستلزم الدقة والحذر، للتثبت من صحة ألفاظها، ونصوصها، فمهما كانت دقة الناسخ وأمانته، فإنه قد يتعرض للخطأ في النقل من الأصل»[1]، لأنه لا توجد نسخة أخرى ضابطة تجعل المحقق يقدم لنا نصًا محققًا بصورة دقيقة. كما أن خبرة عبد الحميد صبره بالفيزياءوباللاتينية وما ترجم من التراث العلمي العربي إلى أوربا في العصور الوسطى، وتأثيرات كتاب ابن الهيثم، كل هذا مكنه - باعتباره محققاً علميًا - أن يربط بين الترجمة والتحقيق.

يستنتج من كل ما سبق أنه لابد من توافر شروط معينة في المحقق الذي يقوم بتحقيق التراث العلمي على وجه الخصوص، وقد بينت الدراسات والآراء المشار إليها في ما تقدم حصيلة هذه الشروط التي يمكن من خلالها اشتراط ضرورة التخصص في مجال موضوع التحقيق، باعتباره شرطاً أساسيًا لإخراج نشرة علمية دقيقة.

* * *

(١) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي - المركز العربي للصحافة، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٣٩.

تعقيبات ومداخلات

■ د. عبد الفتاح غنيمة:

لماذا لا نتبع أسلوب التخطيط العلمي المعاصر في وضع خريطة بحثية خاصة بالتراث العلمي؟ لماذا نهمل التخطيط والتنظيم في هذا المجال؟ لماذا لا يشارك أساتذة التخصص من الكليات العلمية في فريق متكامل من المحققين، وخاصة أن الجامعات المصرية والعربية تعج بآلاف الأساتذة، وكثير منهم في فراغ. ومن خلال الممارسة سيتبادل الخبراء الجوانب المعرفية التي ستزداد حصيلتها بذلك، ولا شك أن المتخصص يستطيع أن يدرك المعنى من السياق أسرع من غيره.

هل نحن بحاجة إلى قرار سياسي يدعم اتجاه الاهتمام بالتراث العلمي؟.

د. ماهر عبد القادر ذكرنا بمدرسة الترجمة العظيمة في عهد المأمون، وأنها اعتمدت على المجموعات التي تتعاون كفريق عمل، وفي نفس الوقت كان هناك قرار سياسي واهتمام من الدولة، وطبعاً الشعوب على دين ملوكها. وكذلك مدرسة الترجمة في أوربا (دانتي، جيرارد كريمون، بتراك، ....) وضعت هذه المجموعة مدرسة المأمون في الترجمة نموذجاً، وكان هناك شرط لدخول هذه المدرسة، وهو التمكن من اللغة العربية بجانب اللغة اللاتينية.

وفي الواقع نحن الآن أحوج ما نكون في الوطن العربي في مجال البحث العلمي إلى القدوة، ولعلنا نجدها في الأعلام التي ألفت هذا التراث، سنجد فيهم القدوة، ونستطيع من ثَمَّ أن نحقق ذاتنا ونثق بهذه الذات، لأن الذات لا تتحقق إلا عندما تشعر بالاتصال والتواصل والمصداقية العلمية. والحقيقة أن خير قدوة حالياً هي كتب أعلام التراث، لأننا نستشعر أنه لم يكن هناك جامعات ولا مدارس منظمة، وعلى الرغم من ذلك وصل العلماء إلى ما وصلوا إليه.

هناك عدد كبير من أساتذة الطب والصيدلة والزراعة . . في الجامعات المصرية والعربية ، وأظن أن مؤتمراً يدعى إليه هؤلاء ، حتى لو لم تكن لديهم فكرة عن التراث ، قد يأتي بنتائج طيبة ، إذ إننا نكون قد ألقينا بذرة ، ومهدنا الطريق ، ولفتنا النظر إلى هذا التراث .

جهود المستشرقين كانت بداية ، وفتحت الباب حقًا ، واشتغل كثير من الأساتذة المصريين والعرب في هذا المجال ، أما اليوم ، ونحن نستقبل القرن الحادي والعشرين ، فمن المفترض أن نكثف الجهود .

هناك سؤال أود أن أطرحه على د. علي عبد الفتاح الذي كان قد أعلن في الأهرام عن تكوين جمعية لتاريخ العلوم ، أقول : لقد أرسلت شخصيًا أكثر من مرة أسأل عن الجمعية المذكورة ، ولم أتلق أي رد !

■ **د. علي عبد المعطي محمد :**

قرأت باهتمام بالغ بحث د. مصطفى موالدي . وقد شدني هذا البحث وأحسست بأهمية موضوعه ، وهو أن يكون لتحقيق التراث العربي العلمي خصوصية تفصله عن التحقيق في التراث العربي في الفلسفة والفقه . . . إلخ .

وقد حدد د. موالدي صفات المحقق نقلاً عن مؤسسة آل البيت في إيران والتي جاءت تحت عنوان : صفات المحقق لمخطوطة علمية ، وهي : الرغبة ، والغيرة على التراث ، والذكاء ، ودقة الملاحظة ، والتواضع ، والاستعانة بذوي الخبرة ، والصبر ، والأناة ، والأمانة ، والذوق الجميل ، والالتزام بالدين الإسلامي .

وأرى أن هذه الصفات تنطبق على المحقق بصفة عامة ، وكنت شغوفاً أن أرى تدخلاً من الباحث ليضيف الصفات التي يراها قاصرة على محقق التراث العلمي العربي . ثم هناك الصفة الأخيرة ، وهي الالتزام بالدين الإسلامي ، فلا أدري لماذا وافق على هذه الصفة ، وهي – كما أرى – ليست ضرورية في محقق التراث

العلمي ، بينما قد تشترط في محقق التراث الديني مثلاً ، فالعلم – كما نعلم – لا دين له .

هذا بالإضافة إلى أني أرى أن كل من عاش في ظل الحضارة الإسلامية ، وتنسَّم نسيمها ، وفكّر في إطارها ، وكتب بلغتها ، هو مفكر إسلامي ، سواء أكان يهوديًا أم مسيحيًا . هذه وجهة نظر خاصة .

لكني أوافق د. موالدي على ما ذكره نقلاً عن الأستاذ عبد السلام هارون من ضرورة إلمام المحقق لمخطوطة علمية بالموضوع الذي يحقق فيه ، حتى يتمكن من فهم النص فهماً سليماً ، كما أراده صاحبه .

كما أوافقه على تحذيره لغير المتخصصين بعلم ما من تحقيق إحدى مخطوطات هذا العلم .

وعلى الرغم من أن جمهرة المحققين يستخدمون مصطلح المقابلة بين النُسخ المخطوطة ، فإني أطلب من الجميع أن يجدوا لفظة أخرى غير « المقابلة » ، فالتقابل لدينا في المنطق يكون بين القضيتين المتناقضتين أو المتضادتين أو الداخلتين تحت التضاد . والتقابل – في رأيي – لا يعني أن نأتي بنسخة لتقابل نسخة . نحن بحاجة إلى مصطلح أكثر قرباً ودلالة . لذا أتساءل : ألا يوجد لفظ أكثر تحديداً من لفظ المقابلة ، خاصة أننا أمام تحقيق التراث العلمي وليس الأدبي ؟

عرض د. مصطفى المراحل الأساسية المتبعة في تحقيق مخطوطة علمية ، وهي تدل على تعمقه بأعمال التحقيق ، لكن ألا يرى معي أن كثيراً من المراحل التي ذكرها هي نفسها التي تطبق في تحقيق مخطوطة غير علمية ، وكنت شغوفاً بأن أرى نمطاً من التمييز في منهج التحقيق بين ما هو علمي وما هو غير علمي .

إن المعرفة بالمصطلحات العلمية ضرورة ، ويجب أن نتفق على ما يعنيه كل مصطلح ، خصوصاً في التراث العلمي العربي .

وأنهي كلمتي بالتنويه بضرورة تصنيف التراث العلمي العربي ، وعقد كثير من الندوات ، وأننا بحاجة إلى قرار سياسي بإنشاء معاهد على غرار بيت الحكمة ، تتولى تحقيق التراث عموماً ؛ العلمي وغير العلمي .

■ د. عبد اللطيف العبد :

الموضوع الذي كتب فيه د. ماهر عبد القادر موضوع مهم للغاية ، والأمثلة التي قدمها أمثلة طيبة وحيّة ، ثم كان هناك فكرة لم تخطر على بالي قبل ذلك ، وهي : هل يحقق المخطوط المكتوب بلغة أجنبية بلغته أولاً ثم يترجم أم ماذا ؟ هذه فكرة جديدة أوحى إلي بها د. ماهر ، ثم إنه أثار قضية مهمة ، وهي التمويل ، وأشكره على أنه نعى اللغة العربية التي ذبحت بغير سكين ومازالت تُذبح ، ونحن من جانبنا أيضاً ننعى التحقيق العلمي الأصيل لدى أساتذتنا السابقين .

أما بحث د. موالدي فالحق أنه محكم ، ولكن لدي بعض الملاحظات التي أعتقد أنها مفيدة .

لقد دعا د. مصطفى إلى الاستعانة بذوي الخبرة في تحقيق التراث عموماً والتراث العلمي خصوصاً ، ولي رأي في هذه النقطة منذ زمن ، مفاده أن أي مخطوط علمي لابد أن يكتب عليه من الخارج اسمان : الأول محقق بدرجة عبد السلام هارون ، والثاني متخصص ، فلو كان المخطوط طبيًا أو رياضيًا مثلاً ، عندها يكون الأخير المحقق الأول ، والأستاذ المحقق المعروف هو محقق للتراث ، فلا يخرج المخطوط العلمي باسم محقق واحد . أقول ذلك لأن د. موالدي مثلاً يمكن أن يحقق مخطوطاً علميًا في تخصصه ، لكنه يحتاج أيضاً إلى محقق آخر يصحح اللغة العربية ويدقق فيها وغير ذلك ، وإن كان هو أيضاً لديه القدرة على ذلك ، ولكن ذلك من باب الضمان .

ورأى د. موالدي أن من صفات المحقق الالتزام بالدين الإسلامي ، وهذه نقطة تعرّض لها د. علي عبد المعطي وأنا أضم صوتي له ، وإلا فماذا نقول في المستشرقين الذين أخرجوا كنوزًا من تراثنا العلمي ؟

وورد في بحثه كلمة بُدعة بضم الباء ، وقد راجعت بعض المعاجم فوجدت البدعة بكسر الباء ، أنا لا أقطع في هذه المسألة ، ولكن هناك بَدُعَ بُداعةً ، فلعل د. مصطفى يقصد بُداعَة ، أو لعل التشكيل كان خطأ ، أو لعل هناك معجماً أوسع يشير إلى صحة ما ضبطه .

وذكر حساب الجمَّل ولم يعرِّف به ، وتعريفه أنه : « ضرب من الحساب يُجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد واحد إلى الألف ، على ترتيب خاص » ، فمثلاً « أ » تساوي ١ ، «غ» تساوي ١٠٠ .

وضرب د. موالدي لنا مثلاً في أدب الخلاف ، فقد اختلف مع الشيخ عبد السلام هارون في مسألة حساب الجمَّل ، ولكنه يقول : أحد أساتذتنا الأجلاء ، ويقول : أستاذنا الجليل ، يعني أن خلافه مع الشيخ عبد السلام لم يحمله إلا على نعته بأنه « أستاذنا » وأنه « جليل » ، وهذه هي الحقيقة . ولقد تذكرت ما حدث بين الشيخ عبد السلام هارون ، و د. صلاح الدين المنجد ؛ فقد تبادلا بعض الألفاظ التي أتمنى لو تحذف من كتابيهما في تحقيق المخطوطات . ومع هذا فإن الشيخ عبد السلام هارون لم يكن ليعجزه أن يحقق أي مخطوط علمي ، لأن حساب الجمَّل ليس مقصوراً على مخطوطات رياضية ، وعلى الرغم من ذلك فلو أن الشيخ عبد السلام هارون بعث حيًا ، وأراد أن يحقق مخطوطاً علميًا ، فسنطالبه بأن يكون معه أستاذ متخصص في تلك المادة .

ووافق د. موالدي أحد المستشرقين على قوله : « وكان النساخ من جهلهم لا يفهمون شيئاً مما كانوا ينسخونه » . وأقول : لعل هذا المستشرق هو الذي أُغلق

عليه الفهم ، ولم يعرف شيئاً عن النساخ العرب المسلمين . إن من نقل إلينا التراث ، هم أولئك النساخ ، ولولاهم لما وصلنا شيء من هذه العلوم القديمة .

أحسن د. موالدي حين نبَّه المحقق إلى وضع معجم للمصطلحات العلمية الواردة في مخطوطته ، ونحن دائماً ننبّه طلاب العلم إلى ذلك ، ولاسيما عندما نشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه .

قال د. موالدي إنه لا فائدة من هدر الجهد والوقت في تحقيق مخطوطة لم تقدم شيئاً جديداً للعلم وتاريخه ، ولكن في الواقع لم يصل إلينا إلا المخطوطات ذات الفائدة وذات القيمة ، مادام هناك مخطوطة فلابد أن نتوقع غالباً فائدة ، أو معلومة ، أو تأكيداً لمعلومات في كتب أخرى ، ولكن لا بأس في الانتقاء والتفاضل ، وأن تُعطى الأولوية للمخطوطات ذات الفوائد المتعددة .

وأحسن د. موالدي في دعوته للمقارنة بين ما تحتويه المخطوطة العلمية وما توصل إليه العلم الحديث ، وهذه لا ينهض بها إلا المتخصصون . فهناك معلومات عند أبي بكر الرازي في الطب والكيمياء والفيزياء وغير ذلك تقدم للناس دون المقارنة بينها وبين ما وصل إليه العلم الحديث . وهذا تقصير كبير يقطع الصلة بين القديم والحديث .

ورأى د. موالدي أن على محقق المخطوط العلمي عبء الدراسة العلمية ، ولاسيما المقارنة مع الحديث ، ولكن بعد أن يصدر المخطوط هل يقف العلماء المتخصصون مكتوفي الأيدي ، أنا أدعو أيضاً إلى ألا نحمّل المحقق العلمي كل أعباء المعلومات أو النظريات التي جاءت في المخطوط العلمي ، لابد أن يتناول المتخصصون الكتاب بعد نشره بالدراسة والبحث . إذن يبذل جهده في تقديم النص ، دون أن نحمله عبء الدراسة الكاملة لكل ما جاء فيه .

وتكلم د. موالدي عن المحققين وخبرتهم العتيدة ، وأعتقد أنه يقصد خبرتهم القديمة ، لأن العتيدة أو العتيد هو المهيأ والحاضر ، وليس القديم ، أما القديم فهو العتيق .

■ د. أيمن فؤاد سيد :

أشار د. ماهر عبد القادر إلى أن الكتب التي تظهر في الشرق لا يلتفت إليها أحد ، وأننا نعمل في جزر متباعدة ، ولعل مرجع ذلك أنه لا توجد لدينا المجلات التي تهتم بعمل العروض والمراجعات مثل المجلات الاستشراقية المتعددة سواء بالفرنسية أو بالإنجليزية أو بالألمانية ، حيث يحتفل المستشرقون بهذه الكتب ، وترسل نسخة من إصداراتهم الجديدة إلى هذه المجلات الاستشراقية ، وتتولى الأخيرة تقديمها ليقوموا بإعداد عروض ونقد لها .

وأشار د. موالدي إلى النسخة الأصلية التي يعتمد عليها ، وسماها « النسخة أساس المقارنة » ، وهذا مصطلح جديد عليَّ ، ولا يستخدم في التحقيق ، فنحن نقول : « المخطوطة الأم » أو « المخطوط الأصل » . وهناك ضوابط لاختيارها ، وليس ضابط الخط فقط ، هناك ضوابط القدم والمقابلة على نسخ أخرى أو قراءتها من عالم أو أكثر .

ثم هناك قضية ضبط النص التي ذكرها د. ماهر ، وهي قضية أساسية في المخطوط ؛ لأن أهم ما ينبغي أن يشغل المحقق هو تحرير النص وضبطه بمقابلته مع النسخ المختلفة التي وصلت إلينا .

أود الإشارة إلى أن المصطلحات التي وردت في المحاضرتين هي الترجمة كلمة بكلمة وتبعاً للسياق ، وأظن أن القدماء مثل النديم كان يستخدم هذا المصطلح ،

ويستخدم كلمة « النقل » ويقول : نقله فلان ، وأصلحه فلان ، فاللفظ المستخدم : الترجمة للنقل الحرفي ، الذي نعت بالركاكة ركيكة ، والنقل : للكتاب الذي تدخل فيه المؤلف ، ونقل الموضوع أو المضمون نفسه .

في ما يتعلق بكلمة المقابلة التي وردت في الحوار ، أشير إلى أن د . عبد الفتاح غنيمة عندما ذكرها أشار إلى الشكل المادي للكتاب : مقابلة حجم الصفحة ، في حين استخدم القدماء كلمة المعارضة والمقابلة ، وقيل : قابلته على نسخة صحيحة ، أو عارضته بنسخة كذا ، فالمعارضة والمقابلة هي معارضة النص نفسه ، هل فيه زيادة أو تحريف ، أو حذف . . . إلخ ، فكلمة مقابلة تعني مقابلة النص المراد تحقيقه بنصوص أخرى ، إذ يكتب على النسخة : قابلتها على نسخة فلان ، أو عارضتها على نسخة فلان .

أخيرًا إن دعوتنا لنشر التراث التراث العلمي – في ما يبدو لي – لا تجد اهتماماً من الباحثين الذين يدرسون في الجامعات المصرية ، لأن هذه الجامعات لا تشجع هذا العمل ، وتعده نوعاً من العمل الثقافي الذي لا يرقى إلى الإبداع ، ومن ثم فإنها لا ترقّي عليه الأساتذة ولا تعده جزءًا من الإنتاج العلمي ، على الرغم من أن المستشرقين بنوا كل مجدهم على هذا النشر العلمي .

■ إياد أحمد الغوج :

الصلة وثيقة بين أن يقابل شخص شخصاً ، ويقابل نصٌ بنص ، فإن المقابلة بين النصوص تعتمد على مقابلة الكلمة بالكلمة والحرف بالحرف والجملة بالجملة لإظهار الفروق بينها . وقد استخدم القدماء لفظ « المقابلة » للدلالة على إجراء مقارنة بين نسختين أو أكثر ، وبعد كل مجموعة من الصفحات أو الملازم

يقولون : بلغ مقابلة ، فالمقابلة إذن بين نص ونص ، لا بين صفحة وصفحة من حيث الحجم .

■ د. ماهر عبد القادر :

ذُكر أن المركز الوحيد للتراث في مصر هو التابع لكلية العلوم في جامعة القاهرة ، وهذه المعلومة أود أن أقدم تصحيحاً لها ، فهناك على الأقل – حسب علمي – مركزان موجودان في مصر الآن ، أولهما مركز تحقيق التراث التابع لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، وثانيهما مركز التراث في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة المنيا .

وقد صدر عن مركز التراث بالإسكندرية نحو عشرة كتب ، منها : « لباب المحصِّل » لابن خلدون ، و « نزهة الأرواح » . . . وغيرها ، وسبق لهذا المركز أن عقد ندوتين دعا إليهما بعض المتخصصين والمشتغلين بتاريخ العلم والمخطوطات .

ومهما يكن فإنه مما لا شك فيه أن جهودنا مبعثرة ، وفي ذلك تضييع للوقت ، كما أن الجامعات لا تشعر بها ولا تزكيها ، ولديها تصور أن أي مركز لن يعمل أي شيء . ومن الممكن جداً أن نبدد هذا التصور ، وذلك بأن نجعل من معهد المخطوطات العربية مظلة كبيرة تضم كل هذه المراكز في ندوات ومؤتمرات سنوية أو نصف سنوية . مثل هذا المسعى سيشجع الباحثين على تقديم أشياء كثيرة .

مسألة أخرى مهمة هي أننا نريد أن نتجه إلى أسلوب العمل بروح الفريق ، فمسألة العمل الجماعي موجودة في كل العالم . صحيح أن نشر التراث مرتبط بمسائل مالية أخرى ، وبالتوزيع ، ولكن هذه أمور من الممكن التغلب عليها .

هناك تجربة أود الإشارة إليها ، هي أننا في جامعة الإسكندرية اتبعنا في تخصص تاريخ العلوم خطة مهمة جداً ، وذلك بأن يكون إلى جانب الدراسة النظرية تحقيق مخطوط ، ولكننا محتاجون إلى تبني أولويات ، فالموضوعات كثيرة، وكذلك المخطوطات ، فما هو السبيل إلى ذلك ؟

لدي إضافة بشأن مصطلح المقابلة ، ثمة نصوص واضحة قديمة أذكر بعضها : يقول الصفدي عن الترجمة : « وللتراجمة في النقل طريقان ، أحدهما هو أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات » . والمقابلة هنا بمعنى المرادفة . ويقول حنين بن إسحاق عند حديثه عن كتاب « الفِرَق » لجالينوس : « وقد كان ترجمه قبلي إلى السريانية . . . فقابلت تلك بعضها ببعض » ، « وكانت عندي للثماني مقالات الأخيرة عدة نسخ باليونانية فقابلت بها » ، وفي حديثه عن كتاب « حيلة البرء » لجالينوس ، يقول : « عندما أراد سالمويه أن يصلح ترجمته قابلني ببعض المقالة السابعة » . والمقالة هنا تأخذ المعنى الثاني ، وهو شخص بيده نسخة وشخص آخر بيده نسخة أخرى ، ويقارنان النص كلمة كلمة .

أشكر الدكتور أيمن على ملاحظته ، التي لم ترد على بالي ، وهي الملاحظة الخاصة بالنديم الذي يفرق بين ترجمة ونقل ، مما يدل على أن العين قد ترى ، والوعي قد تغيب عنه أشياء .

■ **د. علي عبد الفتاح :**

أشار د. عبد الفتاح غنيمة إلى أننا أعلنا في صحيفة الأهرام عن إنشاء جمعية لإحياء التراث ، وهذا صحيح ، لكننا لم نتمكن من تحقيق الموضوع لأسباب عديدة . لقد بذلنا جهداً مع بعض المسؤولين في الدولة ، لكني لم أجد أذناً صاغية ،

ويبدو أنهم غير قادرين على استيعاب أنه لولا التراث ما كان الحاضر ، ولولا الحاضر ما كان المستقبل .

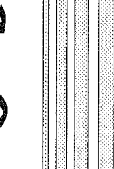
إن مهمة إحياء التراث بحاجة إلى تفرغ ، فمنذ نحو ٣٠ عاماً كان المركز القومي للبحوث لديه منح لسنة أو سنتين يُعطي فيها الباحث راتبًا شهريًا ما ليبحث نقطة معينة ، وقد حقق هذا المسعى كثيراً من الحلول لمشاكل كثيرة في الحقل الطبي ، إلا أن هذا الأمر قد توقف .

فإذا كنا نود إيجاد هيكل مؤسسي لإحياء التراث ، فالمسألة بحاجة إلى دعم الدولة بل الدول ؛ بالإضافة إلى دعم رجال الأعمال في مصر والدول العربية .

* * *

الجلسة الرابعة

نشر التراث العلمي بين الماضي والمستقبل



نشر التراث العلمي العربي : رؤية ماضوية تقويمية

د . أيمن فؤاد سيد

■ د . عبد الله محارب (رئيس الجلسة) :

بداية أشكر القائمين على معهد المخطوطات العربية على هذا النشاط المتميز الذي لاتخطئه العين . وهو نشاط يؤكد الدور الخطير الذي يقوم به هذا الجهاز القومي في خدمة تراثنا وأمتنا ، على الرغم من العقبات التي تعترض طريقه ، وقلة الإمكانات التي يعاني منها .

إن المعهد يناضل في وقت يتعرض فيه تراثنا وحضارتنا الإسلامية والعربية لهجوم شديد من بعض المتطرفين من الحداثيين ، الذين يدعون إلى قطع كل الصلة بالماضي ، وتحطيم كل الثوابت ، وينعتون كل محاولة لدراسة هذا التراث بأنها محاولة رجعية ستعيدنا إلى ما يسمونه جهلاً بعصور الظلام . لا أريد أن أطيل ، ولكنها بعض الشجون ، أفلتت من اللسان .

وأود أن أرحب بضيفي الكريين د . أيمن فؤاد سيد ، و د . يوسف زيدان ، وهما باحثان معروفان في مجال المخطوطات ، د . أيمن غني عن التعريف ، ولكن بكلمات قليلة هو مستشار التراث بدار الكتب المصرية سابقاً وأحد المشتغلين بالمخطوطات ، وله كتابه المعروف « المخطوط العربي » الذي يطوف بقارئه حول فن المخطوطات بشكل عام ، سيحدثنا عن نشر التراث العلمي : رؤية ماضوية تقويمية . أما د . يوسف فهو مستشار التراث في مكتبة الإسكندرية ، وله جهد كبير في فهرسة المخطوطات وسيحدثنا عن نشر التراث العلمي أيضًا ، ولكن من خلال رؤية مستقبلية استشرافية . ونبدأ بالدكتور أيمن .

* * *

ظلّ مؤرخو التاريخ العلمي العام لفترة طويلة يرون أن تَطَوُّر العلوم - ولا سيما في بلاد حوض البحر المتوسط - قد مرّ بمرحلتين أساسيتين ، هما : مرحلة الإغريق القدماء ، ومرحلة العالم الغربي ، التي تبدأ بظاهرة عصر النهضة .

ثم تَنَبّه بعض الباحثين إلى أن مكان الإغريق ليس في أوائل تاريخ العلوم ، وإنما هم ورثة أجيال أخرى سبقتهم في الزمن تضعهم في منتصف تاريخ العلوم وليس في أوله .

وتجاهل هذا التصور الخاطئ الدور الهام الذي قام به العرب والمسلمون في الفترة التي أطلق عليها في أوربا « عصور الظلام Dark Ages » ، وإن كانت الدراسات الاستشراقية التي بدأت في القرن الثامن عشر الميلادي قد حاولت تصويب هذا المفهوم ، ولكنها لم تتجاوز القول بأن العرب والمسلمين قدَّموا خدمة محدودة في هذا المجال ، هي قيامهم بدور الوسيط بين الإغريق القدماء واللاتين المحدثين في عصر النهضة[1] .

وحقيقة الأمر أن هذه الدراسات تُغفل مرحلة إبداعية هامة بين مرحلتي الإغريق والنهضة ، فقد بدأ العرب والمسلمون في الشرق التعرُّف على علوم الأمم السابقة : الفُرْس والإغريق والهنود والسُّريان ، منذ النصف الثاني للقرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، ونقلوها إلى العربية ، كما اهتم أهل الأندلس بدءاً من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بالنقل والترجمة عن التراث اللاتيني ، ودفعهم إلى ذلك موقف الدين الإسلامي ذاته من العلم ، فقد كان هذا الموقف هو المحرك الكبير ، ليس فقط للحياة الدينية بل أيضاً للحياة الإنسانية بمختلف جوانبها . كان هذا الموقف هو الذي فتح الأبواب للوصول إلى المعارف الإنسانية ، ولولاه لانحصرت الترجمة في أشياء ضرورية للحياة العلمية وحدها[2] .

ولم يكن تأسيس « بيت الحكمة» في بغداد زمن الخليفة المأمون العباسي هو بداية اتصال العرب والمسلمين بالمعارف الأجنبية ، وإنما يرجع ذلك إلى منتصف القرن الأول الهجري مع الدورالذي قام به خالد بن يزيد بن معاوية « حكيم آل مروان » ، الذي اعتبره النديم أول من اهتم بالصنعة وفكَّر في نَقل الكتب القديمة

---

(١) فؤاد سزجين : محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت - معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ١٩٨٤ ، ٢١-٢٢ .

(٢) فؤاد سزجين : المرجع السابق ٢٣-٢٤ .

في موضوعات الطب والنجوم والكيمياء العربية[1] . ولكن حركة الترجمة ازدهرت ازدهاراً كبيراً مع إنشاء « بيت الحكمة » ، وعلى الأخص في زمن الخليفة المأمون العباسي ، وتطوَّرت بسرعة مذهلة ، وأدَّت إلى تَمثُّل العلماء العرب والمسلمين لما أخذوه عن هذه الأمم ، والانتقال إلى مرحلة الإبداع ، منذ أواسط القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي . ونتيجة لترجمة « زيج » بطلميوس وكتابيه الآخرين « المَجسْطي » و« الجغرافيا » بين عامي ١٨٠و١٨٥هـ ، تَمكَّن الجغرافيون العرب في عهد المأمون من امتحان النتائج الجغرافية التي تَوَصَّل إليها العلماء الإغريق ، ومن وَضْع طريقة لقياس محيط الكرة الأرضية مكَّنَتهم من رسم خريطة للعالم تَوَفّر على إعدادها سبعون من الفلاسفة والجغرافيين بأمر من الخليفة المأمون ، وهي التي أطلق عليها «خريطة العالم المأمونية»[2] .

وفي هذه المرحلة نفسها أسَّسَ العرب « علم الكيمياء » على أساس نظري وعلمي ، مستندين إلى النتائج التي وصلت إليها مختلف الأمم قبل الإسلام ، ويعد جابر بن حَيَّان الكيميائي العربي المشهور ، الذي عاش في النصف الأول للقرن الثاني الهجري ، أكبر شخصية في تاريخ الكيمياء ، وإن كان كثير من حقائق علم الكيمياء التي توصَّل إليها في هذا التاريخ المبكر تُنسب بالباطل إلى علماء أوربيين متأخرين جداً .

واعتبر فؤاد سزجين أن مرحلة « الأخذ والتمثل » قد انتهت في أواسط القرن الثالث الهجري إلى مرحلة « الإبداع » ، حيث أدرك العلماءالمسلمون بأنفسهم أنهم قادرون على إبداع علم جديد ، والوصول إلى ما لم يصل إليه الإغريق من قبلهم ، ففي ميدان الطب والبصريات كان محمد بن زكريا الرازي، المتوفى سنة ٣٢٠هـ/

---

(١) النديم : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ ، ٣٠٣، ٤١٩ .

(٢) فؤاد سزجين : محاضرات فى تاريخ العلوم .

٩٢٥م ، يردُّ على إقليدس وجالينوس قولهما في كَوْن رؤية الأشياء تتكون بخروج قوة الرؤيـة من العين إلى الأشيـاء ؛ بـأن الرؤية تحدث بوصول الضياء مـن المادة إلى العين ، وأن حَدَقَة العين تتغير كبراً وصغراً بمقدار قوة الضياء الذي يدخل فيها[١] .

وتمتاز مرحلة « العطاء والإبداع » العربي والإسلامي بأن العلماء - حتى نهاية أواسط القرن الخامس الهجري - كانوا يعـدّون أنفسـهم أشبه بتلامذة للإغريق القدماء، رغم توَصُّلهم إلى نتائج جديدة ورائعة في سائر نواحي العلوم ، ثم أصبح العلماء منذ هذا التاريخ يعدون أنفسهم استمراراً لإنجازات أساتذتهم المسلمين دون سواهم .

ولم يجد العلماء المسلمون أيّ حرج في أخذ المعارف من الأمم السابقة وأخذوا موقفاً واضحاً من أسلافهم ، وتبدو قيمة الموقف العظيم إذا قارناه بموقف اللاتين من أساتذتهم العرب والمسلمين ، إذ تجاهلوهم تجاهلاً تامّاً .

وبلغت العلوم العربية والإسلامية ذروتها في القرنين السابع والثامن للهجرة / الثالث عشر والرابع عشر للميلاد ، عندما اكتشف ابن النَّفيس « الدورة الدموية الصغرى » ، وعرض لسان الدين بن الخطيب لقضية « العَدْوى » ، وجَعَلَ نصير الدين الطُّوسي علم المثلثات علماً مستقلاً - في حين ينسب الأوربيون هذه الفكرة إلى ريجيو مونتانوس الذي عاش في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد - يضاف إلى ذلك تنظيم شرف الدين الطوسي المعادلات من الدرجة الرابعة ومعالجتها ، والاكتشافات الخطيرة المتعددة في علم الرياضيات لغيَّاث الدين الكاشي ، والمحاولات الرائعة في علم الفلك لقطب الدين الشيرازي وابن الشّاطر[٢] .

(١) فؤاد سزجين : مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم ، فرانكفورت - معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ١٩٨٧ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) فؤاد سزجين : المرجع السابق ٢٧ .

وكما نَقَلَ العرب والمسلمون علوم اليونان والفرس والسريان والهنود إلى العربية وتَمَثّلوها وأضافوا إليها إبداعاتهم في مجالات العلوم المختلفة ، فقد نقلت العديد من مؤلّفات العلماء العرب والمسلمين وإبداعاتهم أولاً إلى اليونانية عن طريق بيزنطة وصقلية ، ثم اللاتينية بواسطة يهود الأندلس ، كما كان للحروب الصليبية والوجود الغربي في بلاد الشام فيما بين القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد دور في تعرُّف الغرب اللاتيني على الإنتاج العلمي العربي المتميز . وهذا يعني أن أخذ الغرب المسيحي للمعرفة عن المسلمين لم يقتصر على الترجمة ، بل كان اتصالاً بشريّاً قويّاً مباشراً . واعتمد العلماء الغربيون المتأخّرون على ما نُقِلَ من هذا التراث ، سواء إلى اليونانية أو اللاتينية ، فقد اقتبس روجيه باكون Roger Bacon (١٢١٠-١٢٩٠م) ، على سبيل المثال ، جميع ما نُسب إليه من نتائج علمية من هذه الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية ، وتَعَمَّد المؤلّفون الغربيون إغفال ذكر أثر العرب والمسلمين في إحياء المرحلة الغربية في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد .

وفي ظل هذا الجو المتسم بعدم الأمانة العلمية أخذ مؤرخو العلوم الغربيون يضعون مؤلفاتهم حول تاريخ العلوم[١] .

* * *

كانت جهود المستشرقين ابتداءً من القرن الثامن عشر للميلاد هي أول محاولة لمنح العلوم العربية والإسلامية المكانة التي تستحقها ، ووضعها في موضعها الحقيقي في تاريخ العلوم . وكان رائد هذا التيار المستشرق الألماني ياكوب رايسكة Jacob Reiske ، وقد أسهم في رفد هذا التيار عدد من العلماء المنصفين منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى اليوم ، مثل الأديب الألماني الأشهر يوهان فولفجانج جوته

(١) فؤاد سزجين : المرجع السابق ٣٤ ، ٣٥ ، ١٢٥ .

J.W.Goethe ، ثم قام المتخصصون الأوربيون في الدراسات العربية بتحقيق الكثير من الكتب العربية العلمية ونشرها ودراسة محتواها وبيان أهميتها في تاريخ العلوم ، وأثرها في العالم الغربي . ويتطلب إثبات أثر العلوم العربية والإسلامية في عصر النهضة الأوربية معرفة واسعة وعميقة بالتراث العربي الإسلامي من جهة ، وإعداداً سليماً في العلوم الحديثة ومناهجها من جهة أخرى ، وكما يقول فؤاد سزجين فإن البحث الجاري في أعمال العلماء المسلمين والعرب ينبغي أن يتم قبل بحث قضية تأثيرها في عصر النهضة ، وأن تتبع هذا الأثر وتبيانه ينبغي أن يقوم به المنتسبون إلى الثقافة العربية الإسلامية ، وذلك بمقارنة النتائج التي وَصَل إليها العلماء المسلمون بكتب العالم الغربي ، من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر للميلاد [1] .

وترجع أقدم الترجمات المعروفة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ، إلى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وهي ترجمة لبعض كتب الفلك التي تناولت عمل الإسطرلاب والهندسة العملية ، ومن الملاحظ على هذه الكتب أن مترجميها لم يجدوا في كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة للاصطلاحات العربية ، مما اضطرهم إلى إثبات الاصطلاحات العربية كما هي . وظهرت بواكير المؤلفات اللاتينية في هذه الموضوعات في فترة تالية لهذه الترجمات بسنوات قليلة ، وأثبت البحث العلمي لهذه الكتب اللاتينية ، والدراسات التي تمت في القرن العشرين بصفة خاصة ، أن هذه الكتب اللاتينية هي مجرد نقول من الكتب العربية ؛ وعلى هذا فهذه الكتب ليست مؤلفات لاتينية في واقع الأمر ، وإنما هي مقتبسات باللغة اللاتينية ترجع إلى أصول عربية . ويشير فؤاد سزجين إلى ظاهرة مهمة في هذه الترجمات والمؤلفات اللاتينية ، حيث لجأ اللاتين إلى الانتحال وعدم نسبة المؤلفات إلى أصحابها ، في حين كان هذا المبدأ واضحاً في الحضارة الإسلامية ،

(١) فؤاد سزجين المرجع السابق ١١٧-١١٨ .

إذ حَثّ الدين الإسلامي على ضرورة إسناد الأقوال إلى أصحابها . وربما كان إحساس اللاتين بأنهم مضطرون إلى أخذ العلم عن أعدائهم في الدين والسياسة – هو الذي أدّى بهم إلى كثير من الانتحال لإخفاء المؤلفين الحقيقيين ، وذلك خلافاً للمتبع عند المسلمين ، فقد كانوا يأخذون عن أبناء دينهم وغيرهم في الدولة الإسلامية دون أي مانع معنوي [1] .

وعرف العلماء اللاتين عن طريق المؤلفات العربية المترجمة أسماء علماء الإغريق ، مثل أرسطو طاليس وبطلميوس . وابتداءً من أواخر القرن السادس الهجري كان أشهر مترجمي الكتب العربية وأمهرهم هو كرهارد الكرموني Gerhard Von Cermona ، الذي ترجم أكثر من تسعين كتاباً من العربية ، بعضها من تأليف اليونان مترجم إلى العربية ، ونُقِلَ عنها إلى اللاتينية . وفي سالرنو Salerno بجنوب إيطاليا نقل الطبيب العربي المعروف عند الأوربيين باسم قسطنطين الإفريقي بمعاونة بعض الرهبان في أديرة هذه المدينة محتويات أكثر من سبعين كتاباً عربيًا في الطب إلى اللغة اللاتينية ، ولكنه نسب لنفسه عدداً كبيراً من هذه الكتب الطبية العربية المهمة ، من بينها كتاب « كامل الصناعة الطبية » لعلي بن موسى المجوسي ، الذي كان متداولاً بين الأطباء اللاتين على أنه من مؤلفات قسطنطين نحو مائتي سنة ، إلى أن قام مترجم بترجمة الكتاب الأصلي ، فلفتت الحقيقة أنظار الناس [2] . كما اكتشف يوليوس هيرشبرج Julius Hirschberg أن قسطنطين الإفريقي قد انتحل كتاب «العشر مقالات في العين» المنسوب إلى حنين بن إسحاق ، وسماه كتاب « قسطنطين الإفريقي في العين » [3] Liber de Owlis Conslanlinu Africani ،

(١) فؤاد سزجين : المرجع السابق ١١٩ - ١٢٠

(٢) نفسه ١٢١ - ١٢٣ .

(٣) انظر چورج شحاتة قنواتي : مؤلفات ابن سينا ، القاهرة ١٩٥٠ ، ١٣ ؛ مؤلفات ابن رشد ، القاهرة ١٩٧٨ ، ٢٦١ - ٣٠٨ .

كذلك فقد اقتبس العالم البولندي فيتيلو Vetelo نص كتاب « المناظر » لابن الهيثم ، وانتحله لنفسه[1] . وكذلك أيضًا فقد عرف العلماء الأوربيون في القرنين السادس والسابع للهجرة / الثاني عشر والثالث عشر للميلاد كتب أرسطوطاليس بواسطة شروح ابن سينا وابن رُشْد ، التي نقلت إلى اللاتينية وأصبحت تعرف بـ « ابن سينا اللاتيني » و « ابن رُشد اللاتيني » ، إذ فقد بعض أصول هذه المؤلفات العربية ، وبقيت في ترجماتها اللاتينية [2] .

إحياء التراث العلمي العربي الإسلامي :

عرفت الكتب الرئيسة لمصادر التراث العلمي العربي طريقها إلى النشر والدراسة مثل بقية مصادر التراث العربي الإسلامي الأخرى ، على أيدي المستشرقين منذ اكتشاف الطباعة ، ولكن لم يُتبع فيها المنهج العلمي للنشر إلا منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر . وكان أول هذه الكتب هو كتاب « القانون في الطب » لابن سينا ، الذي طبع في روما سنة ١٥٩٣ ، ومعه كتاب « النجاة » له أيضاً ، وفي العام التالي صدر كتاب «تحرير أصول إقليدس» لنصير الدين الطوسي في روما سنة ١٥٩٤م ، وتبعها في الظهور كتاب «التصريف العربي» لإبراهيم بن عبد الوهاب الزنجابي ، المتوفى سنة ٦٥٥هـ ، مع ترجمة لاتينية في روما سنة ١٦١٠م ، وكتاب محمد بن كثير الفرغاني في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم مع ترجمة لاتينية في أمستردام سنة ١٦٦٨م ، و «كتاب في الجُدَري والحصبة» ، لمحمد بن زكريا الرازي في لندن سنة ١٧٦٦م ، وكتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوي مع ترجمة لاتينية في أكسفورد سنة ١٧٧٨م .

(١) عبد الحميد صبرة : مقدمة كتاب المناظر لابن الهيثم ، الكويت ١٩٨٣ ، ٤٦-٤٧ .

(٢) مايرهوف : مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ، القاهرة ١٩٢٨ ، ٣ .

ومع مطلع القرن التاسع عشر صدر في مدريد مع ترجمة إسبانية « كتاب الفلاحة » لابن العوّام سنة ١٨٠٢م ، ثم كتاب « الزيج الكبير الحاكمي » ، المعروف بـ « زيج ابن يونس » مع ترجمة فرنسية في باريس سنة ١٨٠٤م ، ثم كتاب « المختصر في حساب الجبر والمقابلة » للخوارزمي مع ترجمة إنجليزية في لندن سنة ١٨٣٠م ، وفي سنة ١٨٤٣م نشر في برلين كتاب «خلاصة الحساب » ، لمحمد ابن الحسن العاملي مع ترجمة ألمانية . وبعد ذلك بثلاث سنوات وفي سنة ١٨٤٦م نُشرَ في ليبتسك كتاب « قاطيغوريا » ، أي « المقولات » لأرسطو طاليس مع ترجمة يونانية ومقدمة باللاتينية ، ونشر وبكة مع ترجمة فرنسية « مقالة في الجبر والمقابلة» ، لعمر بن إبراهيم الخيام في باريس سنة ١٨٥١ ، ثم نشر كرنيليوس فان ديك في بيروت سنة ١٨٥٧م « كتاب في الأصول الهندسية » ، يشتمل على كتب إقليدس الستة .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشرت مطبعة بولاق أو أعادت نشر بعض المصادر العلمية الهامة ، مثل « القانون في الطب » لابن سينا سنة ١٨٧٧م ، و « التصريف العربي » للزنجاني سنتي ١٨٢٨م و ١٨٣٥م ، و « اللمع في الحساب » لأحمد بن محمد بن الهائم سنة ١٨٢٨م .

أما في القرن العشرين فقد صار نشر التراث العلمي العربي على نمط أكثر تنظيماً إذ تولى ذلك بعض المؤسسات العلمية ، أو تبناه بعض العلماء الأفراد المهتمين بفرع مُعَين من فروع العلوم العربية والإسلامية ، فكان محل اهتمامهم في إعداد أطروحاتهم العلمية ثم استمروا في درسه والاهتمام به . وتناولت هذه النشرات موضوعات مختلفة تركزت في الأساس في علوم الطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا .

ففي مجال الطب نشرت دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن كتاب

(١) صدرت للكتاب طبعة سابقة في البندقية بين سنتي ١٥٠٩- ١٥٤٢م .

« الحاوي في الطب » لمحمد بن زكريا الرازي ، بين سنتي ١٩٥٥-١٩٧٢ في ثلاثة وعشرين جزءاً ، وقدم له كل من محمد كامل حسين ومحمد عبد الحليم العقبي بدراسة تحليلية صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة سنة ١٩٧٧ ، بعنوان « طب الرازي » . كما اهتم المستشرق كونينج P.DE Koning بنشر بعض مؤلّفات الرازي الطبية الأخرى ، وهي : « الفاخر في الطب » في بريل سنة ١٨٩٠ ، و « مقالة في الحصى وفي الكلى وفي المثانة » في بريل سنة ١٨٩٠ ، و« المنصوري في الطب » في بريل أيضاً سنة ١٩٣٠ . وقد أعاد نشر هذا الكتاب الأخير حازم البكري الصديقي ، وصدر عن معهد المخطوطات العربية في الكويت سنة ١٩٨٧م ، ونشر سلمان قطاية كتاب « كلام في الفروق بين الأمراض » للرازي، وصدر عن معهد التراث العلمي العربي بحلب سنة ١٩٧٨ .

ومن مؤلفات الرازي أيضاً نشر ألبير زكي إسكندر « كتاب المرشد أو الفصول مع نصوص طبية مختارة » في مجلة معهد المخطوطات العربية ٧(١٩٦١) ، ٥-١٢٨ . كما نشر جيرار تروبو G.Troupeau كتاب « القواعد الطبية » المعروف بـ« جوامع الكلم »، ليوحنا بن ماسويه ، مع ترجمة فرنسية في چنيف سنة ١٩٨٠ . كما نشر قيصر دبلار Dubler وإلياس تراس في تطوان سنة ١٩٥٧ المقالات الخمس وهو هيولي الطب لديسقوريدس العين زربي ، بترجمة اصطفان بن بسيل وحنين بن إسحاق .

واهتم يوسف زيدان بنشر تراث علاء الدين بن النَّفيس الطبي ، فأصدر له « شرح فصول أبقراط »، بالتعاون مع ماهر عبد القادر ، و « رسالة الأعضاء » ، و« المختار من الأغذية » ، القاهرة ١٩٩١- ١٩٩٢ . وهو الآن بصدد إصدار موسوعة « الشامل في الصناعة الطبية » . كما نشر سلمان قطاية « شرح تشريح القانون » لابن النفيس ، وصدر في القاهرة سنة ١٩٨٨ ، ونشر عبد الكريم العزباوى كتابه « الموجز في الطب » ، وصدر في القاهرة سنة ١٩٨٦ .

ويعد طب العيون أو الكحالة أحد فروع الطب التي أصبحنا نعرف الكثير من تفاصيلها ، والتي بلغ فيها الأطباء العرب والمسلمون في القرنين الرابع والخامس

للهجرة / العاشر والحادي عشر للميلاد مرتبة مدهشة . فقد نشر ماكس مايرهوف Max Meyerhaf في القاهرة سنة ١٩٢٨ أقدم كتاب في طب العيون ألف على الطريقة العلمية ، وهو « كتاب العشر مقالات في العين » المنسوب لحُنَيْن بن إسحاق ، المتوفى سنة ٢٦٤ هـ ، وأورد في مقدمته قائمة بالمصنفات العربية الأولى في طب العيون (ص٦ - ١٤) . ونشر أيضًا كتاب « تذكرة الكحالين » لعلي بن عيسى بن علي الكحال ، المتوفى عام ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م .

وفي السنوات الأخيرة قام محمد ظافر الوفائي بنشر تراث الكحالة ، فأصدر الكتب الآتية : « نور العيون وجامع الفنون » لصلاح الدين الكحال الحموي ، المتوفى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م وصدر عن مركز الملك فيصل بالرياض ١٩٨٧ ، و « المهذب في الكُحْل المجرب » لعلاء الدين بن النفيس المتوفى سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م و« الكافي في الكحل » لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي ، المتوفى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٦م ، صدرا عن منظمة الإيسيسكو بالرباط سنة ١٩٩٠ ، وعن مكتبة العُبَيْكان بالرياض صدر له « البَصَر والبصيرة » لثابت بن قُرَّة ، المتوفى سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م، و « المنتخب في علم العين وعلاجاتها » لعمار بن علي الموصلي المتوفى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م ، و « تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها » لابن بختيشوع الكفر طابي المتوفى سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٧٠م في سنتي ١٩٩٠و١٩٩١ . وأصدر كذلك « المرشد في طب العين» لابن قَسُّوم الأندلسي المتوفى سنة٥٩٥هـ/ ١١٩٧م في الرياض سنة ١٩٩٠ ، كما صدر له عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن مختارات من كتابي « المعالجات البقراطية » لأحمد بن محمد الطبري المتوفى سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م ، و « فردوس الحكمة » لعلي بن رَبَّن الطبري ، المتوفى سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م ، وكتاب « نتيجة الفكر في علاج أمراض البَصَر » « لأحمد بن عثمان العتبي» المتوفى سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م ، بالتعاون مع محمد رواس قلعجي في سنتي ١٩٩٨- ١٩٩٩[1] .

(١) محمد ظافر الوفائي : «تحقيق ونشر سلسلة التراث الطبي في علم الكحالة » ، تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي ، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٩، ٣٢٧ - ٣٣٤ .

وفي مجال البيطرة نشر عبد الرحمن الدقاق - وهو طبيب بيطري سوري - كتاب « كاشف هم الويْل في معرفة أمراض الخيل » أو « كامل الصناعتين البيطرة والزردقة » ، المعروف بـ « الناصري » لأبي بكر بن بدر الدين البيطار ، وصدر في بيروت عن دار النفائس سنة ١٩٩١ ، وهو في الأساس أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة باريس ومعه ترجمة إلى الفرنسية .

وعُني العلماء العرب بعلم النبات ، أولا من حيث هو مبحث لغوي (الأصْمَعي وأبو حنيفة الدينوري) أو مبحث فلاحي (ابن وَحْشيّة وابن العوّام وابن بصال والأفضل الرسولي) ، ثم استقل عندهم مبحثاً علميًا قائماً بذاته مع أبي العباس أحمد بن مُفَرِّج ابن الرومية الإشبيلي المتوفى سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م صاحب كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس الذي لم يصل إلينا .

وكانت كتب « الصيدلة والأدوية المفردة » من أهم كتب التراث العلمي العربي التي وجدت سبيلها إلى النشر العلمي بصفة خاصة وما يتعلق بضبط ألفاظها وتحديد ما يقابلها في اللغات المختلفة . ومن أقدم هذه الكتب « مقدمة في كتاب الحشائش والأدوية » لديسقوريدس العين زربي، بترجمة مهران بن منصور بن مهران ، نشرها صلاح الدين المنجد ، وصدرت عن المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٦٥ ، ونشر النص كاملا مع ترجمة ألمانية ألبرت ديتريش Albert Dietrich ، بعنوان « شرح كتاب دياسقوريدس في هيولي الطب ، وصدر في جوتنجن سنة ١٩٨٨ .

ونشر إبراهيم بن مراد « تفسير كتاب دِياسقوريدس في الأدوية المفردة » لابن البيطار ، المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م ، وصدر عن بيت الحكمة في تونس سنة ١٩٩٠ ، كما نشر عبد الرحمن بدوي « كتاب أرسطوطاليس في النبات بتفسير نيقولاوس وترجمة إسحاق بن حنين ، بإصلاح ثابت بن قرة ، في الكويت

سنة ١٩٨٠ ، وكان كتاب « الجامع لمفردات الادوية والأغذية » لابن البيطار قد صدرت له طبعة سقيمة في أربعة أجزاء في مجلدين عن مطبعة بولاق سنة ١٨٧٤ ، ثم نقله إلى الفرنسية في ثلاثة أجزاء لوسيان لكرك L.L eclerc ، وصدر في باريس بين سنتي ١٨٧٧-١٨٨٣ .

أما كتاب « شرح أسماء العَقار » لأبي عمران موسى بن ميمون القرطبي ، فقد نشره مع ترجمة فرنسية ماكس ما يرهوف Max Meyerhof ، وصدر عن المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٤٠ . ولم يُنْشر من كتاب « الأدوية المفردة » لأبي جعفر الغافقي سوى « المنتخب » الذي صنعه جمال الدين أبو الفرج غريغوريوس ابن العبري ، ونشره مصحوباً بترجمة فرنسية - توقفت عند حرف الذال ، بعد أن دعا اكتشاف أصل كتاب الغافقي إلى هذا التوقف - ماكس مايرهوف وجورج صبحي ، في القاهرة في أربعة أجزاء بين سنتي ١٩٣٢-١٩٤٠[١] . وفي سنة ١٩٦٩ نشر مارتن ليفي كتاب « أقرا باذين واختبارات في الأدوية الممتحنة والمجربة التي كان يستعملها » للكندي ، مع ترجمة إنجليزية ، وصدر عن جامعة وسكنسون ، كذلك نشر محمد سعيد إحسان إلهي كتاب «الصيدلة في الطب » للبيروني ، مع ترجمة إنجليزية في كراتشي سنة ١٩٧٩ . وفي سنة ١٩٨٥ صدر عن دار الغرب الإسلامي في بيروت كتاب « حدائق الأزهار في ماهية العُشْب والعقار» لمحمد بن إبراهيم الغساني، بتحقيق محمد العربي الخطابي .

وهناك العديد من كتب الأدوية المفردة التي نشرت في طبعات سقيمة تحتاج إلى إعادة نشر مرة أخرى ، مثل : « منهاج الدكان » للكوهين العطار الإسرائيلي ، الذي نشر في مصر في السنوات ١٢٨٧هـ، و١٣٠٥هـ ، و١٣٣٠هـ ،

(١) نشر إبراهيم بن مراد مقالاً عن الكتاب ومؤلفه « أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب « الأدوية المفردة » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٣٠(١٩٨٦) ١٥٧-٢١٠ .

و١٣٥١هـ ، و « المعتمد في الأدوية المفردة » للملك الأشرف الرسولي ، الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٢٧هـ ، وكتاب « تذكرة داود الأنطاكي » الذي صدرت له العديد من الطبعات غير المحققة .

وفي الوقت نفسه قام بعض العلماء بعمل فهارس جامعة للمخطوطات الطبية الإسلامية ، مثل فهارس معهد المخطوطات العربية ، والمكتبة الظاهرية بدمشق ، وأخيراً « فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا » ، الذي صنعه العلامة رمضان سشن ، وصدر في إستانبول سنة ١٩٨٤ .

وفي مجال « الرياضيات والحساب والنجوم وعلم الهيئة » كانت هناك نصوص مهمة صدرت بناء على اهتمام ناشريها بموضوعها ، وإسهامًا منهم في دراسة أثر العلماء المسلمين في هذه المجالات ، فاهتم رشدي راشد بتاريخ الرياضيات عند المسلمين ، وبدأ في سنة ١٩٧٥ بنشر كتاب « صناعة الجبر » ترجمة قسطا بن لوقا ، وصدر في القاهرة ، ثم أردف ذلك بدراسة موسعة ستصدر في سبعة مجلدات تتولى نشرها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن ، بعنوان « نصوص عربية في الرياضيات عند المسلمين » ، صدر منها ثلاثة مجلدات بعنوان « الرياضيات التحليلية بين القرن الثالث والقرن الخامس » ، اشتمل الجزء الأول على نصوص للمؤسسين والشارحين ، وهم : بنو موسى ، ابن قرة ، ابن سنان ، الخازن ، القوهي ، ابن السَّمْح ، ابن هود ، والجزآن الثاني والثالث عن ابن الهيثم : أعماله في الرياضيات التفاضلية ودراسات حول علم المخروطات وتطبيقاته ، لندن ١٩٩٦ - ١٩٩٨[1] .

---

(1) Roshdi Rashed, Les makhe'matiques infinite'semalas du 1x, au x 1, sie'cle , London , al - F urqan Islami Heritage Foundation 1996 - 1998.

وكان علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد قد أعادا نشر « كتاب الجبر والمقابلة » لمحمد بن موسى الخوارزمي ، في طبعة محققة صدرت عن الجامعة المصرية سنة ١٩٣٩ .

ونشر أحمد سليم سعيدان في عمان سنة ١٩٧١ كتاب « ما يحتاج إليه الكتّاب والعمّال وغيرهم من علم الحساب » ، المعروف بـ « المنازل السبع » لأبي الوفاء البَوْزجاني ، وكان قد نَشر من قبل في مجلة معهد المخطوطات العربية « رسالتان في الحساب العربي : أصول حساب الهيئة لكوستا بن ليان ، و « الكفاية » لأحمد بن علي الإربلي» ١٣ (١٩٦٧) ٤١ - ١٥٨ ، و« طرائف الحساب » لأبي كامل شجاع ابن أسلم المصري ٩ (١٩٦٣) ٢٩١ - ٣٢٠ ، ثم نشر في عمان « المقالات في الحساب » سنة ١٩٨٤ لابن البناء المراكشي .

كما اهتم أحمد سعيد الدمرداش بنشر بعض الرسائل الهندسية ، مثل « البركار التام والقطوع المخروطية » لويجن بن رستم القوهي في مجلة معهد المخطوطات ٢٢ (١٩٧٦) ٣٢١ - ٣٤٣ ، و« نصير الدين الطوسي » ، وكتاب « تحرير المناظر لأوقليدس » في نفس المجلة ٩ (١٩٦٣) ٢٤٣ - ٢٩٠ .

وواقع الأمر أن معهد المخطوطات اهتم منذ إصداره لمجلته المعروفة بنشر مصادر التراث العلمي العربي ، فبالإضافة إلى هذه الرسائل نشر « كتاب المرشد أو الفصول » لأبي بكر الرازي السابق الإشارة إليه ، وكتاب « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » للبيروني ، بتحقيق بولجاكون في سنة ١٩٦٢ ، كما نشر كتاب « المنصوري في الطب » للرازي ، بتحقيق حازم البكري الصديقي في سنة ١٩٨٧ ، وأخيراً كتاب « إنباط المياة الخفية » لمحمد بن الحسن الكرجي ، بتحقيق بغداد عبد المنعم في سنة ١٩٩٧ .

ونشر محمد السويسي في تونس سنة ١٩٦٩ كتاب « تلخيص أعمال الحساب » لابن البناء المراكشي مع ترجمة فرنسية ، وأيضاً رسائله الأخرى ، كما أصدر رمضان ششن كتاباً عن « مخطوطات الطب الإسلامي » في مكتبات تركيا ، وكان ماكس كراوزة قد أصدر في سنة ١٩٣٦ مقالاً مطولاً عن « مخطوطات الرياضيين الإسلاميين في إستانبول » . واهتم محمد سليم سالم بنشر العديد من النقول العربية للتراث اليوناني ، فصدر له عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية كتاب « في فرق الطب » لجالينوس ، نقل حنين بن إسحاق ، سنة ١٩٧٨ ، و « الصناعة الصغيرة » لجالينوس نقل حنين بن إسحاق أيضاً ، سنة ١٩٨٨ .

ونشر جورج صليبا بعض كتب علم الهيئة ، مثل : « كتاب الهيئة » لمؤيد الدين العرضي في بيروت سنة ١٩٩٠ ، وقام بالعديد من الدراسات حول كتاب « المجسطي » لبطلميوس .

كما نشر F. J. Ragel في نيويورك سنة ١٩٩٣ كتاب « التذكرة في علم الهيئة » لنصير الدين الطوسي مع ترجمة إلى الإنجليزية . ومازال كتاب « علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى » لكارلو الفونسو نللينو – وهو عبارة عن محاضرات ألقاها بالجامعة المصرية سنة ١٩١١ – لم يفقد قيمته ، وقد نشر نللينو كتاب « الزيج » للبتاني في ثلاثة مجلدات ، وهو أحد أهم مصادر الفلك الإسلامي Nallino, C. A. , Le tabelle geagraphiche ol'al- Battani, tradotte ed annatate, I-III Torino 1994-1996.

كما يمثل « زيج ألغ بك السمرقندي » – وهو أحد أحفاد تيمور لنك – الكلمة الأخيرة في فلك العصور الوسطى ، بل الدرجة القصوى التي بلغها علم الفلك قبل اختراع التلسكوب .

واهتم عبد الحميد صبرة بدراسة ونَشْر مؤلَّفات الحسن بن الهيثم في البصريات وغيرها ، فنشر له مركز تحقيق التراث بالقاهرة سنة ١٩٧١ كتاب « الشكوك على بطلميوس » ، كما نشر له المجلس الوطني بالكويت في سنة ١٩٨٣ المقالات الثلاث الأولى من « كتاب المناظر » لابن الهيثم . ونشر أنطون هاين في سنة ١٩٧٩ في الكتاب التذكاري المهدي إلى المستشرق هانز روبرت رويمر H. R. Roemer « سيرة ابن الهيثم الذاتية » كما وجدت في مخطوط يرجع تاريخه إلى ٥٥٦هـ / ١١٦١[1] .

وفي مجال الجيولوجيا نشر سالم الكرنكوي في حيدر آباد الدكن سنة ١٩٣٧ كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » للبيروني ، كما نشر محمد يوسف حسن في القاهرة سنة ١٩٧٧ كتاب « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » لأحمد بن يوسف التيفاشي ، كما نشر كريستوفر تول Chr. Toll في أوبسالا سنة ١٩٦٨ كتاب « الجوهرتين العتيقتين المانعتين من الصفراء والبيضاء » للسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ، وأعاد نشره علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ، وصدر عن دار اليمامة بالرياض سنة ١٩٨٧ .

ومع إنشاء معهد التراث العلمي العربي بحلب أخذ التراث العلمي العربي اهتماماً كبيراً في النشر ، فنشر كتاب « الحِيَل » لبني موسى بن شاكر ، و « كتاب القولنج » للرازي ، وبعض رسائل ابن سينا ، وكتاب « الأنيق في المجانيق » لأرنبغا الزردكاش ، والثلاثة الأخيرة بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية . وتبنى معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – الذي أسسه العالم التركي فؤاد سزجين صاحب كتاب « تاريخ التراث العربي » – مشروعاً طموحاً

(1) Heinen, A.," Ibn al - Haitham Autobiographie in finer Hands Chri ft aus dem Jahr 556 H./ 1161 A.D.", in Die Islamische Welt Zwischen Hittelalter und Neuzeit, Beirut 1979, pp.254-77.

أصدر من خلاله بطريقة الفاكسميلي مئات المخطوطات الهامة في مختلف مجالات المعرفة التي لم تنشر حتى الآن، كما أعاد بالتصوير نشر جميع مصادر الطب الإسلامي والرياضيات والفلك.

* * *

مما تقدَّم يتَّضح لنا أن نشر التراث العلمي العربي يرجع إلى أواخر العصور الوسطى، عندما نقل إلى اليونانية واللاتينية، وانتحله الأوربيون لأنفسهم. ثم بدأ تصحيح هذا الخلل وَوضع العلم العربي الإسلامي في مكانه الحقيقي في تاريخ العلم العالمي، عندما بدأ المستشرقون منذ القرن الثامن عشر في نشر النصوص العلمية العربية، ثم بدأت دراسة هذه النصوص ونشرها نشراً علميًا في القرن العشرين، وتولى ذلك هيئات علمية وأشخاص من دارسي تاريخ العلوم، اهتموا ببعض المؤلفين وأثر مؤلفاتهم في تاريخ العلم.

ولكن عدم فهرسة الكثير من المكتبات وخاصة في الشرق، وضياع الكثير من هذا التراث العلمي، يجعل من الصعب علينا تَتَبع واقع تطوُّر هذا التراث بدقة إلا بعد النشر العلمي الصحيح لهذا التراث.

* * *

نشر التراث العلمي العربي: رؤية مستقبلية استشرافية

د. يوسف زيدان

في ندوة سابقة بمعهد المخطوطات العربية، ألقيتُ بحثاً بعنوان: **الانتقال بالتراث من النص إلى الخطاب**.. عرضتُ فيه لوجهة نظر مُلخصها أن العمل التراثي ظلَّ خلال العقود الماضية مُنصرفاً إلى العناية بالنصِّ، وقد يتعين عليه اليوم تلبية لمقتضيات الواقع، أن ينتقل من **عمليات النص إلى عمليات الخطاب**.

ومقصودي بعمليات النص، تلك الجهود التقليدية التي تُبذل في مجال التراث العربي، للعناية بالنص ذاته. وهي ثلاث عمليات أساسية: الأولى **الفهرسة** الكاشفةعن محتوى النصوص في هذه المجموعة الخطية أو تلك. والثانية **النشر** وإبراز نص بعينه - محققاً أو غير محقق - لإخراجه من حالة المخطوط المستور إلى حالة الكتاب المنشور المشهور. والثالثة **الدراسة** التي تستهدف الكشف عن شخصية تراثية بعينها، أو موضوعٍ تراثي بذاته.

وقد ظلت هذه العمليات التراثية الثلاثة (الفهرسة، النشر، الدراسة) تدور خلال العقود الماضية حول النصِّ التراثي، وكأنها تنظر للتراث من داخله... ومن ثَمَّ تغرق في التفاصيل الدقيقة لتجلِّيات الذات، بعيداً عن العلاقة الجدلية بين **الذات والآخر**، وهي العلاقة التي اشتدت، وحمي وطيسُ جدلها مع تزايد حركة **العولمة** في واقعنا المعاصر.

وفي إطار **العولمة** تجري عملية **التثاقف** بين الأمم والجماعات، فعبر وسائل الاتصال (القنوات الفضائية - الصحافة الدولية - الانترنت... إلخ)، تلقي كل ثقافة خطابها، أو فحوى الرسالة التي تريد إبلاغها للعالم.

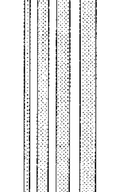
أصدر من خلاله بطريقة الفاكسميلي مئات المخطوطات الهامة في مختلف مجالات المعرفة التي لم تنشر حتى الآن ، كما أعاد بالتصوير نشر جميع مصادر الطب الإسلامي والرياضيات والفلك .

* * *

مما تقدَّم يتَّضح لنا أن نشر التراث العلمي العربي يرجع إلى أواخر العصور الوسطى ، عندما نقل إلى اليونانية واللاتينية ، وانتحله الأوربيون لأنفسهم . ثم بدأ تصحيح هذا الخلل وَوضع العلم العربي الإسلامي في مكانه الحقيقي في تاريخ العلم العالمي ، عندما بدأ المستشرقون منذ القرن الثامن عشر في نشر النصوص العلمية العربية ، ثم بدأت دراسة هذه النصوص ونشرها نشراً علميًا في القرن العشرين ، وتولى ذلك هيئات علمية وأشخاص من دارسي تاريخ العلوم ، اهتموا ببعض المؤلفين وأثر مؤلفاتهم في تاريخ العلم .

ولكن عدم فهرسة الكثير من المكتبات وخاصة في الشرق ، وضياع الكثير من هذا التراث العلمي ، يجعل من الصعب علينا تَتَبع واقع تطوُّر هذا التراث بدقة إلا بعد النشر العلمي الصحيح لهذا التراث .

* * *



نشر التراث العلمي العربي : رؤية مستقبلية استشرافية

د. يوسف زيدان

في ندوة سابقة بمعهد المخطوطات العربية ، ألقيتُ بحثاً بعنوان : **الانتقال بالتراث من النص إلى الخطاب** . . عرضتُ فيه لوجهة نظر مُلخصها أن العمل التراثي ظلَّ خلال العقود الماضية مُنصرفاً إلى العناية بالنصِّ ، وقد يتعين عليه اليوم تلبية لمقتضيات الواقع ، أن ينتقل من **عمليات النص إلى عمليات الخطاب** .

ومقصودي بعمليات النص ، تلك الجهود التقليدية التي تُبذل في مجال التراث العربي ، للعناية بالنص ذاته . وهي ثلاث عمليات أساسية : الأولى **الفهرسة** الكاشفةعن محتوى النصوص في هذه المجموعة الخطية أو تلك . والثانية **النشر** وإبراز نص بعينه - محققاً أو غير محقق - لإخراجه من حالة المخطوط المستور إلى حالة الكتاب المنشور المشهور . والثالثة **الدراسة** التي تستهدف الكشف عن شخصية تراثية بعينها ، أو موضوعٍ تراثي بذاته .

وقد ظلت هذه العمليات التراثية الثلاثة (الفهرسة ، النشر ، الدراسة) تدور خلال العقود الماضية حول النصِّ التراثي ، وكأنها تنظر للتراث من داخله . . . ومن ثَمَّ تغرق في التفاصيل الدقيقة لتجلِّيات الذات ، بعيداً عن العلاقة الجدلية بين **الذات والآخر** ، وهي العلاقة التي اشتدت ، وحمي وطيسُ جدلها مع تزايد حركة **العولمة** في واقعنا المعاصر .

وفي إطار **العولمة** تجري عملية **التثاقف** بين الأمم والجماعات ، فعبر وسائل الاتصال (القنوات الفضائية - الصحافة الدولية - الانترنت . . . إلخ) ، تلقي كل ثقافة خطابها ، أو فحوى الرسالة التي تريد إبلاغها للعالم .

وعلى هذا النحو تتفاعل الثقافات ، وتتم عملية **التثاقف** التي لابد معها من سيادة وهيمنة ثقافات معيَّنة - بفضل جودة خطابها وجاذبية عرضه على العالم - ومن ناحية مقابلة ، تؤدي عملية التثاقف إلى تراجع ثقافات أخرى ليس لها خطابٌ عالمي مقبول ، أو أن خطابها لم يحسُن طرحه .

* * *

ويأتي هذا البحث استكمالاً وتتميماً لوجهة النظر المطروحة في بحثي السابق المشار إليه آنفاً ، وهو البحث الذي اختتمته بنماذج من الخطاب الثقافي العربي ، المستند إلى تراثنا الهائل (الممتد فينا) ، وكان من تلك النماذج : التراث العلمي .

إنَّ أكثر ما يلقى القبول من تراثنا ، في العالم المعاصر ، هو **التراثُ العلمي** . . فقد اعترف الشرقُ والغربُ بفضل علمائنا السابقين ، وعُرفت الإسهامات العلمية **العربية الإسلامية** في أغلب الأرجاء ؛ مما تسهل معه عملية التثاقف ، اعتماداً على موروثنا العلمي ، وهو أمر لا يتم لنا ، إذا اقتصر جهدُنا المعاصر على عمليات النَّص دون الخطاب ، أعني : اقتصر على الفهرسة والنشر والدراسة التفصيلية ، دون استكشاف فحوى الخطاب المعرفي في تراثنا العلمي ، وهو الخطابُ في كيفية التفكير العلمي والتحولات المعرفية في تراثنا ، وفي المنطلقات الأساسية التي تطورت عنها - وبها - الجهود العلمية القديمة . بعبارة جامعة : كيف كان العقل العلميُّ يُفكر ؟

تلك هي **فحوى الخطاب** في التراث العلمي العربي ، وتأتي من بعد ذلك : أسلوبية التثاقف وأشكالها - المواقع الجذابة على الإنترنت - إنتاج الأفلام والوسائط الكمبيوترية - الإحالة المتكررة في المجالات السياسية والإعلامية للخطاب العلمي العربي (قنوات فضائية - أسماء المؤسسات الدولية - المحافل - الخطب . . إلخ) .

وجديرٌ بالتنويه ، أنَّ **عمليات النص** تمثل الأساس الذي تنطلق منه عملية **الخطاب** ، وجديرٌ أيضاً بالتنويه أن رهافة الخطاب ، وعُمْق أثره ودوام فاعليته ؛ هي أمور مرهونة بتطوُّر - وتطوير - العمل التراثي في مجال العلوم ، وهو ما نقترح عمله بما يأتي :

أولاً - استكشافُ المواطن المجهولة :

في مجال التراث العلمي العربي مواطن لم تزل مجهولة تماماً ، ومواطن لم تزل بحاجة إلى مزيد استكشاف ، ومواطن معلومة . . . والمثال على المواطن **المعلومة** يتجلَّى في تاريخ الطب العربي ، إذ إنَّ الجهود التي بُذلت في العقود الماضية ، لدراسة وتحقيق تراثنا الطِّبي ، بدايةً بجهود أعلام الاستشراق من أمثال **براون** صاحب كتاب « الطب العربي » ، ومروراً بجهود عديد من باحثينا المعاصرين . هذا علاوة على الوفرة - النسبية - في نشر مُتون الطب العربي ، مثل : « الحاوي » ، «القانون» ، « التصريف » ، « الجامع المعتمد » ، « التذكرة » . . إلخ .

ومع أن معرفتنا بتاريخ الطب العربي ، ليست تامة - بدليل أنَّ عديداً من النصوص والشخصيات المهمة ، لم تُعرف بعد - إلا أنَّ ما تحقَّق في هذا التخصص حتى اليوم ، لابأس به !

وأما المواطن المحتاجة إلى مزيد استكشاف ، فالمثال عليها يتجلَّى في تخصُّصيْ : الفلك والرياضيات . وهما تخصُّصان مرتبطان في تراثنا أشد الارتباط . . وباستثناء دراسات وتحقيقات لاتتعدَّى أصابع اليدين ، لايزال هذان التخصُّصان حتى اليوم مطمورين . ولم نجد في المكتبة العربية المعاصرة ، إلا بعض الكتابات التعريفية العامة ، مثل كتاب **نللينو** في تاريخ الفلك ، وبعض التحقيقات المتناثرة لأعمال مشاهير الفلكيِّين والرياضيين من أمثال **السجزي والخوارزمي والنصير الطوسي** .

وأما المواطن المجهولة تماماً ، حتى إننا لانكاد اليوم نعلم عنها شيئاً ، فمثالها **المنطق** الذي كان دوماً مقدمةً للعلوم ومفتاحاً لها ، حتى عُرف في تراثنا باسم **آلة العلوم** ، **والميزان** . . . ، غير أنَّ تراثنا في مجال المنطق لا يزال أغلبه مجهولاً ، وما زالت هناك قطاعات كاملة لم نسمع بها ! وفي آخر مكتبة قمتُ بفهرستها ، وهي مكتبة جامع الشيخ ، المحفوظة حالياً بالمعهد الديني بالإسكندرية ، لاحظت وكتبتُ في مقدمة الفهرس ما يلي :

من المناسب أن نبدأ إصدار **الفهرس** الشامل **لمخطوطات المعهد الديني** بجزء أول ، يشتمل على مخطوطات المنطق والعلوم الرياضية والطبيعية ، مع مُلحق يتضمن القائمة الحصرية ، ليكون ذلك تأكيداً جديداً لما أشرنا إليه في مقدمة فهارسنا السابقة ، من أنَّ **العلوم** كانت تتطوَّر في حضن الدين وحصن المساجد .

وكان أولُ ما استلفت نظرنا في مخطوطات (المنطق) في هذه المجموعة ، هو وفرة عدد المخطوطات التي تناولت منطق **الموجَّهات** ، الذي يُعرف **بالمنطق الشرطي** ومنطق **الجهة الشرطية** و**المنطق الاحتمالي** ، ويقال له بالإنجليزية : Model Logic ، وهو مبحثٌ متطوِّرٌ من المنطق ، يلقى اليوم اهتماماً واسعاً في العالم ، ولم يكن معروفاً من قبل أنَّ العرب المسلمين أسهموا فيه هذا الإسهام الغزير . ففي مجموعة خطية واحدة ، هي مجموعة (مسجد) سوف نجد :

- نظم الموجَّهات ، للمنوفي .
- شرح نظم الموجَّهات ، للناظم نفسه .
- تعليقاتٌ على نظم الموجَّهات ، للناظم نفسه .
- المنح الوفيات في نسب الموجَّهات ، للملَّوي .
- رسالةٌ في ضبط الموجَّهات ، للمغربي .

ومما يقارب ما سبق ، وجودُ مخطوطة فريدة بالمجموعة ، عنوانها : « رسالة في القياس غير المتعارف » ، وهي تعالج الأشكال القياسية غير المشهورة في المنطق الأرسطي . ومؤلِّفُ الرسالة مجهول للمتخصصين في المنطق ، وهو يحمل لقب البهلوان ! وهناك شرح للرسالة لشارحٍ مجهول - هو الآخر - يلقب بالأرضرومي .

ولاشك في أن هذه المخطوطات الفريدة ، من شأنها أن تفتح أبواباً جديدة في مجال الدراسات المنطقية المعاصرة ، وتكشف عن نصوص لم تكن معروفة من قبل في هذا الميدان .

كما استلفت نظرنا في مخطوطات المنطق ، وجود نسخٍ مكررة من هذا الكتاب أو ذلك ؛ فعلى سبيل المثال ، هناك ثلاث عشرة مخطوطة من « **إيضاح المبهم من معاني السلم** » ، وهو شرح الشيخ أحمد الدمنهوري - شيخ الأزهر ، المتوفى سنة ١١٩١هـ - لأرجوزة الأخضري : « السلم المرونق (المنورق) في علم المنطق » ، والتي يوجد منها ثلاث نسخ خطية . . . هذا بالإضافة إلى أحد عشر شرحاً على الأرجوزة السابقة ، منها سبع نُسخ من شرح الملوي . (وكلها أعمال غير منشورة !) .

وهناك ثلاث عشرة مخطوطة من كتاب « **التذهيب في شرح التهذيب** » للخبيصي ، وعشر نسخ من « المطلع » وهو شرح الشيخ زكريا الأنصاري على مقدمة الأبهري الشهيرة في المنطق ، المعروفة بعنوان : « **إيساغوجي** » . وعلى هذه المقدمة نفسها هناك ثماني نسخ من شرح **الفناري** ، وثلاث نسخ من شرح الكاتي .

وهذا التكرار في نسخ مخطوطات المنطق ، يدلُّ على أنَّ هذا العلم (المنطق) كان من المقررات الدراسية الأساسية في هذا المعهد العلمي **جامع الشيخ** ، وهو يدلُّ - بدوره - على خطأ الرأي القائل بأن المنطق كان من العلوم المذمومة المنهيِّ عن

دراستها في الحضارة العربية الإسلامية . . وهو ما يحلو لبعض المعاصرين ترديده ، من دون تبصُّر بواقع الحالة العلمية عبر قرون الحضارة العربية الإسلامية .

لقد ضلَّلهم قول بعض الفقهاء المتعصبين : من **تمنطق فقد تزندق** . فظنوا أنها قاعدةٌ عامة ، ولم ينتبهوا – مثلاً – إلى قول الإمام الغزالي : **مَنْ لم يدرسِ المنطق لا يوثق بعلمه** .

ثانياً - رَسْمُ الخريطةِ المعْرفيَّة :

لا يمكن تأسيس خطاب ثقافي ينطلق من تراثنا العلمي ، دون تحديد دقيق لخريطة الإبداع العلمي في هذا التراث ، ومن هنا تأتي ضرورة رسم **الخريطة المعرفية**. ومقصودنا بالخريطة المعرفية ، هو التوزيع الجغرافي والتاريخي للإسهامات العلمية في تراثنا ، ومساحات الإبداع ومواطنه ، ومحطات العلماء عبر قرون الإسلام .

والجهود الحالية في مجال التراث العلمي ، قد لا تكفي لرسم هذه الخريطة ، نظراً لغلبة طابع التفصيل والتفضيل على تلك الجهود . فقد توجَّهت تلك الجهود نحو مواطن أو شخصيات أو مراحل زمنية معينة ، وتركزت حولها دون اكتراث بما عداها من مواطن وشخصيات ومراحل زمنية .

ويمكن تأكيد ما قررناه ، بملاحظة **المواطن** التي اجتذبت عناية الدراسين والمحققين ، إذ سنجد أن العراق والشام ومصر نالت الشقَّ الأغلب من الجهود المعاصرة ، في حين خفتَ الاهتمام بالتراث العلمي في المغرب والأندلس ، وفي مشارق العالم الإسلامي . والعلماء الذين عاشوا – أو تنقلوا – بين حواضر العراق والشام ومصر كانوا أفضل حظًا ممن عاشوا في الأطراف . . ولذا ترانا نعرف –جيداً– أمثال ابن الهيثم وابن النفيس وابن أبي أصيبعة وابن البيطار وداود الأنطاكي ومرتضى الزبيدي وحسن الجبرتي وحسن العطار ، ولا نكاد نعرف أهل المغرب

والأندلس من أمثال أبي مروان بن زهر (وأسرته) ، ويونس بن بكلارش ، وابن وافد ، والغافقي ، وابن الرومية ، ولا نكاد – أيضاً – نعرف شيئاً عن الحياة العلمية في أفريقيا والدولة الإسلامية المغولية في الهند ، والعلماء الخوارزميين من أمثال أحمد الفرغاني وتلامذة نصير الدين الطوسي ، الذين جمعهم في مرصد مراغة ، فكوّنوا مدرسةفي الفلك والرياضيات ظلت إسهاماتها العلمية حية زمناً طويلاً .

وكذلك الأمر في الشخصيات العلمية ، فترانا نعرف الرازي وابن سينا والنصير الطوسي من أهل المشرق ، و لانعرف العَالم الامبراطور أُلُغ بيك صاحب الزيج السلطاني . ونعرف من أهل الشام ومصر علاء الدين القرشي (ابن النفيس) ولا نعرف أستاذه مهذب الدين الدِّخوار ، الذي أَعدَّه أكبر مدرسة طبية في تاريخ الإسلام ، نظراً لكثرة مَنْ تخرجوا على يديه من الأطباء النابهين ، أمثال : بدر الدين بن قاضي بعلبك ، ، شمس الدين الكلي ، ابن أبي أصيبعة ، عماد الدين الدنيسري ، عز الدين السويدي . وغيرهم ، وكلهم بالنسبة لنا اليوم مجهولون ! .

أما المراحل الزمنية ، فالأمر فيها أكثر اختلالاً . فقد أُلقي في روعنا أن الإبداع العلمي – بل الحضاري كله – في تراثنا كان إبان القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومن ثم راح الباحثون ينقِّبون في هذه المرحلة وأهملوا مراحل سابقة ولاحقة ، مع أن المراحل السابقة كان لها دور التأسيس المعرفي ، والمراحل اللاحقة كانت امتداداً لهذين القرنين .

ثم تتراكب عملية الاختلال في الوعي بالمواطن والشخصيات والمراحل معاً ، عند دراسة موضوعات معينة ، مثل **حركة الترجمة والنقل** التي حظيت بعديد من جهود الدارسين المعاصرين ، غير أن دراساتهم تركَّزت في عملية نقل التراث اليوناني في بغداد – بل في بيت الحكمة خصوصاً – وفي شخصية حنين بن إسحاق

بالذات ، وفي زمن العباسيين تحديداً . . وقد رأيتُ في النصوص التراثية ما يثبت أن الأوائل ترجموا من الهند وفارس ، (وهو ما نراه في مخطوطة بني موسى بن شاكر : الدرجات المعروفة) ، وأن الأندلس ترجمت في بداية عصر بني أمية عن اللاتينية ، (وهو ما نراه في المقالة الرابعة من كتاب « التصريف » للزهراوي) . . وغير ذلك من الشواهد الدالة على أن حركة الترجمة ،تلك الحركة التأسيسية ، لم تقتصر على نقل كتب اليونان ، ولم تقتصر على موطن بعينه ، ولم تقتصر على مترجم مشهور في زمن معين . من هنا نقول : إن استكمال المساحات الناقصة في الخريطة الجغرافية التاريخية للتراث العلمي العربي ، بسدِّ هذه الفراغات ، يمكن أن يعطينا صورة كاملة عن هذا التراث وكيفية تطوره ، ،ومن ثم يؤسس وعياً حقيقيًا بعملية الإبداع العلمي في المجالات المختلفة ، وهو الوعي المطلوب لتأسيس خطاب معرفي نتثاقف به مع العالم ، ونؤكد به (الذات) في تطورها وتواصلها مع الماضي ، وفي تراثها واتصالها بالحاضر .

ثالثاً- تنويع الإصدارات :

درجت البحوث والتحقيقات التراثية - في التراث العلمي وغيره - على الصدور في شكل واحد لا ثاني له ، هو **الطبعة الورقية** ، سواءً جاء ذلك على شكل كتاب أو مقالة في إحدى الدوريات أو الصحف .

وكان ذلك مناسباً في العقود الماضية ، لكنه لم يعد كافياً اليوم . . . فإذا أردنا أن نستشرف آفاق العمل في مجال التراث - بعامة - وأن ننظر بعين المستقبل ، بل بعيون الحاضر ؛ فعلينا أن نطور الإصدارات التراثية ، حتى لاتقتصر على الطبعة الورقية .

وما أدعو إليه هنا ليس من قبيل التمنيات المجانية القابلة للتأجيل ، وإنما هو أمر لابد من تنفيذه فوراً ، بل تم تنفيذه حقًا في واحدة من أشهر الأعمال العلمية

في العالم ، أعني دائرة المعارف البريطانية التي قررت هيئتها أن تقتصر ابتداءً من هذا العام (١٩٩٩) على إصدارها على شكل أسطوانة C.D. ، والاستغناء تماماً عن الطبعة الورقية ، فقد وجدوا أن القراء في العالم يقبلون على الإصدار الإلكتروني ، نظراً لانخفاض سعره (٦٥ جنيهاً للأسطوانة ، مقابل ٩٥٠ جنيهاً للمجلدات الورقية) ، ناهيك عن سهولة البحث في الإصدار الإلكتروني ، وجودة الأشكال والرسوم والخرائط .

وليست دعوتي هذه هنا لمجرد الاقتداء بما فعلته هيئة دائرة المعارف البريطانية ، فقد دعوتُ للإصدارات الإلكترونية قبل عامين - في ندوة من ندوات المعهد - بيد أن **الاستجابة** في ثقافتنا دوماً بطيئة .

ولا تقتصر أشكال الإصدار التي ندعو إليها ، على الأسطوانة C.D. وحدها ، وإنما تتنوع أشكال الإصدار من ديسكات إلى كروت ممغنطة ، إلى مواقع على الإنترنت .

والشكل الأخير للإصدار الإلكتروني (الإنترنت) يتيح للتراث العلمي - وكافة أشكال التراث - أموراً لا يمكن للطبعة الورقية أن تحققها ، فمواقع الإنترنت : رخيصة التكلفة ، سهلة الاستخدام ، واسعة الانتشار ، متوافقة مع الإيقاع العالمي ، قابلة للتزود بالصور على نحوٍ بديع ، أدوم بقاءً من الورق ، ويمكن طباعتها على الأوراق والأسطوانات والديسكات ، سريعة البحث في محتواها . . . وهي معروضة للعالم كله ، ومن ثم فإنها تحقق عدة أغراض : النشر ، الإحياء ، والتثاقف .

* * *

وبعد . . . فما تلك إلا نظرات مستقبلية ، استشرافية ، تسعى لتطوير مجالات التراث العربي الإسلامي ، وهي أكثر مناسبة للتراث العلمي الذي يمثل تراثًا إنسانيًا عامًا .

ومما يبشر بالخير ، ويبدِّد شبح بطء الاستجابة المخيم دومًا على بلادنا ، أن هذه الرؤى الاستشرافية قد بدأت مؤخراً تأخذ طريقها إلى النور ، ولكن في خطوات منفردة يقوم بها بعض المستنيرين في الوطن العربي ، وهذه الخطوات بحاجة إلى التنسيق والمتابعة . وقد كان دوماً من أهداف معهد المخطوطات العربية : التنسيق والمتابعة للجهود التراثية في الوطن العربي ، فليعملِ المعهد على تحقيق هدفه بلا تباطؤ .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ د. عبد الكريم عوفي :

كنا نتوقع أن يصنف د. أيمن الأعمال العلمية التي تم نشرها في مجموعات ، ويحدد أهم المراكز العلمية ، لكن يبدو أنه اعتمد على ما ذكره د. فؤاد سيزكين ، ونحن نجلّ هذا العالم ، ولكن هناك أعمال كثيرة تناولت الأعمال العلمية التي نشرت ، ومنها المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ، وهناك عناوين كثيرة نجدها حينما نعود إلى هذا المعجم .

ولي ملاحظة بشأن قضية الترجمة ، فقد أشار الأساتذة بالأمس إلى قضية ترجمة حنين بن إسحاق ، والسؤال : أين ندخل الترجمات التي قام بها العلماء العرب المسلمون منذ قيام النهضة ؟ هل يمكن أن ندخلها ضمن تراثنا أم نخرجها من دائرته ؟

مسألة أخرى وهي قضية اللغة ، هذه اللغة هي وعاء التراث ، وخاصة التراث العلمي الذي يحتاج إلى لغة مبسطة حتى يكون المصطلح واضحاً ومفهوماً ، إن لغة الكثير من الكتب العلمية تبدو لنا غامضة ، فحبذا لو نُعنى بهذا الجانب .

د. يوسف زيدان ذكر أن كثيرًا من العلماء لا يرجعون إلى التراث المخطوط إلا بنسبة قليلة ، وهذا الحكم فيه نظر .

كما أقترح أن نعود ، في ضوء ما طرحه د. زيدان ، إلى المظان ؛ إلى الأماكن التي تحتوي على المخطوطات العلمية ، ونقوم بعملية مسح كامل لها ، ونعد فهارس وقوائم للمجالات المعرفية ، حتى يتمكن الباحثون من معرفة هذه الكنوز ، ويفيدون منها . ففي المكتبة الوطنية الجزائرية على سبيل المثال أكثر من ٢٠ شرحاً للسلّم المرونق ، وفي مكتبات أخرى الكثير من النسخ من هذا الكتاب .

وبعد . . . فما تلك إلا نظرات مستقبلية ، استشرافية ، تسعى لتطوير مجالات التراث العربي الإسلامي ، وهي أكثر مناسبة للتراث العلمي الذي يمثل تراثًا إنسانيًا عامًا .

ومما يبشر بالخير ، ويبدِّد شبح بطء الاستجابة المخيم دومًا على بلادنا ، أن هذه الرؤى الاستشرافية قد بدأت مؤخراً تأخذ طريقها إلى النور ، ولكن في خطوات منفردة يقوم بها بعض المستنيرين في الوطن العربي ، وهذه الخطوات بحاجة إلى التنسيق والمتابعة . وقد كان دوماً من أهداف معهد المخطوطات العربية : التنسيق والمتابعة للجهود التراثية في الوطن العربي ، فليعملِ المعهد على تحقيق هدفه بلا تباطؤ .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ د. عبد الكريم عوفي :

كنا نتوقع أن يصنف د. أيمن الأعمال العلمية التي تم نشرها في مجموعات ، ويحدد أهم المراكز العلمية ، لكن يبدو أنه اعتمد على ما ذكره د. فؤاد سيزكين ، ونحن نجلّ هذا العالم ، ولكن هناك أعمال كثيرة تناولت الأعمال العلمية التي نشرت ، ومنها المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ، وهناك عناوين كثيرة نجدها حينما نعود إلى هذا المعجم .

ولي ملاحظة بشأن قضية الترجمة ، فقد أشار الأساتذة بالأمس إلى قضية ترجمة حنين بن إسحاق ، والسؤال : أين ندخل الترجمات التي قام بها العلماء العرب المسلمون منذ قيام النهضة ؟ هل يمكن أن ندخلها ضمن تراثنا أم نخرجها من دائرته ؟

مسألة أخرى وهي قضية اللغة ، هذه اللغة هي وعاء التراث ، وخاصة التراث العلمي الذي يحتاج إلى لغة مبسطة حتى يكون المصطلح واضحاً ومفهوماً ، إن لغة الكثير من الكتب العلمية تبدو لنا غامضة ، فحبذا لو نُعنى بهذا الجانب .

د. يوسف زيدان ذكر أن كثيراً من العلماء لا يرجعون إلى التراث المخطوط إلا بنسبة قليلة ، وهذا الحكم فيه نظر .

كما أقترح أن نعود ، في ضوء ما طرحه د. زيدان ، إلى المظان ؛ إلى الأماكن التي تحتوي على المخطوطات العلمية ، ونقوم بعملية مسح كامل لها ، ونعد فهارس وقوائم للمجالات المعرفية ، حتى يتمكن الباحثون من معرفة هذه الكنوز ، ويفيدون منها . ففي المكتبة الوطنية الجزائرية على سبيل المثال أكثر من ٢٠ شرحاً للسلّم المرونق ، وفي مكتبات أخرى الكثير من النسخ من هذا الكتاب .

■ **د. محمد سليم العوا :**

جرت العادة في المؤسسات الكبرى الإنتاجية أن يجري أصحابها استطلاعًا كل مدة من الزمن بين المستهلكين والمنتفعين في ما ينتجه أصحاب هذه المؤسسة من سلع وخدمات ، ورأيت دعوتي إلى هذه الندوة من هذا القبيل ، لأن المعهد الموقر يحب أن يستمع إلى رأي المستفيدين والمستهلكين من خدماته وخدمات العلماء الآخرين في خدمة التراث ، فأنا طالب علم في هذا الباب مستفيد ومستهلك ، لست منشئاً ولا منتجاً ، ودوري كله هو أن أحاول أن أتعلم من إخواني وأساتذتي الأجلاء .

لذلك ، اسمحوا لي أن تكون ملاحظاتي ملاحظات القارئ ، وليست ملاحظات الكاتب والصانع ، ولن يكون لدي حماس د. أيمن للحصر والتبويب والإخراج والجرد ، ولا حماس د. يوسف زيدان في دلالته للمستمعين على مواطن وأماكن ومعالم الخريطة المعرفية ، فليس عندي من هذا أي شيء ، إلا ما أسمعه منكم .

وقد استوقفتني عدة ملاحظات في الورقتين ، وفي تعقيب د. عبد الكريم عوفي .

ملاحظتي الأولى : ما ذكره د. أيمن في ورقته من أن الإسلام نفسه كان الدافع للمسلمين للقيام بنقل العلوم ممن سبقهم من الناس دون أن يقتصروا في هذا النقل على العلوم العملية والتطبيقية ، وإنما توسعوا حتى نقلوا مقولات الأسبقين حتى في كثير من العلوم الإنسانية ، وأجرى د. أيمن مقارنة شديدة الحياء في نصف سطر بين هذا الموقف وموقف اللاتين الذين نقلوا علومنا مرة ثانية إلى لغاتهم ولم يذكروا ما يشير إلينا ، في حين التزمنا نحن منهجنا الذي تعلمناه من مدرسة المحدِّثين ؛ منهج السنَد ونسبة الأقوال إلى أصحابها ، فذكرنا لكل صاحب قول قوله ، ونسبنا

إلى كل ذي فضل فضله ، فقابلونا بهذا جحودًا ونكراناً ، وما ذلك بمستغرب منهم فإن الشيء من معدنه لا يستغرب .

وكانت هذه ملاحظة حقيقية جديرة بالتوقف عندها . وبتوسيع نطاقها قليلاً جداً . فعندما يقارن د. أيمن موقف المسلمين الأوائل الذين نقلوا هذه العلوم ، وانفتاحهم على غيرهم مهما اختلف الدين والمذهب الفلسفي والعقيدة – بموقف الآخرين عندما نقلوا منا ما ترجموه دون أن يشيروا إلى جهودنا وعقيدتنا وتراثنا الفكري والفلسفي ، أريد هنا أن أقارن بسطر ثان – أضيفه إلى سطر د. أيمن – بين موقف الأوائل من المسلمين ؛ أصحاب هذه المدرسة الأصيلة في نقل العلم أيًا كان ومن حيث ما كان موطنه ، إلى ديارنا وإلى عقول أبنائنا وإمكانات قراءتنا وتعلمنا ، – وبين موقف الجامدين الذين يملأون الساحات الإسلامية اليوم صياحاً وصراخاً وعويلاً لمجرد الإشارة إلى سبق سبقنا به الآخرون نريد أن نقلدهم فيه ، أو إلى علم نريد أن ننتفع به ، أو إلى منهج من مناهج البحث والتعلم والمعرفة نريد أن ننقله إلى أبنائنا . والتُّهم تبدأ من الانحياز إلى الغرب والتبعية للغير ، وتنتهي بالتكفير .

لقد أتيت إلى هذه القاعة متأخرًا قليلاً لأنني كنت أترافع في إحدى القضايا التي تمثل هذه العقلية الجامدة أصدق تمثيل ، كتب أستاذ في اللغة العربية (د. عبد الصبور شاهين) كتاباً سمّاه « أبي آدم » ، فقامت قيامة بعض الجامدين ولم تقعد ، وجرُّوه إلى ساحاتِ المحاكم في قضيتين ، كانت إحداها اليوم بتهمة أنه خرج من الملة ، وأنكر معلومات من الدين بالضرورة ، وأنه خالف نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الدالة على طريقة معينة في الخلق .

وغاية ما يقال في كتاب د. عبد الصبور شاهين هو ما قلته عنه في إحدى المجلات من أنه كما قال الشاعر :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

عندنا في تراثنا رجل اسمه هَبَنَّقة يسمّن السمين ، ويترك الهزيل من الغنم ليهزل ، فلما سألته زوجته ألا ترعى الغنم الضعيف في المكان الخصب ؟ فقال لها : أتريدين أن أسمن ما هزّل الله ، وأهزّل ما أسمن الله !

وتاريخنا مليء بهذه الأمور ، وهي نكات نسمعها ونتداولها .

ومن هنا أقول : إن هناك جمودًا يسيطر على مجالات كثيرة من مجالات حياتنا ، وينصبُّ في عقول كثيرين من شبابنا . وللأسف فإن من أكاديميينا الجامعيين من يدفع الأجيال الجديدة لا إلى التقرب من العلم النافع ومحاولة إعادة إنتاجه واستعماله استعمالاً حسناً ، وإنما يدفعهم إلى البعد عنه .

لذلك أتمنى أن يُؤسس في دراسات العلوم والطب والصيدلة والزراعة في كلياتنا الجامعية منهج مختص بتاريخ هذه العلوم عندنا ، لا نكتفي بأن يحقق النص وينشر كما كنا نفعل طوال السنين الماضية ، وإنما نقوم بعملية تقريب هذا النص إلى العلم الواقعي اليوم ، لا لبيان ما استفاده منا الغرب بالترجمة والنقل وحسب ، فهذا يكون على طريقة العظامي الذي يقول : كان أبي ، أو على طريقة الشاعر :

أولـئك آبائي فجئني بمثلهم　　إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وإنما أنا أريد أن يربط العالم والطالب والباحث بين هذا العلم القديم الذي ترجمناه أو أنتجناه وبين العلم اليوم : ما علاقته به ، وما صلته به ، وإلى أين وصلنا ، وأين كنا ، وكيف أصبحنا ، وكيف نمضي في المستقبل .

أعرف أن بعض الجهود تُبذل في هذا المجال ، منها جهد د . محمد هيثم الخياط في المعجم الطبي العربي الموحد الذي يشتغل فيه منذ سنين طويلة ، ولكنه جهد فرد في النهاية ، ونحن نتمنى أن تكون هذه الجهود جهودًا مؤسسية لكي تُؤتي ثمارها .

الترجمات التي أشار إليها د . عبد الكريم عوفي هي من تراثنا قطعاً ، وينبغي أن تنشر كما ينشر باقي التراث وتدرس كما يُدرس باقي التراث ، لسبب بسيط هو

أن المترجمين الأقدمين لم يكونوا مترجمين فوريين يترجمون ما يسمعون دون تفكير ولا بصر ولا نظر ، إنما هذه الترجمات دخل فيها علم عربي وجهد عربي وإضافات عربية وانتقادات عربية ، وإهمالها جناية على تراثنا لا تليق بأصحابه وأهله .

التثاقف الذي يدعو إليه د . يوسف زيدان أنا معه فيه ، لأنه دعوة حضارية ضرورية ، وبغيره نبقى على هامش العالم ، يُحكم علينا ولا نحكم نحن على أحد ، ويُقرر فينا ولا نستطيع أن نقرر لأنفسنا ، فاستكشاف المجهول ضرورة والعاملون في ميدان التراث كلهم يحاولونه ، والخريطة المعرفية ضرورة كذلك ، لكن تنويع الإصدارات لا يجوز أن يطغى بحال من الأحوال على الإصدار الأصلي المتمثل بالورق والكتابة ، فالورق والكتابة ضرورة لا غنى عنها ، ضرورة لثلاثة أمور : أولها أن هناك أجيالاً كثيرة من أساتذتنا ومشايخنا ومنا ومن طلابنا يألفون هذا الكتاب ويحبون رائحته جديدًا ومتوسط العمر وقديماً ، ولاشك أنك تصنع ذلك في مكتبتك ، فإذا جاءك كتاب من طباعة الأمس تشم رائحة الحبر ، وإذا نظرت إلى كتاب عمره ٢٠ عاماً تقول : هذا كتاب جديد، أنا عندي كتاب عمره ٤٠ أو ٥٠ سنة، ولكل كتاب طعم . فالكتب تعطيك من مكنون معارفها بقدر ما تحب أوراقها وشكل حروفها وتعلق عليها وتتعامل معها . ثم إنه بين القارئ والكتاب علاقة روحية ، كالتي بين ربة البيت والنبات الذي تضعه في شرفتها ، أو بين الزارع في حديقته والوردة التي يتعاهدها حتى تثمر وتزهر . فإياك أن يكون في بال أحد أن نوقف الكتاب أو نمنع صدوره ، ونكتفي بالقرص المدمج أو ما يسمى CD Room أو الديسك الذي يطلب د . يوسف توزيعه مع الكتاب ، بل دع « الديسك » لمن لديه حاسب آلي ، ودع الكتب تبقى عند الناس تملأ فراغات بيوتهم وعقولهم وقلوبهم ، لأنه ضروري جدًّا أن يبقى الكتاب . وهذا ضروري بين الجيلين ، لا يجوز للجيل الذي تعود على الكتب أن ينسلخ منها ويذهب للحاسب الآلي والإنترنت ، نعم

نتعلم من هذه الأدوات ونستفيد منها ، هذا أمر مطلوب ، ولكن حياتنا تبقى مع الكتاب ، وبقاؤنا ما بقي الكتاب .

المسألة الثالثة الضرورية يا د. يوسف ، وأنت مشتغل بتراث العلوم ، أن هناك آثارًا غير صحية على العين والمخ معاً لاستعمال الحاسب الآلي مددًا طويلة لاتزال محل بحث في المعامل الطبية والمؤتمرات ومراكز البحث ، ولا يمكن أن نعرض أبناءنا وبناتنا صغار السن الناشئين الذين ماتزال أجسامهم في طور التكوين للجلوس ساعات طويلة طوال النهار أو طوال الليل ثم يصابون بما لا ندري من الأمراض ، لأن من الأمراض ما لايزال غير معروف ، مثل أمراض جهاز الهاتف المحمول ، فأنا أضع عليه دائرة تخفف الإشعاع ، كما أضع سماعة أبعده عني ، هذه مخترعات عظيمة النفع في أول أمرها ، لكنها قد تكون شديدة الخطر والضرر عندما يُعرف كنهها . لذلك أدعوكم يا سادتي الأجلاء وكلكم علماء ، وأدعو د. أحمد يوسف و د. فيصل الحفيان إلى ألا يسمعوا للدكتور يوسف زيدان ويكفوا عن إصدار الكتب وينتقلوا إلى CD والأقراص المدمجة .

■ د. ماهر عبد القادر :

أفضل أن أبدأ بتأييد الدعوة إلى تدريس تاريخ العلوم في الكليات العلمية ، لأهمية هذا التوجه . وفي هذا السياق ، أود الإشارة إلى أنه أتيح لي عام ١٩٨٢ أن أذهب إلى جامعة لندن للعمل أستاذًا زائرًا لتاريخ وفلسفة العلوم ، وفوجئت بأن قسم تاريخ وفلسفة العلوم موجود داخل كلية العلوم ، وليس داخل كلية الآداب ، وأن الطلبة يجب أن يتعلموا ويعرفوا جزءاً من تاريخ العلم أو تاريخ العلم الذي يدرسونه . ولذلك ، لا غرابة أن المستشرقين عندما يقبلون على هذه الألوان من الدراسة والتراث تكون لديهم خلفية تاريخية إلى جانب الخلفية العلمية .

الخريطة التي رسمها د. أيمن تضعنا أمام مرحلتين، الأولى : المرحلة اليونانية ، والثانية : المرحلة العربية التي تداخلت مع اللاتينية مباشرة ، ليشير إلى المخطوطات العلمية التي ترجمت .

وتستدعي منا هذه المسألة أن نتوقف عند بعض الأمور ، فالعلوم اليونانية لم تُنقل إلى العرب مباشرة ، فقد كانت البيئة الثانية بعد اليونان هي الإسكندرية التي ازدهرت فيها العلوم ، وظهرت مجامع وكتب الإسكندرانيين . . . إلخ ، ثم انتقل - بسبب الاضطهاد الديني في الإسكندرية وحرق المكتبات ومنها حريق مكتبة الإسكندرية - مركز هذه العلوم باتفاق جميع الأطراف إلى المناطق القريبة من الإسكندرية نوعاً ، كالعراق وإيران وبلاد الشام والرُّها ونَصيبين . . . ، ثم بعد ذلك كان هناك انتقال للشام - وكان ذلك على عهد عمر بن عبد العزيز - خاصة إلى أنطاكية ، ثم بعدها إلى بغداد ، ومنها إلى الأندلس وجنوبي إيطاليا . وفي الأندلس كان لليهود الإسبان دور مشهود في ترجمة ونقل العلوم العربية للغرب ، ثم كان دور اللاتين في جنوبي أوربا .

الجهد العربي مر بعدة مراحل ، بدأ بالترجمة ، وانتهى إلى الإبداع والعطاء . لقد تحدث د. أيمن عن مرحلة الأخذ والتمثل ثم مرحلة الإبداع والعطاء ، وأشار إلى مرحلة إصلاح الترجمات ، وهذه أخذت نحو نصف قرن ، ثم جاءت مرحلة أخرى أخذت أيضاً نحو نصف قرن ، وهي مرحلة الشروحات ، ثم أعقبتها مرحلة الإبداع .

هناك نقطة تتعلق بفؤاد سزكين ، فهو عالم جليل ، ولكنه يتفق مع المستشرقين في بقية أهداف الاستشراق ، لأنه تربى في الغرب ، ومنظومة الغرب واضحة في ذهنه ، والدليل على ذلك ، أنه تحدث عن قسطنطين الإفريقي على أنه عربي ، في حين إن قسطنطين كان طفلاً صغيرًا عندما انتزع من بيئته وتنصر ، واستُخدم سلاحاً ضد العرب في ترجماته ، حتى إن ماكس مايرهوف وصفه بأنه لص وقح .

د. يوسف زيدان أدخلنا في مسألة كبيرة جداً، بحديثه عن المنطق، وأود الإشارة هنا إلى أمرين: هناك رسالتان جامعيتان قُدِّر لي الإشراف عليهما، الأولى كانت عام ١٩٨٣ لباحث اسمه أحمد أنور، وعنوانها «فكرة التضمن» التي بدأت من المنطق الرواقي عند المسلمين، وقد استكمل الباحث دراسته فيها في ما بعد في إنجلترا. الرسالة الثانية كانت عام ١٩٨٧ للباحث عادل عوض عن «أثير الدين الأبهري ومنطق الشرطيات»، وقد بينتْ إبداع هذا العالم في هذا المجال وتأثيره في أوربا.

في ما يتعلق بتنوع الإصدارات والخريطة المعرفية أنا متفق مع د. يوسف، لكن مسألة أن الإنجليز قرروا إيقاف نشر دائرة المعارف المطبوعة، وبدأوا يخرجونها في أقراص مدمجة CD، هم أحرار، أما نحن فلن نفعل ذلك، لماذا؟ لأن الحواسب الآلية قد تتعرض لفيروس يخرب محتوياتها وقواعد بياناتها، فماذا نحن فاعلون حينئذ؟

لذا أتفق مع د. محمد سليم العوا، في أن الكتاب له رائحة وطعم ومذاق ولابد من الحفاظ عليه، ولكن لا مانع من الإفادة من التكنولوجيا.

■ د. عباس سليمان:

بشأن نصير الدين الطوسي وآثاره أود أن أشير إلى أن أحمد سعيد الدمرداش قد نشر كتاب «تحرير المناظر»، كما أني نشرت «التذكرة في علم الهيئة» عام ١٩٩٣م، وصدر عن دار سعاد الصباح بالقاهرة، و«زبدة الإدراك في هيئة الأفلاك» بالإسكندرية عام ١٩٩٤، و«ظهيرات الفلك» عام ١٩٩٦ ببيروت، وانتهيت من «مختصر في التقويم» لنصير الدين الطوسي منذ عام، وطرأ ما عطلني عن كتابة مقدمة له.

في ما يتعلق بموضوع «الديسكات»، فأنا أتفق مع د. محمد سليم العوا، في أننا لا نستطيع أن نستغني إطلاقاً عن الكتاب وعن الاحتكاك المباشر به، فإذا ما كنت أحقق فلابد أن أتفاعل مع الكتاب، وأحاول الحصول على هذه المخطوطات، وأفك خطوطها، وأقارن بينها.

■ إياد أحمد الغوج:

أظن أن أهم ما يجب أن يتوافر في البحوث العلمية هو الدقة العلمية، وأن تُبنى المعلومات على نظر واسع وعميق، و د. يوسف قال عبارة مطلقة: «المنطق مجهول»، كما قال: «يختفي هذا الجانب تماماً»، وأظن أن المتأمل لما نشر من كتب المنطق يجد خلاف ذلك، وفي عجالة قمتِ بتقييد بعض الكتب المنشورة في المنطق، فأذكر منها كتب الرازي وما أودعه في «المطالب العالية والمباحث المشرقية»، ومنها كتاب لأفضل الدين الخونَجي وعلى الرغم من أن شهرته أقل من غيره فقد نشر له مختصر مشهور، وكذلك «التقريب لحد المنطق» لابن حزم، منشور ومعروف، وكتب الغزالي: «محك النظر»، و«معيار العلم» وغيرهما، ومنطق ابن مَلْكة في «المعتَبر»، الذي طبع في الهند منذ فترة طويلة في ثلاثة مجلدات، و«السلَّم» وشروحه الكثيرة، وكتاب «التهذيب» لسعد الدين التفتازاني، وشروح التهذيب للخبيصي وغيره، والتذهيب على التفتازاني، وكتاب «المطلع» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وثمة كتب أخرى كثيرة.

ونسب د. يوسف «إيضاح المبهم» الذي توجد نُسخ كثيرة منه في مكتبة واحدة، إلى أحمد بن صيام الدمنهوري، والحق أنه أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري، المعروف بالمذاهبي، و«إيضاح المبهم» من شروح «السلّم» التي يدرسها المبتدئون، وقد طبع عدة طبعات في مصر والشام، وهو من الكتب المشهورة والمعروفة، وليس مجهولاً، فكيف يقول د. يوسف: إنه يريد أن يقوم بتخليق للخطاب من هذا الكتاب.

ومن القضايا المطلقة التي ذكرها د. يوسف دون تثبت ما قاله من أننا نجد لابن سينا معاصرين كثيرين مجهولين ، والفترة التي عاشها ابن سينا عرفت بنشاط العلوم العقلية والنشاط الفلسفي خاصة في بلاد ما وراء النهر ، فهل تتبع د. يوسف تلك الفترة حتى يحكم بأن أعلام تلك الفترة كانوا مجهولين . كما تساءل د. يوسف : من أين استقى ابن سينا معارفه ؟ وأجاب : لا نعلم . أعتقد أن الأمر ليس بهذه الصورة ، ولا أستطيع الآن في هذه العجالة أن أحسم هذه المسائل ، لكن الأمر ليس على هذه الصورة المطلقة .

وقال د. يوسف : إن هذه الأمة لا خطاب لها . وقد آلمتني هذه الكلمة ، وأظن أن هذا طمس وهضم لهذه الأمة وحقها ، وأخيرًا قال : نريد أن نثاقف العالم بثقافتنا . والفعل « ثاقف » من : ثَقَفَهُ ، إذا حَبَسَهُ وأمسكه ، وزيادة الألف من باب المفاعلة ، فحبذا لو تكرم علينا الدكتور وجاءنا بتأصيل صرفي لكلمة المثاقفة .

■ د. فيصل الحفيان :

أود أن أذكر نقطتين مهمتين : الأولى أن هناك تراثاً غاب عن كل مداولات هذه الجلسة ، وهو ذلك التراث الذي فُقدت أصوله بالعربية ، وأصبحت أصوله في لغات أخرى ، من ذلك مثلاً كتاب « الضروري في السياسة » لابن رشد ، الذي فُقد أصله العربي ، وقام د. أحمد شحلان من المغرب بترجمة النص العبري ، وأعاده إلى العربية . هذا التراث أعتقد أنه كالتراث العلمي بحاجة إلى هيئة أو جهاز أو مركز يهتم به ، لما له من خصوصية لا نستطيع في المراكز الحالية التعامل معها ، إذ أنه محتاج إلى متخصصين باللغات الأخرى .

النقطة الثانية تتعلق بما ذكره د. يوسف زيدان عن وسائل النشر الحديثة ، فأقول : إن الكتاب ستظل له قدسية واحترام ، وأظنه معنا في ذلك . نحن لسنا ضد الأقراص المدمجة والديسكات ، بدليل أننا في المعهد متجهون اتجاهاً حقيقيًا نحو

هذه الأوعية ، فقد تبنينا في هذا العام مشروعاً لإنشاء شبكة عربية لمعلومات التراث ، أو بالأحرى لوضع نواة بهذه الشبكة ، وجعلنا سعينا في إطارين : أحدهما في مجال التراث العربي والإسلامي المخطوط ، والآخر في مجال التراث المطبوع ، وسنضع في شبكة التراث المخطوط مخطوطات المعهد في خطوة أولى تتلوها خطوات حتى نصل إلى غايتنا الكبرى ، وهي بناء قاعدة لكل التراث العربي المخطوط داخل الوطن العربي وخارجه . أما شبكة التراث المطبوع فسنبدأ بنشرتنا (أخبار التراث العربي) التي صدر منها حتى الآن ٨٠ عددًا ، بالإضافة إلى معجمنا الكبير « المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع » ومستدركاته .

■ د. أيمن فؤاد سيد :

أؤكد ما سلف أن قلته ، وهو أن الكتب المتأخرة ليست إلا شروحًا ، وهي تعليمية ، ومنها نسخ كثيرة ، في حين إن الكتب الأصلية والأصول التي اعتمدت عليها هذه الشروح المتأخرة هي التي نُعنى بها ونبحث عنها والتي نرى أن النسخ التي وصلت إلينا منها قليلة .

قيل : إن ٥ - ٧٪ فقط من التراث العربي مطبوع ، وأن الباحثين لا يرجعون إلى المخطوطات ، وأنا أقول : إنني عندما أكتب بحثًا فالكتاب الذي أعتمد عليه كمصدر ، وهو أصلاً مخطوط ، أصبح الآن مطبوعًا . والحقائق الأساسية للتراث العربي العلمي والفقهي والتاريخي . . . . أصبحت معروفة للكل ، إذن ما تضيفه المخطوطات في الغالب هو توضيح أو تفسير لبعض المبهمات أو بعض الأشياء التي غُمّت علينا .

تساءل د. يوسف زيدان : من أين أخذ ابن سينا علمه الذي أودعه كتبه ؟ هناك نص مهم موجود عند حاجي خليفة نقله عن مؤرخ قديم لا أذكره الآن ، مفاده أن ابن سينا ذهب إلى مكتبة نصر بن روح السماني ، وأقام فيها فترة طويلة جدًا ، وأنه

اطلع على كتب لم تكن معروفة له من قبل ، وأنه أحرق هذه المكتبة حتى لا يعرف الناس من أين استمد مادة كتبه .

أما عن المصادر المعاصرة ، وأن بعض العلماء قد أخذوا حظهم من الدرس ، وبعضهم لم يأخذ حظه ، فالمشكلة هي مشكلة المصادر التي تعرّف ، فليس لدي مصادر تترجم لعلماء بعض المناطق ، ومنها منطقة الديلم ، وإذا لم توجد مصادر فكيف أكتب ؟ ، وإذا لم تكن لدي نصوص تاريخية أقيم عليها حججي فإني لا أستطيع فعل شيء إذن .

وأقول للدكتور ماهر : في فترة الإسكندرانيين وجوامع الإسكندرية كانت الكتابات باليونانية ، وإذا كانت المرحلة الإغريقية هي المرحلة التي عاشها اليونان في اليونان ، فإن هذه المرحلة هي مرحلة يونانية أخرى ، نطلق عليه المرحلة الهيلينستية ، وهي تشمل ما أنتجه اليونان في غير بلادهم ، مثل الشام والإسكندرية ومصر ، ومناطق أخرى .

وأقول للدكتور فيصل : قد أشرت في بحثي عمومًا إلى ما يطلق عليه ابن رشد اللاتيني وما يطلق عليه ابن سينا اللاتيني ، وهي المؤلفات التي كتبها ابن رشد وابن سينا وفقدت أصولها العربية ، ولم تصل إلينا إلا من خلال الترجمات اليونانية ، وهناك معاهد ومجامع متخصصة في أوربا مهتمة بذلك ، مثلاً مدام القارنيه مهتمة جدًّا بنشر ابن سينا اللاتيني ، وهناك شخص آخر غاب عني اسمه الآن اهتم بنشر ابن رشد اللاتيني .

ومما يذكر في هذا المقام أن كتاب ليون الإفريقي (الحسن الوزان) « وصف إفريقيا » ، من الكتب التي فقد أصلها العربي ، وما بين أيدينا منقول عن الترجمة الإيطالية . وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية مرتين خلال عشرين عامًا .

■ **د . يوسف زيدان :**

منذ أربع سنوات وفي هذه القاعة قدمت بحثًا قلت فيه إن المعهد الذي قام بنقلة كبيرة في منتصف هذا القرن بأن وضع المخطوطات على الميكروفيلم - لابد له أن يقتحم عالم الحاسب الآلي ويضع الفهارس عليه . وهاجت عندها هائجة الأساتذة حتى وصل الأمر بأحدهم - وهو عالم جليل - قال ما هذه التُّرهات ؟ ورفض هذا الكلام بأشد مما يرفض هذا اليوم .

واليوم يبني المعهد قاعدة بيانات لمخطوطاته على الحاسب الآلي . أنا لست قلقًا ، فعالم الحاسب الآلي قادم لا محالة ، وأنا أشد الناس وقوعًا تحت سحر الكتاب ، ولكن ما حدث قد حدث ، ثم إني لا أقول بإلغاء الطبعات الورقية ، بل قلت : تنويع الطبعات لكي لا يفوتنا القطار .

وما زلت عند رأيي من أنه عند القيام بفهرسة أية مكتبة نجد نحو ٢٠٪ من موجوداتها من الأشياء الأساسية لا علم لنا بها ، فليس لأحد أن يقول : إننا نعرف ما أقول عنه إنه جديد .

مؤلف « إيضاح المبهم » هو أحمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهوري المذاهبي هكذا ورد اسمه ، وقد كان يصف نفسه في المخطوطات التي كتبها بخط يده : الشافعي الحنبلي المالكي - هذه النسبة (المذاهبي) إلى أكثر من مذهب هي جزء من الخطاب الذي نحتاجه الآن - شيخ الأزهر المستنير ، المتوفى ١١٩٢هـ ، الذي كتب كتابًا في المنطق ، وكتب « عين الحياة في استنباط المياه » ، وهو نص قمت بنشره ، وكتب « القول الصريح في علم التشريح » . مثل هذا التنوع المعرفي يمكن أن نؤسس عليه وعيًا يقول : إن المعرفة لم تأتنا مع الحملة الفرنسية . هذا ما أقصده .

ثم لنخرج قليلاً من خلافنا حول أحمد بن صيام وأحمد بن عبد المنعم ، هذه أمة قد خلت ، وهذا النوع من البحوث تجاوزه العقل البشري ، فلماذا لا يكون

النقاش بنائيًا تراكميًا ، كل من يتحدث يعطي أشياء ويضيف ، لِمَ يسْع البعض لإلغاء الآخر ، وكيف سنتعامل مع العالم إذا كنا سنلغي أنفسنا ؟

لي كتاب عن ابن سينا ، وقد نشرت الترجمة الأوفى له ، وهي ترجمة تلميذه ابن زيلة ، وأنا أسير على نهج في كتبي هو : أنني إذا تعرضت إلى شخصية تراثية أبحث عن أوفى ترجمة لها في التراث العربي وأضعها ، فإذا تعرضت للسهروردي الإشراقي أتيت بترجمته التي أوردها الشهرزوري . وفي كتابي حي بن يقظان تعرضت تفصيلاً إلى ترجمة ابن زيله ونقضها ، وأنا أقول مخلصًا : إننا لا نعلم شيئًا عن الأساس المعرفي الذي انطلق منه ابن سينا ، مع احترامي لكل القصص العامة عن المكتبة التي دخلها وأحرقها ، فهذا كلام ترفضه العقلية النقدية .

الذين نعوا عليّ قولي : إننا لا نعرف كثيراً عن التراث ، أقول لهم : لنأخذ البيروني فهو يقول في كتابه « تحقيق ما للهند » : إن أفضل من كتب في العقائد هو أبو العباس الإيران شهري ، لأنه لم يكن على أية عقيدة ، وله كتابان : « الجليل » و « الكامل » . هذه شهادة رجل عالم - يعني البيروني - وصفه السخاوي بأنه أعظم عقلية في تاريخ البشرية . وليس لدينا هذان الكتابان ! أظن أن ٧٠٪ من عالم التراث محجوب عن وعينا المعاصر .

أما شكل المعرفة في القرن القادم فهو بالقطع سيختلف ، وأظن أن موقع المعهد على شبكة الإنترنت في ندوتنا السنوية القادمة قد يكون موجودًا ، وأما الديسكات فسأمارس ضغوطًا لتكون موجودة ، لتكون إلى جانب الكتاب المطبوع ، وبذلك نحل هذا الإشكال الزائف بين الأصالة والمعاصرة .

■ **د. عبد الله محارب :**

أظن أن من قال : « من تمنطق قد تزندق » ، ليس بفقيه ، ولو كان فقيهاً لدرس المنطق ، فهو أساس الوصول إلى القياس والأحكام ، ولكن هذه سجعة قيلت وانتشرت ، كما قيل : أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم .

قضية عصور الظلام والحملة الفرنسية ، سبق أن حاورت فيها أحد المستشرقين الألمان ، وهو يمثل الجيل الثاني أو الثالث من المستشرقين ، وكان ذلك في لقاء تلفزيوني ، فسألته عن هذه القضية ، وهل حقًا كانت الحملة الفرنسية مصدر الإشعاع ، وأن مصر والعرب كانوا يعيشون في عصور من الظلام ؟ فقال لي : هذا الكلام قد تم ترويجه سابقاً من مستشرقين لم يكونوا موضوعيين أو محايدين ، وثمة الآن جيل من المستشرقين أثبت أن العصر الذي صاحب الحملة الفرنسية كان عصر معرفة وعلوم متقدمة موجودة في الشرق ، وقد تذكرت حينها « رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » لأستاذنا محمود شاكر ، عندما قال بأن الفارق الزمني بين الغرب والعرب كان لا يزيد عن ٣٠ سنة ، وأن أوربا كانت ترسل طلابها إلى مصر والشام .

وفي ما يتعلق بالخطاب الذي تحدث عنه د. يوسف زيدان ، أتصور أن الأمة العربية لها خطاب ، ولو لم يكن لها خطاب لماتت ، ولكن القضية : هل هناك من يسمع هذا الخطاب ؟ نحن أمة لا يُسمع خطابنا الآن لضعفنا ولأمور أخرى كثيرة لا نستطيع أن نفصّل فيها . الخطاب الثقافي إذن موجود ، ولذلك تطرف بعض الإخوة في قضية البحث عن بديل لهذا الخطاب ، فانصرفوا إلى الخطاب الأوربي والخطاب الحداثي الجديد ، وحاولوا استعارة بعض الألفاظ وبعض العبارات وبعض الأفكار التي لا تتفق معنا ، وحاولوا أن يسوقوها ضمن خطاب حداثي جديد ، تأثروا فيه وهم لا يدرون بأن هناك دعوة مع بداية هذا القرن إلى هدم المكتبات والتخلص من الكتاب ، وهذه دعوة صريحة إلى الانصراف عن الماضي تماماً وقطع كل العلائق به .

* * *

الجلسة الخامسة

الجهود العربية والاستشراقية في خدمة التراث العلمي

جهود المؤسسات العربية في خدمة التراث العلمي

أ. عصام محمد الشنطي

■ أ. إبراهيم الترزي (رئيس الجلسة) :

أود بداية أن أنوه بأمر مهم أقوله بصفتي المجمعية ، وهو أن مصطلح المستشرق غير مصطلح المستعرب ، فالمستشرق قد لا يعرف العربية ، يعرف الفارسية والتركية والأردية والسريانية والعبرية . . . إلخ ، وقد يعرف هذه اللغات الشرقية ويعرف العربية . ومن هنا شاع إطلاق لفظ المستشرق على من يعرف العربية ، ولكن التعبير الأدق ، والذي أرجو أن يلتزم به ، هو المستعرب ، والمستعرب قد يكون مستشرقًا ، ولكن ما يعنينا بالضرورة هو أن يكون عارفًا باللغة العربية .

كما أود تحية المعهد على هذه الصيحة ، فالتراث العلمي العربي بحاجة إلى بعث حتى نتعرف عليه .

يسرني أن أقدم لكم الأستاذ عصام الشنطي ليكشف عن الجهود التي بذلتها المؤسسات في خدمة التراث العلمي ، ود . عباس سليمان ليكشف عن جهود المستعربين في هذا الصدد .

* * *

اهتمت الجامعات في العالم ، منذ منتصف القرن الماضي ، بإنشاء معاهدَ للبحوث والدراسات في مضمار تاريخ العلوم . وأهمل العرب والمسلمون دراسة تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، غير مدركين خطرهما وفائدتهما . ولم تُنْشأ المؤسسات العربية ، ولم يَتوجَّه العلماء في الوطن العربي إلى الاهتمام بالتراث العلمي إلا في العقود الأخيرة من هذا القرن .

ولعلَّ السببَ في هذا التوجُّه الجديد المتأخر من قِبَل المؤسسات والأفراد ، يعود إلى وازعٍ روحي وقومي ، أرُيد به الردّ على التُّهم الشائعة في حين التراث العربي . منها أن كلَّ هذا التراث ، أو جُلَّه ، توجَّه منذ القرون الأولى للهجرة إلى علوم الدين واللغة والأدب ، وغيرها من الفنون والموضوعات النظرية ، البعيدة عن العلوم البحتة القائمة على التجربة والاختبار .

ومنها أنّ هذا القدر القليل من التراث العلمي العربي ليس فيه جديد ، وأن العربَ في هذا المجال نَقَلَة ، لم يستطيعوا أن يبتكروا ويبدعوا ، و يضيفوا إليه شيئاً ذا بال ، وليس لهم فيه أثر .

ومنها أنّ المساحة التي جال فيها العرب ، في الموضوعات العلمية ، كانت مساحةً ضيقة ، بمعنى أن بعض هذه العلوم لم يطرقوها ، أو لم يعيروها اهتمامهم .

وطبيعي أن تؤدي هذه التُّهم جميعاً إلى إلغاء فضل العرب والمسلمين ، وطمس دَوْرهم في المشاركة في موكب الحضارة الإنسانية وتطويرها . وإنكار إضافاتهم إبّان نهضتهم ، الأمر الذي أدّى إلى ما وصل إليه الغرب الآن من رقي علمي وتقدم صناعي .

والحق أن هذه التُّهم لا تشكّل تياراً قويّا مُجْمَعاً عليه من قبَل الطرف الآخر . إذ وُجدت لديه أصوات عالمة وعادلة تدرس مُنجَزات العرب والمسلمين في شتّى ميادين العلوم ، وتفصل في ما قاموا به من إحياء علوم اندثرت ، بعد أن فهموها جيداً ، وهضموها تماماً ، فصحَّحوا وعدَّلوا وأضافوا وابتكروا ، إلى أن تلقفها منهم الغرب بعد توفّر عنصر الاستعداد والتَّحدِّي ، فكان هذا التقدم ، وكانت هذه النهضة .

على أنّ نشاط المؤسسات والأفراد في الوطن العربي لم يتخذ طابعاً ذا هوى ، بل سار وَفْق البحث العلمي ، والمنهج الأكاديمي ، بعيداً عن الادّعاء والفخر . فقد انبثقت هذه المؤسسات عن الجامعات والمعاهد العلمية (الأكاديمية) . وكذلك الأفراد لم يكونوا إلا علماءَ متخصصين ، فجاءت دراساتهم من صنيع أساتذة (أكاديميين) ، بعيدين عن الشوفينية والتعصب .

ولا أزعم أنني استقصيتُ في هذا البحث كلَّ المؤسسات العربية المعنية بالتراث العلمي ؛ فضلاً عن استقصاء نشاط المؤسسة الواحدة ممّا ذكرت . ذلك لأن المعلومات التي تفيدني في هذا السبيل مبعثرة في النشرات والمجلات . والحق أن

أفضل هذه المصادر هو تزويد المؤسسة إياي بما طلبتُ من بيانات . ومن المؤسف أن بعضها لم يستجب لطلبي هذا ولم يلبّه ، ضانّا عليّ بإنجاز هذا الموضوع الحيوي .

هذا فضلاً عن أنني لم آت على ذكر بعض المؤسسات أصلاً ، لأنها لم تُعرَف بخدمة التراث العلمي ، بقدر كاف . وكذلك لم أذكر أعمال الأساتذة المتخصصين الذين نشروا نصوصاً أو دراسات لدى دور نشر تجارية ، لأنّ مثل هذه الإنجازات تخرج عن دائرة هذا البحث .

إنّ ما ذكرته من المؤسسات السبع ، تكفي لأن تُعَدَّ نماذج حيّة تُوصل إلى نتائج صحيحة ، وتكفل إظهار الإيجابيات والسلبيات نحو هذا النشاط التراثي المتخصص .

ويلاحظ القارئ تفاوتاً في الحديث عن المؤسسات ، وذلك تبعاً لنشاطاتها ، وللمادة التي أتيحت لي من المصادر . وقد رتّبتُ هذه المؤسسات بدءاً من المتخصصة إلى المعنية بالتراث عامّة ، وبالأقدم نشأةً فالأحدث .

(١)

معهد التراث العلمي العربي - حلب[1] :

أُنشئ هذا المعهد بجامعة حلب عام ١٩٧٦ . وكان أولَّ معهد متخصص في تاريخ العلوم ، في الوطن العربي . هدفه الأساسي القيام بدور تراثي فاعل ، يكشف عن مساهمات العرب والمسلمين . ويبين ما حققوه من إبداع علمي متميز ، مع إظهار فضلهم على الحضارة الإنسانية .

وقد تحددت مهام المعهد منذ إنشائه في :

- الكشف عن التراث العلمي في مختلف الميادين - وجمعه وتصنيفه وتحقيقه ونشره بنصوصه الأصلية ، وترجمته إلى اللغات الأجنبية .

(١) المصادر : - معلومات عن معهد التراث العلمي العربي ، إعداد د . مصطفى موالدي ، جامعة حلب ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .
- رسالة معهد التراث العلمي العربي ، الأعداد : الأول ، والثاني ، ومن ٦٤-٦٩ .

- إعداد الدراسات والبحوث .
- إعداد الباحثين وتدريسهم في مختلف التخصصات .
- الإفادة من جهود العرب والأجانب في الكشف عن التراث العلمي ، والتعريف به ، ونشره .
- منح الدرجات العلمية للمتخصصين .

وقد تُرجمت هذه المهام بإصدار المجلات والدوريات المتخصصة ، ونشر البحوث والمؤلفات ، وجمع المخطوطات العلمية العربية وتحقيقها وترجمتها ونشرها ، وتكوين مكتبة متخصصة ، وتنسيق جهود الباحثين العرب والأجانب ، وعقد الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية ، ونشر نتائج أبحاثها ، وعقد الدورات ذات العلاقة ، وإيفاد البعثات للقيام بالأبحاث والتحريات الميدانية ، وإقامة متحف متخصص .

وأبرز مجالات المعهد وميادين العمل فيه ، هي تاريخ العلوم الأساسية ، والطبية ، والتطبيقية . وقد أنشئ في أوائل الثمانينيات برامج تدريسية للجامعيين لمنح دبلوم الدراسات العليا ، ودرجتي الماجستير والدكتوراه ، في تاريخ العلوم العربية المختلفة . ومن مواد التدريس في هذه البرامج ربط الحضارة العربية بمَن أخذوا منها ، وتدريس أثر علماء العرب في النهضة الأوربية ، ودراسة بعض أعمال العلماء الأوربيين . وكذلك تدريس تاريخ الطب الحديث من القرن السادس عشر الميلادي حتى اليوم .

ومن بين نشاطات المعهد المحسوسة عقد الندوات العالمية في تاريخ العلوم عند العرب .

وكان عدد هذه الندوات حتى عام ١٩٩٦ ستًا . عُقد بعضها في الكويت وغرناطة ورأس الخيمة ، بالتعاون مع هيئات علمية وثقافية . وقُدم في هذه الندوات عشرات البحوث من علماءَ عرب وأجانبَ ، طرقت كثيراً من مُنجَزات العرب وإضافاتهم وإمكاناتهم المبدعة . الأمر الذي يقوي العزيمة ، ويحفز النفوس إلى مزيد

من العمل لبناء المجتمع العربي المتقدم علميًا وتكنولوجيًا . ولفت نظري أن من البحوث المقدَّمة ما كان حول انتقال العلم العربي إلى الغرب اللاتيني .

أما المؤتمرات الدورية السنوية ، فقد عُقد بعضها بالتعاون مع الجمعية السورية لتاريخ العلوم . وبعضها عُقد في مدن أخرى من القطر السوري . وقد بلغ عدد هذه المؤتمرات حتى عام ١٩٩٣ سبعة عشر ، قُدم فيها عشرات البحوث المتنوعة ، التي تطرق شتَّى الميادين العلمية ، وتكشف عن إبداع العلماء العرب في هذا المجال . ويذكر أن هذه المؤتمرات كانت تنتهي بإقامة معارض علمية ذات علاقة . ومن بين الموضوعات التي بُحثت فيها ، موضوع «الترجمة والإبداع عند العرب» .

ومن بعض التوصيات - التي تكررت كثيراً - في هذه المؤتمرات ، أهمية تعاون المؤسسات المماثلة .

ومن أظهر أعمال المعهد تحقيق المخطوطات ونشر الدراسات حولها . ولديه من الدراسات المنشورة في هيئة سلاسل في تاريخ العلوم الطبيعية والدقيقة والتكنولوجية والطبية . ومن النصوص والدراسات المنشورة ما هو حول الرياضيات من حساب وجبر وهندسة ميكانيكية ، والفلك وأثره في علم الفلك الحديث ، والكيمياء ، وعلم المعادن ، وعلوم الطبيعة ، والزراعة ، والعلوم الطبية ونباتاتها ، وعلم الحيوان ، والساعات المائية ، والصناعات الحربية والعسكرية .

وقد أمكنني حصر هذه الكتب المنشورة ، حتى عام ١٩٩٥ ، فوجدتها ستة وعشرين . كما طبع المعهد أبحاث المؤتمرات والندوات في مختلف العلوم ، بعضها باللغات الأجنبية ، ومجمل عددها ثلاثة عشر جزءاً . ومن منشوراته أيضاً ماهو على هيئة موسوعات وفهارس عامة ، وعددها أربعة وعشرون جزءاً .

أما دوريات المعهد فهي ثلاث : مجلة تاريخ العلوم العربية ، وهي نصف سنوية ، ودخلت عامها العاشر . ونشرة المعهد بعنوان : رسالة معهد التراث العلمي العربي ، وهي نصف سنوية ، وصدر منها تسعة وستون عددًا ، ومجلة عاديات حلب ، وهي سنوية ، ومن أبحاثها ماهو باللغات الأجنبية ، وصدر منها ستة أعداد .

ووضع المعهد في مقره نواةً لمتحف في تاريخ العلوم وهو مايزال متواضعاً وبسيطاً، ويحتاج إلى دعم مادي كبير، ليصل إلى المستوى الذي يكشف عن مساهمات العرب لعامة الجمهور . ويكون بمثابة مختبر للطلبة في جميع المراحل .

على أن المعهد أخذ بُعداً دوليًا خارج حدود جامعة حلب ، فاشترك في الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم وفلسفتها ، الذى يضم كثيراً من الدول الغربية ، والأمريكية وغيرها .

وأقام تعاوناً وثيقاً مع جامعات غربية وعربية، وهيئات قومية ، كمعهد المخطوطات العربية ، ودولية كاليونسكو . وكل ذلك مكرَّس لخدمة تاريخ العلوم العربية . وشارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الدولية الخاصة بتاريخ العلوم .

ويُذكر أن الجمعية السورية لتاريخ العلوم التي تأسست عام ١٩٧٥ ، اتخذت هذا المعهد مقرًّا لها . ومن أجلِّ أعمالها عقد محاضرات ثقافية عامة في مجال تاريخ العلوم العربية .

(٢)

مركز إحياء التراث العلمي العربي - بغداد[١] :

تأسس هذا المركز ، منبثقاً عن جامعة بغداد، عام ١٩٧٧ ، ولمَّا يمضِ أكثر من عام على إنشاء معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب . وبهذا كان هذا المركز المتخصص في تاريخ العلوم في المرتبة الثانية ، في الوطن العربي .

(١) المصادر : - تقرير موجز من صفحة ، زوّدني به مشكوراً الصديق الأستاذ أسامة النقشبندي، مدير دار صدَّام للمخطوطات، في بغداد .
- نشرة مركز إحياء التراث العلمي العربي ، بجامعة بغداد ، العدد الثاني، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

وواضح أن أول أهدافه، كما يبدو من اسمه ، بعث التراث العلمي العربي ، وإبراز الجوانب المشرقة فيه . ولحق هذا الهدف أهدافٌ أخرى، وهي إنشاء مكتبة متخصصة، وإقامة الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية ، والاتصال بمراكز التراث والمتاحف والجامعات والتنسيق معها في مجال التراث العلمي .

قضى المركز من حياته نحو ربع قرن، نشط خلالها فأقام عدداً من الندوات العلمية والتاريخية والمواسم الثقافية والمعارض التراثية ، زادت على الخمسين قليلاً . وطَبع بحوث الندوات الثقافية ودراساتها ومحاضراتها في طبعات أولية .

وأصدر مجلة دورية باسمه . لم يصدر منها إلا عددان ، الأول في سنة إنشائه (١٩٧٧) ، والثاني في السنة التالية لها(١٩٧٨) ، وتوقفت . وبعد نحو خمس سنوات عوَّضها المركز بإصدار نشرة باسمه أيضاً، لم يصدر منها إلا عددان، الأول عام ١٩٨٤ ، والثاني في السنة التالية (١٩٨٥)، وتوقفت. ولعلَّ ظروفَ البلاد، منذ ذلك التاريخ ، هي التي حالت دون استمرارها .

كما أصدر المركز، منذ تأسيسه إلى يومنا هذا، نحو خمسين إصداراً ؛ ما بين نصوصٍ محققة، وبحوث ودراسات ، غالبها في التراث العلمي .

ولفت نظري هذه الدورة المتعلقة بالإعلام التراثي التي عقدها المركز عام ١٩٨٤ ودامت مدة أسبوعين. تناولت الأسس الرئيسة في التراث. وقد خُصصت للعاملين في الأجهزة الإعلامية والثقافية، للتعريف بأهمية هذا الجانب من التراث. وهي محاولة جديدة وجادّة لإخراج حيِّز العمل بالتراث من حدود المراكز المتخصصة ، إلى ميادين الإعلام والثقافة، وبهذا تصل إلى الجمهور .

(٣)

معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية - فرانكفورت[1] :

أُسس هذا المعهد ، الذي باشر أعماله عام ١٩٨٢ ، بجهود شخصية ، وحماسة لا نظير لها ، من قبل د. فؤاد سزگين أستاذ تاريخ العلوم الطبيعية في جامعة فرانكفورت . وأصبح المعهد من الناحية العلمية في إطار جامعة فرانكفورت . أما النشأة والتمويل فهو من كثير من الدول العربية ، وبعض المنظمات والهيئات ، والخيّرين ، وأساتذة الجامعات ، وفي مقدمتهم الكويت والسعودية .

وكانت فكرة التأسيس قد نبعت لإنشاء هذا المعهد في قلب أوربا (ألمانيا) ، لإعداد نموذج للعالم المسلم على مستوى التقدم الحضاري الذي يشهده العالم اليوم ، وإظهار ما قدّمه العرب والمسلمون في القرون الماضية ، وربطه بالنهضة الأوربية ، التي أدّت إلى التقدم الحضاري العالمي في عصرنا الحاضر .

وقد تحددت مهام المعهد بالعناصر التالية :

- القيام بالبحوث العلمية والدراسات .
- تقديم منح للطلبة والباحثين .
- تعيين أعضاء هيئة تدريس .
- تأسيس مكتبة حديثة متخصصة .
- الاهتمام بنشر النصوص والترجمة .

وقد تمكن المعهد من إنشاء أقسامه العلمية ، وأخذ يستقدم الباحثين والأساتذة الدارسين ليقوموا بالبحث والدراسة . كما أخذ يقدم منحاً دراسية للطلاب المتميزين من العالم العربي والإسلامي ، يتلقون زاداً علميًا أصيلاً في تاريخ العلوم . ومن ثَمَّ دراسة فرع من فروع العلوم الطبيعية والعقلية لنيل درجة الماجستير ، ثم الدكتوراه .

(١) المصدر : - كتيب نشره المعهد بمناسبة تأسيسه ومباشرة مهامه العلمية ، دون تاريخ .

ونشط المعهد في نشر النصوص في مختلف العلوم . وهي مطبوعات نفيسة ، تُعَدُّ الآن بالعشرات ، ويؤخذ عليها أنها مرتفعة الأثمان ، وغير واسعة الانتشار ، ومقتصرة على عدد محدود من المتخصصين .

(٤)

معهد المخطوطات العربية - القاهرة :

كان همُّ المعهد الأول ، منذ إنشائه عام ١٩٤٦ ، جمعَ المخطوطات العربية مصورّة من كل مكتبة عامّة وخاصّة ، في أماكن شتّى من العالم . وكان يحرص على أن يصورِّ كل ما يلقاه من العلوم البحتة التي اشتغل بها العرب ، وجَلّوْا فيها . في حين كان يتخيَّر من الموضوعات الأخرى النفيس أو النادر .

وكانت بُغية المعهد ، وما تزال ، أن يتيحها للعلماء والباحثين المتخصصين للتحقيق والدرس . وتحقيقاً لهذا الهدف أخرج من فهارسه في العلوم ، مابين سنتي ٥٨ ، ١٩٧٨ ، خمسة أجزاء في الفلك والطب والرياضيات والكيمياء والطبيعيات . والمعهد عاكف في هذا العام على إصدار فهرس جديد في الفلك .

واهتمَّ المعهد في مرحلته الأولى بنشر النصوص والدراسات المعنية بالعلوم العربية الصِّرْفَة من خلال مجلته . وكذلك كان لايترك خبراً يتعلّق بهذه العلوم ، من عَقْد ندوات أو مؤتمرات : أو نشر كتب ، إلا يذيعها في نشرته . والمطّلع على المجلة يجد هذه النصوص والدراساتِ مبثوثةً في تضاعيف أعدادها . والمقلّب في صفحات نشرته يلقى أخباراً وفيرة عن التراث العلمي .

وكان من فَرْط اهتمام المعهد المبكر أن يُصدر كتاباً محققاً على أنه جزء من أجزاء مجلته ، أو مجلد بجزأيه . وقد أصدر من هذا القبيل كتابين ، أولهما كتاب المرشد (أو الفصول) - في الطب ، لأبي بكر الرّازي . وصدر على أنه الجزء الأول من المجلد السابع من المجلة ، ١٩٦١ . وثانيهما كتاب « تحديد نهايات الأماكن

لتصحيح مسافات المساكن » ، لأبي الرَّيحان البِيرُوني، وصدر على أنه المجلد الثامن بجزأيه من المجلة ، ١٩٦٢ .

وفي حقبة المعهد الثانية ، حين مارس نشاطاته في الكويت : في الثمانينيات من هذا القرن، قام المعهد بعقد اتفاقية تعاون مع معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب . وبهذا التعاون الخير صدرت عن المعهدين ، مابين سنتي ٨٣ ، ١٩٨٩ ، كتب أربعة، هي : كتاب القولنج (في الأمراض البطنية) لأبي بكر الرَّازي . وكتاب : من مؤلفات ابن سينا الطبية . وكتاب الأنيق في المناجنيق (في الصناعات الحربية والعسكرية) ، لأبن أَرَنْبُغَا الزَّرَدْكاش . وكتاب نظرية الخطوط المتوازية في المصادر العربية ما بين القرنين الثالث والثامن الهجري، لروزنفيلد ، ويوسكوفيتش ، (ترجمة) .

وكذلك في هذه المرحلة أصدر المعهد من النصوص المحققة والدراسات ، ما بين سنتي ٨٥ , ١٩٨٧ ، أربعةَ كتب، هي : كتاب « منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان » ، د. وديعة طه النجم . وكتاب « التكملة في الحساب » ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي . وكتاب « الدلائل » ، للحسن بن البهلول . وكتاب « المنصوري في الطب » ، لأبي بكر الرَّازي .

أما حقبة المعهد بالقاهرة، في السنين الأخيرة، فقد وضع « الجائزة العربية في تحقيق التراث» ، في أيّ موضوع منه . وأعلن عن الجائزة عام ١٩٩٥ ، وخصَّصها لشُدَاة المحققين من الأجيال الجديدة. وكان قرار اللجنة المحكَّمة المكونة من كبار العلماء والمحققين، فوزَ كتاب « إنباط المياه الخَفيَّة » ، للكَرَجي ، المتوفى بعد ٤٠٦هـ ، بالجائزة ، عن عامي ٩٥ ، ١٩٩٦ . وعن عامي ٩٧ ، ١٩٩٨ فاز كتاب « مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء» ، للتميمي المقدسي، من رجال القرن الرابع الهجري .

والكتابان من التراث العلمي ، يعالجان موضوعين حيويين معاصرين ، في منطقتنا العربية ، وهما قضية المياه ، وقضية تلوث البيئة . وقد بادر المعهد بنشر الكتابين مع الدراستين المشفوعتين بهما . ونال المحققان جائزتيهما في احتفال علمي .

والمعهد ينظم الآن هذه الندوة - التي أقدِّم لها هذا البحث - بعنوان «التراث العلمي العربي : مناهج تحقيقه، وإشكالات نشره» .

ويدور هذا الموضوع حول محورين . الأول مكانة التراث العلمي وخصوصيته . والثاني نشر التراث العلمي وخدمته . ودعا المعهدُ إلى هذه الندوة العلماء المتخصصين والباحثين من الوطن العربي . والهدف العام لها هو محاولة وضع مناهج خاصة بتحقيق التراث العلمي ، ووضع برنامج لنشره ، وتنسيق الجهود لخدمته . وإقامة هذه الندوة برهان من المعهد على الاهتمام بالتراث العلمي ، ومعالجة قضاياه .

(٥)

الجمعية المصرية لتاريخ العلوم - القاهرة[١]:

أُنشئت هذه الجمعية في عام ١٩٤٩ . وكان هدفها الأول - كما نصَّت لائحة نظامها الأساسي - العناية بالدراسات الخاصة بتاريخ العلوم وتطور الفكر الإنساني والحث عليها، والعمل على تقدمها.

لقد تعرضت هذه الجمعية لفترات ركود وسُبات، ثم فترات حيوية ونشاط . ولعلّ من ألمع نشاطاتها المحسوسة ، إصدارَها مجلةً رصينة تتضمن بحوثاً قيمة

(١) المصادر : - تقرير د . عبد الحافظ حلمي محمد، دليل الأعمال المنشورة في تاريخ العلوم وفلسفتها في مصر، ١٩٩٦ ، ص٨ - ١٠ .
- مجلة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم، العدد الثالث، دون تاريخ، والرابع ١٩٦٣ ، والسادس ، دون تاريخ .

في تاريخ العلوم. صدر عددها الأول عام ١٩٥٢ . وتتابعت الأعداد إلى أن صدر العدد الثامن عام ١٩٧٥ . ثم توقفت عن الصدور لأسباب مالية . وتعتزم الجمعية إحياء المجلة من جديد بإصدار عددها التاسع بدعم من أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا .

والمتصفح لهذه الأعداد المحدودة ، يلقاها حاوية لمقالات وبحوث ومحاضرات نفيسة في التراث العلمي العربي ، مثل تاريخ الطب عند العرب ، وذكر أعمال علمائهم المشهورين ، كابن سينا وابن الهيثم والدِّينَوَري عالم النبات المشهور . كما شملت موضوعاً دقيقاً هو أثر العرب في النهضة العلميّة الأُوربية .

والحق أن الجمعية لم تحصر نشاطها في التراث العلمي العربي ، بل امتد إلى نشاطات أخرى موصولة بتاريخ العلوم وتطور الفكر الإنساني . فكان من البحوث المنشورة ما يتصل بالطب في مصر القديمة ، وعند البابليين . وكذلك أعمالُ بعض علماء الغرب مثل چورچ كوفييه العالم الفرنسي ، المتوفى عام ١٨٣٢م ، وبحوث عن الجمعيات العلمية الأُوربية .

إنّ هذه المجلة تُعَدُّ مفخرةً للجمعية ، الأمر الذي ينبغي لها أن تُعان لتوالي إصدارَها ، مع الاهتمام بتطويرها مضموناً وشكلاً ، وإشاعة توزيعها بين فئة المثقفين وأواسطهم ، لا المتخصصين فحسب .

(٦)

مؤسسة الفرْقان للتراث الإسلامي - لندن[1] :

مؤسسة خاصَّة أنشأها الشيخ أحمد زكي يماني . وبدأت نشاطها الفعلي عام ١٩٨٩ . وبهذا أكملت في هذه الأيام عشر سنوات من عمرها .

---

(١) المصادر : - الفرقان ، نشرة إعلامية ، نصف سنوية ، تصدر عن المؤسسة . صدر منها أربعة أعداد . الأول عام ١٩٩٥ ، والثاني ١٩٩٦ ، والثالث ١٩٩٨ ، والرابع ١٩٩٩ .

لقد تحدد منذ إنشائها أنها معنية بالتراث الإسلامي ، وأنها ستجول في ميادين عديدة ، منها : العلوم عند العرب والمسلمين . وبهذا نعلم أن همومها قد اتسعت منذ تكوينها ، فتوجهت إلى التراث الإسلامي ، الذي يشكل التراث العربي جزءاً منه . كذلك اهتمت بالعلوم الصِّرْفة من بين اهتمامات عديدة ، وقضايا تراثية لا حصر لها .

وحين نأتي إلى نشاط المؤسسة نلحظ أنها عقدت حتى الآن خمسة مؤتمرات ، بمعدل مؤتمر واحد كل سنتين . ويعود اختصاص المؤتمرات الثلاثة الأولى إلى موضوعات لا تعنينا هنا . أما المؤتمر الرابع والخامس فقد وُجِّها إلى ميدان العلوم الذي نحن بصدده .

لقد عُقد المؤتمر الرابع بمقر المؤسسة ، في أواخر عام ١٩٩٧ . وكان موضوعه تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي . وبُحث فيه أهمية هذا الميدان ، والمخطوطات العربية في العلوم . كما تناول خصوصية تحقيق مخطوطات الفلك ، والمصادر الأندلسية والمغربية فيه . وتقييم بعض الزِّيجات ، وتحقيق مخطوطات الهندسة ، وجهود ابن الهيثم في البصَريات ، والمصطلح العلمي في التراث العربي المخطوط ، وعلم الكحالة (طب العيون) عند العرب .

أما المؤتمر الخامس فقد عُقد في أواخر هذا العام (١٩٩٩) . وهو يشكِّل القسم الثاني من المؤتمر الرابع ويكمله ، وموضوعه : الأرض : ما عليها من التراث الجغرافي ، والكيمياء والصيدلة ، والمعادن والآثار العلوية والحيوان ، وعلم النبات ، وعلم الزراعة .

ومن نشاطات المؤسسة أيضاً إلقاء المحاضرات . فقد ألقى د. رشدي راشد ، في مقر المؤسسة ، في صيف عام ١٩٩٩ ، محاضرة حول العلم في الحضارة الإسلامية والحداثة الكلاسيكية . وهي تبين إنجازات المسلمين وعطاءهم للحضارة الأوربية في مجال الرياضيات والبصَريات والهندسة ، والمحاضر أستاذ متخصص في تاريخ العلوم عند العرب ، خاصةً في الرياضيات .

واعتنت المؤسسة بإصدار نصوص محققة في العلوم ، ودراسات حولها . ومن سلسلة التراث الطبي الإسلامي أصدرت كتابين في علم الكحالة (طب العيون)، بتحقيق أستاذين بالجامعة السورية بدمشق .

ومما تفخر به المؤسسة من أعمال في مجال النشر ، الاهتمام بعلم الرياضيات التحليلية عند العلماء المسلمين . وسيُكْمَل لها إصدار سبعة أجزاء ، بما يشبه الموسوعة في بيان جهود العرب والمسلمين نحو هذا العلم، مع ذكر علمائه ونصوصه ودراسات حولها، وصُنْع معجم تاريخي للمصطلحات العلمية الرياضية ، وترجمة كل ذلك إلى الفرنسية والإنكليزية . وهذا العمل الضخم من إنتاج د. رشدي راشد الذي ذكرناه قبل قليل . وقد صدر بالفعل من هذا المشروع ثلاثة أجزاء ، والبقية في سبيلها للصدور .

ومن حسن الطالع أن المؤسسة تَطبع هذه الأعمال القيمة في كتب متقنة، وهي مكلفة حقًا ، فأثمانها مرتفعة، ويقل شيوعها بين المتخصصين ، فضلاً عن الطبقة التالية من المُثقَّفين .

(٧)

مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية-القاهرة[1] :

يبدو أن التيار الذي أوقف الدكتور عبد الحليم منتصر عن محاضراته بكلية العلوم (جامعة القاهرة) في تاريخ العلوم ، منذ سنين مضت ، قد ذوى أو انتهى . ذلك أن هذا المركز قد انبثق عن الكلية ذاتها عام ١٩٩٦ ، بتشكيل مجلس إدارة من أصحاب القرار ، وأساتذة متخصصين في علوم الكيمياء والنبات والحيوان والفلك والحشرات والطب وغيرهم .

(١) المصدر : - تقرير موجز من صفحتين، زودني به مشكوراً الصديق د. حامد عبد الرحيم عيد، مدير المركز .

لقد اهتمَّ المركز بالبحوث والدراسات المتعلقة بالعلوم الطبيعية دون غيرها ، ومن اهتماماته تنظيم الندوات والمؤتمرات حول تاريخ العلوم وتطورها . ولكنه تميَّز بالجانب العملي ، والخروج بنشاطه من حدود الكلية إلى الجمهور والطلاب والشباب ومدرّسي المرحلة الأساسية والباحثين .

وترجم المركز هذا التوجُّه بإقامة ورش عمل لمدرّسي المرحلة الأساسية ، هدفها توضيح أهمية تاريخ العلوم، ودَور روادها، بطريقة مبسطة ، وكذلك تزويد الهيئات التعليمية والمصانع بمعلومات وافية عن تاريخ العلوم . وإقامة معارض متنقلة، والاهتمام بدَوْر المتاحف العلمية .

ويسعى المركز إلى الاهتمام بتدريس تاريخ العلوم في الجامعات . وتشجيع أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين على المشاركة ببحوثهم في ندوات التراث العلمي ، وإصدار دورية تنشر النصوص والبحوث في التراث العلمي، وتعرف به .

ومن جديد هذا المركز الانتفاع بوسائل الاتصالات المتقدمة الحديثة ، فقد أنشأ موقعاً على شبكة الإنترنت في نحو ثمان مئة صفحة ، تتحدث عن تاريخ العلوم الطبيعية في مصر القديمة، والعصر الوسيط الذي ازدهرت فيه الحضارة العربية الإسلامية، ومشاركتها الفاعلة في موكب الحضارة الإنسانية، خاصةً في علم الكيمياء . وكذلك إبراز دَوْر بعض العلماء المحدثين في مجال العلوم، كالعالِم علي مصطفى مُشَرَّفَة .

وواضح أن هذا المركز مازال غضَّ النشأة، لم يصلب عوده بعد ، ولم يقطع من التجربة إلا القليل . ولكن خلف هذا المركز أهدافاً عريضة، وهمة عالية، ووعياً وحماسة، تجعل الأمل فيه كبيراً .

(٨)

نتائج واقتراحات:

بعد هذا العرض المكثّف لسبع مؤسسات اعتنت بخدمة التراث العلمي العربي، يمكن أن ننتهي إلى النتائج والاقتراحات التالية:

١ - معهدُ التراث العلمي العربي بجامعة حلب، فارسُ الحَلْبة ومُجَليها، غير منازع. هو الرائد زمناً، والرائد عملاً. هو أول المؤسسات إنشاءً، وأولها تنظيماً وإنجازاً وديناميكية.

٢ - الوصول إلى أن العرب المسلمين أبدعوا وابتكروا في مختلف العلوم، إبان نهضتهم، وأن لهم فضلاً على النهضة الأوربية الحديثة، مسألة روحية قومية.

٣ - تحقيق نصوص التراث العلمي، وقتلها بحثاً ودرساً، ونتائج هذا البحث والدرس، يحفز النفوس إلى الابتكار، ويوصِل المجتمع إلى التقدم العلمي والتكنولوجي، ويُلحِق بركب الحضارة الإنسانية.

٤- ضرورة تدريس مادة تاريخ العلوم في الجامعات العربية، مع عناية خاصة بالحقبة العربية الإسلامية.

٥ - تَخْرُجُ المؤسسات من حدودها الأكاديمية إلى طبقة المثقفين والمدرّسين والشباب والجمهور، وتقدم لهم، بمختلف الوسائل، التراث العلمي بأسلوب مناسب ومبسَّط.

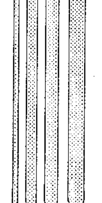
٦ - المطبوعات والدوريات لا تصل إلى كثير من المتخصصين، فضلاً عن المثقفين. وتحتاج إلى سَخَاء يخفِّض أثمانها، ويوسع إهداءاتها، ويحرص على شيوعها.

٧ - يحتاج كثير من المؤسسات إلى دعم مالي كبير، للتطوير ورفع كفاءَة الأداء.

٨ - التعاون والتنسيق بين المؤسسات ضعيف جداً، إن لم يكن معدوماً.

٩ - إقامة اتحاد عربي لتاريخ العلوم، كفيل أن يخططَ وينسِّق ويحلَّ مشكلات التراث العلمي. ولعلّ معهد المخطوطات العربية يتحمل عبء الدعوة إلى إقامته.

* * *



جهود المستشرقين في خدمة التراث العلمي

د. عباس محمد حسن سليمان

يعد التراث العلمي من أكثر فروع التراث العربي الإسلامي إهمالاً في واقعنا المعاصر، رغم أهميته الفائقة في استكشاف الإسهامات العربية في تاريخ العلم الإنساني، ومرجعيته المهمة في التعرف على طبيعة التكوين الحضاري للعقلية العربية الإسلامية عبر القرون (١). ولهذا كان اهتمامنا بالتراث العلمي وتحقيقه (٢) ونشره وإخراجه للناس وللمتخصصين.

ومما لاشك فيه أن المستشرقين بدأوا يهتمون بالتراث العربي الإسلامي وبالترجمات العربية والسريانية للعلم والفلسفة اليونانية، خاصة بعدما نشر السمعاني مؤلفه الضخم «المكتبة الشرقية» - روما عام ١٧١٩ - ١٧٢٥م - الذي كشف لعلماء الغرب عما في الشرق من كنوز فكرية وعلمية، وحث المستشرقين على ارتياد الأقطار الشرقية والتنقيب فيها عن المخطوطات القديمة، فأغنوا بها مكتبات أوربا، ثم أكبوا على دراستها وتبويبها وتعريف الناس بها عن طريق الفهارس والدراسات(٣).

---

(١) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية، إعداد وتقديم: د. يوسف زيدان، تصدير: د. محسن زهران، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٩٦م، جـ١، ص: ١٧.

(٢) يراد بالتحقيق: الاصطلاح المعاصر الذي يقصد به بذل عناية بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة. فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه. (عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة السنة، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص: ٤٢).

(٣) د. خليل الجر: تحقيق النصوص الفلسفية ونشرها (مقال ضمن كتاب الفكر الفلسفي في مائة سنة، هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية). بيروت، ١٩٦٢م، ص: ٩، ١٠

وقد حاول كبار المستشرقين – من أمثال بروكلمان وفؤاد سيزكين – القيام بإحصاء شمولي لمختلف كتب التراث التي وصلت إليهم ، وكذلك لمخطوطاته وأسماء مؤلفيه . وهذا ما يجعلنا دائماً نرجع إلى كتبهم لمعرفة حجم تراثنا وعدد مخطوطاته وأماكن وجودها في مختلف مكتبات العالم ، وما حُقق منها حتى الآن بشكل علمي ، وما لم يحقق (١) .

وكان علماء الغرب قد اعتنوا بنشر نصوص الآداب اليونانية واللاتينية منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، حتى انتهى بهم الأمر إلى وضع قواعد وأصول علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة خلال القرن التاسع عشر (٢) . ولعل أقدم محاولة جدية في الموضوع ، هي التي قام بها المستشرق الهولندي دي غويه De Coeje في مقدمته لتاريخ الطبري ، الذي نشره في ليدن (١٨٧٩- ١٩٠١م) (٣) .

أما المستشرقون ، فقد طبقوا – في تحقيق النصوص ونشرها – تلك الأصول والقواعد المتبعة في أوربا في ذلك القرن وما بعده (٤) . ولهذا جمعوا المخطوطات

(١) محمد أركون وآخرون : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ترجمة وإعداد : هاشم صالح ، دار الساقي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٤م، ص: ٣٢ .

(٢) د. رمضان عبد التواب : مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص: ١٥، ٥٧. وانظر : برجستراسر : أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، إعداد وتقديم : د. محمد حمدي البكري ، مطبعة دار الكتب ، مصر ١٩٦٩م ، ص: ١١، ١٢ .

(٣) د. خليل الجر : تحقيق النصوص ، ص : ٢٨ .

(٤) برجستراسر : أصول نقد النصوص ، ص: ١٢ . وانظر : محمد طه الحاجري : تحقيق التراث : تاريخاً ومنهجاً (مقال ضمن مجلة عالم الفكر – المجلد الثامن – العدد الأول) وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٧م، ص: ٢٢ .

التي تمكنوا من العثور عليها ، واعتمدوا ما رأوه أصدقها متناً ، ثم ذكروا في الحواشي ما تحمله المخطوطات الأخرى من اختلافات ، معتمدين الصدق في النقل والأمانة في المحافظة على محتوى المخطوطات(١) .

ومن أجل هذه الغاية أُنشئت جمعيات الاستشراق ، كجمعية المستشرقين الألمان ، التي اعتمدت قواعد علمية دقيقة في التحقيق والنشر ، وطبقتها فيما نشرته من نصوص عربية في مجموعة « المكتبة الإسلامية » ، التي يشرف عليها ويديرها المستشرق هلموت ريتر H. Ritter . ومؤسسة غليوم بوديه في فرنسا ، التي تعنى بتحقيق النصوص ونشرها ، من يونانية ولاتينية وغيرهما من اللغات الحضارية ، وقد كرست قسماً من نشاطها لتحقيق النصوص العربية ونشرها . والمكتبة الشرقية التي أسسها الأب بويج P. Bouyges . . . إلخ (٢) .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن المستشرقين في تحقيقهم ونشرهم للتراث العربي الإسلامي لم يكونوا جميعاً سواء في درجة التحقيق والتوثيق ، بل نجدهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام (٣) :

أولاً : قسم لم يملك ناصية اللغة العربية فأخطأ في نشر الكتب ، وفي فهم النصوص ، وحفل عمله بأمور شكلية لا فائدة فيها .

(١) د. خليل الجر : تحقيق النصوص ، ص: ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ٢٧ . وانظر : محمد أركون : الاستشراق ، ص: ١٣٧ . ومحمد طه الحاجري : تحقيق التراث ، ص: ٢٢ .

(٣) د. عبد المجيد دياب : تحقيق التراث العربي ، المركز العربي للصحافة ، القاهرة، ١٩٨٣م، ص: ١٩٢ .

ثانياً : قسم أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للدين ، فوجهوا حقائق ، وفسروها بما يوافق أغراضهم أو ما يسعون إليه .

ثالثاً : قسم أوتي الكثير من سعة العلم والتمكن من اللغة العربية ، والإخلاص للبحث ، والتحرر والإنصاف ، فكانت دراساتهم مثمرة وأعمالهم مباركة ، وكانوا جديرين بكل احترام .

ولم تقتصر عناية المستشرقين على التحقيق والنشر ، بل امتدت إلى الكشف عن معالم الحياة العقلية والعلمية في الإسلام . وقد وصل بهم التخصص إلى درجة أضحى معها كل باحث معروفاً بالناحية التي تفرغ لها ، ومن ذا الذي يذكر مثلاً روسكا Ruska ولا يذكر معه الكيمياء العربية؟ أو نلِلينو Nallino ولا يذكر معه الفلك ، أو مايرهوف Mayrhof ولايذكر معه الطب العربي[1] ، أو فيبكه Woepcke ولا يذكر معه البيروني ؟

وغير خاف أننا حين نتكلم في بحث بعنوان « **جهود المستشرقين في خدمة التراث العلمي العربي** » ، فإنما نشير إلى دورهم الرائد في الكشف عن تراثنا العلمي ، بوصفه إحدى وسائل الغرب الأوربي في إقامة حضارته ، « **فقد تناولوه بالدرس وتحقيق النصوص ، والمقارنة بينه وبين أصوله اليونانية والهندية ، وتأثيره في أوربا في العصر الوسيط وأوائل العصر الحديث** » [2] .

ولما كان علينا تبيان جهود هؤلاء المستشرقين في خدمة التراث العلمي العربي ، ولما كانت الإحاطة بهذه الجهود متعذرة في مثل هذا البحث ، فإننا سوف نقتصر هنا على دراسة النقاط التالية :

(١) د. إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية : (منهج وتطبيقه) ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص : ٢٧ .

(٢) د. عبد الرحمن بدوي : دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص : ١٧ .

١ - جهود بعض المستشرقين في تحقيق التراث العلمي العربي .

٢ - تحقيقات مفردة لبعض مخطوطات التراث العلمي العربي .

٣ - منهجية تحقيق التراث العلمي عند المستشرقين ، (تحقيق شرح كتاب دياسقوريدس في هيولي الطب نموذجاً) .

أولا - جهود بعض المستشرقين في تحقيق التراث العلمي :

لقد ساهم كثير من المستشرقين في تحقيق مخطوطات التراث العربي ، وبذلوا جهوداً موفقة في الكشف عنها ، وصيانتها ، ووضع الفهارس لما يجمعون أو يجدون منها في مختلف المكتبات العامة والخاصة . ولم يكتفوا بوضع مبادئ عامة لكيفية تحقيق المخطوطة ، وإنما عمدوا إلى تقديم دراسة لما يحققون من مخطوطات ، تختلف باختلاف نوعية المخطوطة والمادة التي تقدمها [1] .

١ - فيبكه ، ف . (١٨٢٦ - ١٨٦٤م) WOEPCKE,FR :

مستشرق ألماني ولد في ديسّاو Desau من أعمال ليبزيج ، وتفرغ في جامعة برلين لدراسة الرياضيات . ولفتت انتباهه الرياضيات عند العرب ، ورأى أنه لابد من الاطلاع على الكتب الرياضية في أصولها . فلما التقى بفرايتاج Freyatg في بون Bonn علّمه العربية وحببها إليه وأنحاه فيها نحو رياضياتها ، فانصرف إلى بحثها وتحقيقها وترجمتها ونشر دقائقها . وفي سبيل هذا سافر إلى باريس في سنة ١٨٥٠م ، حيث نشر مؤلفاته فيها . وقد توفي في باريس سنة ١٨٦٤م [2] .

(١) د. محمد عوني عبد الرؤوف : من صور الاستشراق الألماني ، صفحة مشرقة لتحقيق المخطوطة العربية (مقال ضمن مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الخامس والعشرون) مدريد ، ٩١-١٩٩٢م ، ص : ٢٧ .

(٢) نجيب العقيقي : المستشرقون ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، جـ٢ ، ص٣٧٦ . وانظر : د. عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص : ٢٩٢ .

وكان أول مخطوط قام فيبكه بتحقيقه هو « **الجبر والمقابلة** » لعمر الخيام ، وترجمه إلى الفرنسية . ونشر معه عدة نصوص من مخطوطات غير منشورة في باريس عام ١٨٥١م [١] . كما حقق رسالة النيسابوري في « **البراهين على مسائل الجبر والمقابلة** » ، وترجمها إلى الفرنسية ونشرها في باريس عام ١٨٥١م [٢] . وأيضاً حقق رسالة « البركار » لمحمد بن الحسين ، وترجمها إلى الفرنسية مع شروح إضافية ، ونشرها في باريس عام ١٨٥١م [٣] .

ولما عثر في المكتبة الوطنية بباريس على الترجمة العربية لشرح فالنس Valens اليوناني على المقالة العاشرة من « إقليدس » - طلبت أكاديمية العلوم في برلين من فيبكه نشر نص الترجمة العربية وترجمتها ، فحقق نص الترجمة العربية ونشره في باريس عام ١٨٥١[٤] .

وكذلك عهدت الجمعية الآسيوية الفرنسية إليه بتحقيق مخطوطة لكتاب « **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة** » للبيروني ، فوافق على ذلك شريطة أن يشرك معه في التحقيق البارون دي سلان ، ثم شعر فيبكه بعد فترة بأنه يستطيع أن يستقل بالعمل وحده ، فانسحب دي سلان عن طيب خاطر . ونسخ فيبكه النص العربي وحدد عدداً كبيراً من الاصطلاحات السنسكريتية التي رسمها البيروني ، بحروف عربية على نحو تقريبي ناقص . وشرع في الترجمة إلى الفرنسية ، وضبط البيانات الفلكية الواردة عند

---

(١) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص : ٢٩٣، ٢٩٤ . العقيقي : المستشرقون ، جـ٢ ، ص : ٣٧٧ . قدري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، بدون تاريخ ، ص : ٣٦٤ .
(٢) العقيقي : المستشرقون ، جـ٢ ، ص : ٣٧٧ .
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٤) بدوي : المستشرقين ، ص : ٢٩٣ .

البيروني ، لكن المنيّة عاجلته ، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره ، فتوفي عام ١٨٦٤ م [١] .

٢ - روسكا ، ج . (١٨٦٧ - ١٩٤٩ م) Ruska,J. :

مستشرق ألماني ولد في بول Bukl ، في التاسع من فبراير سنة ١٨٦٧م ، وتوفي في شرامبرج Schramberg ، في الثاني عشر من فبراير سنة ١٩٤٩م . تخصص في الجامعة في الرياضيات والعلوم الطبيعية [٢] . وبعد تخرجه عمل معلماً في المدارس الثانوية ، ثم تلقى اللغات الشرقية على برونوف Brunnow ، وبتسولد Bezold عالم الآشوريات ، وأدلبرت مركس Merx ، الذي وجهه وجهة العلوم الطبيعية عند العرب كسباً للرزق ، فانصرف عن التدريس عام ١٩١١م [٣] ، وحصل على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة برسالة عنوانها « **أبحاث في كتاب الأحجار لأرسطوطاليس** » من جامعة هيدلبرج . وفي العام التالي نشر النص العربي لهذا الكتاب ، وهو النص العربي الوحيد ، إذ لا يوجد الأصل السرياني أو اليوناني [٤] .

ثم اكتشف روسكا في جوتنجن مخطوط « **سر الأسرار** » لمحمد بن زكريا الرازي [٥] ، فدفعه ذلك إلى البحث في الكيمياء العربية وتطبيق الرازي لها ، ومعرفة متقدميه الذين أخذ عنهم ، وفي مؤلفات جابر بن حيان وخالد بن يزيد بن معاوية . وقد اشتهر روسكا باعتباره باحثاً متميزاً في العلوم الطبيعية ، فولي إدارة معهد البحوث الطبيعية في برلين سنة ١٩١٧م [٦] .

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٢) المرجع السابق ، ص : ١٩٥ .
(٣) العقيقي : المستشرقون ، جـ٢ ، ص : ٤٢١ ، ٤٢٢ .
(٤) بدوي : المستشرقين ، ص : ١٩٥ .
(٥) بدوي : دراسات ونصوص . ص ٢٢١ .
(٦) العقيقي : المستشرقون ، جـ٢ ، ص : ٤٢٢ .

وأول ما يذكر لروسكا في مجال تحقيق التراث العلمي العربي، هو تحقيقه لنص رساله جعفر الصادق في « **علم الصناعة والحجر الكريم** »، ترجمها إلى الألمانية ونشرها في هيدلبرج سنة ١٩٢٤م [١]. كما يذكر له تحقيقه لكتاب « **الماء الورقي والأرض النجمية** » لمحمد بن أميل التميمي، ونشره في مجلة OIZ سنة ١٩٣٤م [٢]، وأيضاً تحقيقه لنص كتاب « سر الأسرار » للرازي، ونشره في هيدلبرج سنة ١٩٣٧م [٣].

٣ - سخاو، إ. (١٨٤٥ - ١٩٣٠ م) Sachau, E. :

مستشرق ألماني تعلم اللغات الشرقية على ديلمان، في كيل عام ١٨٦٤م، وعلى فلايشر في ليبزيج من عام ١٨٦٥ حتى ١٨٦٧م، حيث تقدم برسالته للدكتوراه، ثم عين أستاذاً فوق العادة في ڤيينا عام ١٨٦٩، وأستاذ كرسي في برلين من عام ١٨٧٢ حتى ١٨٧٦م، وأوفدته الحكومة البروسية إلى سوريا والعراق عام ٧٩ - ١٨٨٠م. وقد أسس معهد اللغات الشرقية في برلين عام ١٨٨٨م، وعلّم فيه وقتاً طويلاً [٤].

وفي عام ١٨٦٩م طلبت لجنة الترجمات الشرقية بلندن من سخاو ترجمة كتاب « الآثار الباقية من القرون الخالية » للبيروني [٥]، فنشر النص العربي نشراً

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة. وانظر: رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: د. مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص: ٥٢.
(٢) بدوي: دراسات ونصوص، ص: ٢١.
(٣) رودي بارت: الدراسات العربية، ص: ٥٢.
(٤) العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ص: ٣٨٨.
(٥) تجدر الإشارة إلى أن المستشرق السوفيتي ميكائيل رسليه قد قام أيضاً بتحقيق هذا الكتاب (علي أحمد الشحات: أبو الريحان البيروني (حياته، مؤلفاته، أبحاثه العلمية) تقديم: د. عبد الحليم منتصر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص: ١٠٠)

سليماً، وقد عاونه فيه فيستنفلد Wustenfeld بليبزيج عام ١٨٧٦م، وبمقدمة ألمانية عام ١٨٧٨م، وبترجمة إنجليزية مع تعليقات وفهرس بلندن عام ١٨٧٩، وبترجمة فرنسية مع شروح إضافية بليبزيج عام ١٩٢٣م [١].

وطلبت الجمعية الإنجليزية من دي سلان تحقيق كتاب « **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة** » للبيروني، وكان مشغولاً عنه بغيره، فدفعه إلى سخاو، فحققه على مخطوط جيد من مكتبة شارل شيفر بلندن عام ١٨٨٧، ونشرت ترجمته بالإنجليزية في جزأين في لندن عام ١٨٨٨، كما طبع من جديد في لندن عام ١٩١٠م [٢].

وكذلك قام سخاو بتحقيق بعض فصول كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » للبيروني، ونشره في لندن عام ١٨٧٨م. كما طبع طبعة جديدة في لندن أيضاً عام ١٩١٠م. وتجدر الإشارة إلى أن المستشرق السوفيتي كرامكوف Karimav قد قام بتحقيق الكتاب كله تحقيقاً دقيقاً [٣].

وبناء على ذلك، وقف الغرب على أكبر علماء العصور الوسطى، إذ عرفه سخاو بأنه « **أعظم عقلية عرفها التاريخ** » [٤].

---

(١) العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ص: ٣٨٨. وانظر: الشحات: البيروني، ص: ١٠٠. طوقان: تراث العرب العلمي، ص: ٣١٧. حكمت نجيب: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات جامعة الموصل، بدون تاريخ، ص: ٢١٥، ٢١٦.
(٢) العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ص: ٣٨٨. وانظر: الشحات: البيروني، ص: ٨٨.
(٣) الشحات: البيروني، ص: ٩٨.
(٤) العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ص: ٣٨٨، ٣٨٩. وانظر: طوقان: تراث العرب العلمي، ص: ٣١١.

٤ - مايرهوف، ماكس (١٨٧٤ - ١٩٤٥م) Meyerhof, Max. :

مستشرق ألماني من كبار أطباء العيون العالميين [١]، ومن أعظم الباحثين في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب [٢]. ولد في ٢١ مارس عام ١٨٧٤م بمدينة هلدسهيم بألمانيا الغربية، من أسرة يهودية ألمانية عريقة، استقرت في هذه المدينة منذ عام ١٧٢٠م. وقد برز فيها كثير من العلماء من أمثال أوتو مايرهوف، الذي حصل على جائزة نوبل في الطب، وعالم المصريات فلهلم اشبيجلبرج Spiegelberg أستاذ المصريات في معظم جامعات ألمانيا [٣].

بدأ مايرهوف دراسته في هانوفر، ثم درس علم الطب في هيدلبرج وبرلين واشتراسبورج، ونال درجة الدكتوراه فيه عام ١٨٩٧م [٤]، وعين في السنة التالية مساعداً Assistant بالمعهد البكتريولوجي في اشتراسبورج. ثم عمل لمدة عام مساعداً بعيادات طب العيون في برلين وبرومبرج وبرسلاو [٥].

وفي عام ١٩٠٠م استقر بمدينة هانوفر طبيباً للعيون. وفي نفس السنة سافر بصحبة ابن عمه أوتومايرهوف إلى مصر، فكان لهذه الرحلة أثر عميق في نفس ماكس، إلى درجة أنه قرر العودة إلى مصر، فانتقل للإقامة بالقاهرة عام ١٩٠٣م. ومنذ ذلك الحين بدأ دراسة اللغة العربية باللهجة المصرية فأتقنها بعد وقت قصير، كما درس جميع اللغات المنتشرة بين الأجانب المقيمين في مصر. ثم أوقف ما تبقى له من وقت على دراسة الطب العربي [٦].

(١) العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ص: ٤٣٤.
(٢) بدوي: المستشرقين، ص ٣٧٣.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ص: ٤٣٣، ٤٣٤
(٥) بدوي: المستشرقين، ص: ٣٧٣، ٣٧٤.
(٦) المرجع السابق، ص: ٣٧٤.

وقد انتخب مايرهوف رئيساً لجمعية أطباء الرمد المصرية عام ١٩٠٩م، ونائباً لرئيس المعهد العلمي المصري بالقاهرة، ونائباً لرئيس الجمعية الملكية للطب في مصر، وعضواً شرفيًا في الكلية الدولية للجراحين. وفي عام ١٩٢٨م منحته جامعة بون الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب، وفي عام ١٩٣٠ عينته جامعة ليبزيج أستاذاً لتاريخ الطب، ولكنه آثر القاهرة. وقد عمل منذ عام ١٩٣٦م بالتدريس في كلية الآداب بالجامعة المصرية، إلى أن توفي في ٢٠ أبريل عام ١٩٤٥م، ودفن بمقابر اليهود في مصر القديمة، وقد نقشت على قبره هذه العبارة باللغة العربية: « **للعميان أعطى النور وللباحثين أضاءت حكمته** » [١].

أما إسهامات مايرهوف في تحقيق التراث العلمي العربي، فقد عُرف بتحقيقاته العلمية الدقيقة لمخطوطات الطب والصيدلة عند العرب، وهذه التحقيقات هي [٢].

١- **العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق**، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٨م.

٢- **الأسماء الطبية لجالينوس**، بترجمة حنين بن إسحاق، مع ترجمة ألمانية وشروح وتعليقات. وذلك بالاشتراك مع المستشرق الألماني جوزيف شاخت [٣].

(١) المرجع السابق، ص: ٣٧٤، ٣٧٥. وانظر: العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ص: ٤٣٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٧٦، ٣٧٧. وانظر: العقيقي: المستشرقون، جـ٢: ص ٤٣٤. بارت: الدراسات العربية، ص: ٥٢، بدوي: دراسات ونصوص، ص٣٥.
(٣) مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي. (انظر: العقيقي: المستشرقون، جـ٢، ٤٦٩-٤٧١. بدوي: المستشرقين، ص: ٢٢٥ - ٢٥٢).

٣- **خمس رسائل لابن بطلان البغدادي ولابن رضوان المصري** ، وقد صحح مايرهوف تراجم المؤلفين ونقلها إلى اللغة الإنجليزية ، وزاد عليها مقدمة وتعليقات . وكان ذلك بالاشتراك مع جوزيف شاخت . مطبوعات كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

٤- **شرح أسماء العقار** ، للشيخ الرئيس أبي عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي القرطبي ، عن المخطوط الوحيد الموجود في جامع أيا صوفيا بإستانبول برقم ٣٧١١ ، مع مقدمة بالفرنسية ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة، ١٩٤٠م .

٥- **مختصر كتاب الأدوية المفردة** ، لأحمد بن محمد الغافقي ، اختصار ابن العبري ، و كان ذلك بالاشتراك مع الدكتور چورچ صبحي ، مطبوعات كلية الطب، الجامعة المصرية . (الكراسة الأولى ١٩٣٢م ، والثانية ١٩٣٣م - أعيد طبعها ١٩٣٧م - والثالثة ١٩٣٨م) .

٦- **الرسالة الكاملية في السيرة النبوية** ، لعلاء الدين بن النفيس - بالاشتراك مع جوزيف شاخت - مع ترجمة إنجليزية ودراسة ، أكسفورد ، ١٩٦٨م .

بالإضافة إلى ما تقدم ، يذكر د. عبد الرحمن بدوي أن ماكس مايرهوف حقق كتاب البيروني « **الصيدلة في الطب** » ، وقد بدأ طبعه بالمعهد الفرنسي بالقاهرة ، ثم توقف الطبع ، ولايدري أحد ما مصير النص المحقق [1] . وعلى الرغم من ذلك ، يشير علي أحمد الشحات في كتابه عن البيروني ، إلى أن مايرهوف قد نشر كتاب « **الصيدلة في الطب** » بعد دراسة تفصيلية مع ترجمة مقدمته ، في برلين عام ١٩٣٢م [2] .

---

(١) بدوي : دراسات ونصوص ، ص : ٣٣ .

(٢) الشحات : البيروني ، ص: ٩٦ .

٥- **بولجاكوف ، ب . (المولود عام ١٩٢٧م) .Bulgokov, p :**

مستشرق روسي تخرج بفقه اللغات الشرقية على كراتشكوفسكي ، وفيكتور بلبابيف من جامعة لينجراد سنة ١٩٥١م ، واختص بتحقيق المخطوطات الجغرافية ؛ وقد عين مديراً لمركز فوكس بالقاهرة في الفترة من سنة ١٩٥٧م حتى ١٩٦٢م . [1]

وقد قام بولجاكوف بتحقيق « مختصر قانون ابن سينا » في مجموعة المخطوطات العربية من مكتبة سالينكوف - شيدرين ، ونشره عام ١٩٥٧م [2] .

كما قام بتحقيق كتاب « **تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن** » للبيروني ، ونشره معهد المخطوطات العربية عام ١٩٦٢م في طبعته الأولى ، وعام ١٩٩٥ في طبعته الثانية .

ثانيا - تحقيقات مفردة لبعض مخطوطات التراث العلمي :

١- **مختار رسائل جابر بن حيان** (ت ١٦٠هـ) :

قام هولميرد Holmyard بأول دراسة جدية لمؤلفات جابر بن حيان العربية ، ونشر بعض رسائله . وجاء بول كراوس P.Krows فتوفر على دراسة جابر دراسة شاملة ، حتى إن جهوده العلمية تركزت - إلى جانب عنايته بمحمد بن زكريا الرازي [3] - على جابر بن حيان ، حتى صار أعظم حجة في كل مايتعلق به وبالكيمياء عند العرب بعامة [4] .

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، جـ٣ (طبعة ١٩٨١م) ص: ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق ، جـ٣، ص: ١٠٩ .

(٣) بدوي : دراسات ونصوص ، ص: ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص: ١٨ .

وكانت ثمرة عناية كراوس برسائل جابر بن حيان ، أن حقق مجموعة من هذه الرسائل ونشرها في القاهرة عام ١٩٣٥م بمكتبة الخانجي ، بعنوان « **مختار رسائل جابر بن حيان** » [١] . وفي هذا الكتاب نشر فصولاً رئيسة من كتب جابر ، كما نشر رسائل كاملة ؛ واهتم بأن تكون هذه النصوص ممثلة لمختلف نواحي مذهب جابر ؛ ففيها نماذج لأبحاثه في الكيمياء ، وأخرى لأبحاثه في الفيزياء ، كما أنها تشتمل على نصوص تتعلق بالأمور الدينية [٢] .

٢ - كتاب « جوامع علم النجوم والحركات السماوية » للفرغاني (ت٢٤٧هـ) .

يذكر نللينو أن يحيى الإشبيلي قد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية عام ١١٣٥م ، وأن هناك أيضاً ترجمة لاتينية أخرى تمت على يد جيراردو الكريموني [٣] .

وقد طبعت ترجمة يوحنا الإشبيلي في فرّارا عام ١٤٩٣م ، وفي نورمبرج عام ١٥٣٧م ، وفي باريس عام ١٥٤٦م ؛ وأعاد نشرها كرمودي F.J.Carmody في باركلي عام ١٩٤٣م .

أما ترجمة جيراردو فنشرها R.Campani بمدينة كستلّو عام ١٩١٠ م . وقد ترجمه أيضاً يعقوب الأناضولي إلى العبرية .

وكان هذا الكتاب في ترجمته اللاتينية أوسع كتب الفلك العربية انتشاراً في أوربا لسهولته ووضوحه [٤] .

---

(١) بدوي : المستشرقين ، ص : ٣٢٦

(٢) بدوي : دراسات ونصوص ، ص : ١٩

(٣) كارلو نللينو : علم الفلك : تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، روما ، ١٩١١م ، هامش ص : ٢٣ . وانظر : د. ماهر عبد القادر : التراث والحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بدون تاريخ ، ص : ٦٤ .

(٤) بدوي : المستشرقين ، ص : ١٢٧ . وانظر : بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ص : ١٩ .

وقد اشتغل جوليوس ، ج . (١٥٩٦ - ١٦٦٧م) Golius, J. - وقتاً كبيراً في إعداد نشرة للنص العربي للكتاب - « **جوامع علم النجوم** » - بتفسير الشيخ الفاضل يعقوب غوليوس . وصدرت هذه النشرة في أمستردام سنة ١٦٦٩م ، أي بعد وفاة جوليوس بعامين . وقد زوده بترجمة لاتينية وشروح مستفيضة - باللغة اللاتينية أيضاً - تنتهي في الفصل التاسع ، لأنه توفي دون أن يتم الشرح [١] .

٣ - كتاب «الحصى في الكلى والمثانة» لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت٣١٣هـ) :

قام دي كوننج De Koning بنشر النص العربي لكتاب « **الحصى في الكلى والمثانة** » مع ترجمة فرنسية في ليدن سنة ١٨٩٦ م ، عن نسخة مخطوطة في ليدن نفسها [٢] .

٤ - كتاب « الزيج » للبتاني (ت ٣١٧هـ) :

نشر كارلو نللينو Carlo Nallinp زيج البتاني ، وترجمه وعلق عليه ، استناداً إلى المخطوطة الوحيدة لهذا الكتاب بالإسكوريال . وقد بين المصادر اليونانية واللاتينية والفهلوية والهندية التي أخذ عنها الفلكيون العرب نظرياتهم . ويقع هذا العمل في ثلاثة مجلدات ضخمة ، تقع في ١١٣١ صفحة . وبهذا العمل الفذ صار نللينو أكبر حجة في تاريخ الفلك عند العرب [٣] .

٥ - كتاب « الجراحة » لأبي القاسم خلف الزهراوي (ت ٤٠٤هـ) :

كان لكتاب الزهراوي في الجراحة أثر كبير في أوربا حتى القرن الثامن عشر [١] ، فقد ترجم هذا الكتاب في وقت مبكر إلى اللاتينية والعبرية ، ففي النصف

---

(١) بدوي : المستشرقين ، ص : ١٢٧ .

(٢) حكمت نجيب : دراسات في تاريخ العلوم ، ص : ٥١ .

(٣) بدوي : دراسات ونصوص ، ص : ٤٤ .

(٤) أمين توفيق الطيبي : كتاب الجراحة لأبي القاسم الزهراوي (بحث ضمن المؤتمر السنوي التاسع لتاريخ العلوم عند العرب) منشورات جامعة حلب ، ومعهد التراث العلمي العربي ، حلب ، ١٩٨٥ ، ص : ١٦٧ .

الثاني من القرن الثاني عشر ، ترجم الكتاب إلى اللاتينية في مدينة طليطلة جيراردو الكريموني . كما قام الجراح الفرنسي جاي دي شارلياك Cuy de Charlic عام ١٣٦٣م ، بجعل الترجمة اللاتينية لمقالة الزهراوي في الجراحة ملحقاً لأحد مؤلفاته Chirurgia magna ، وقد طبعت ترجمة جيراردو الكريموني لكتاب الزهراوي في البندقية لأول مرة عام ١٤٩٧م ، ثم عام ١٤٩٩ و ١٥٠٠ ؛ وفي بازل بسويسرا عام ١٥٤١م . وفي القرن الخامس عشر ظهرت لمقالة الزهراوي ترجمة باللغة التركية، أهديت للسلطان محمد الثاني [١] .

أما أول تحقيق حديث لكتاب « الجراحة » وترجمه إلى اللغة اللاتينية ، فقد ظهر في أكسفورد بإنجلترا سنة ١٧٧٨م ، على يد جون تشاننج John Channing ، غير أن الترجمة لم تكن دقيقة ، إذ إنه لم يكن طبيباً ، كما أنه اعتمد في التحقيق على مخطوط واحد للكتاب من مدينة حلب بسوريا [٢] .

وقد تولى معهد ويلكوم لتاريخ الطب نشر النص العربي لكتاب « الجراحة » للزهراوي ، ومقابلته بالترجمة الإنجليزية التي صدرت في لندن عام ١٩٧٣م ، بعنوان : Abbuxcasis, on Surgerg and instruments ، وتعاون في إخراجها وترجمتها والتعليق عليها والتقديم لها المستشرق م . س ، سبينك M.S.Spink ، واعتمدا فيها على سبع مخطوطات لمقالة الزهراوي في الجراحة : أربع من تركيا واثنتين من مكتبة بودليان بجامعةأكسفورد ، وواحدة من بتنا بالهند [٣] .

(١) المرجع السابق ، ص : ١٧٢ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) المرجع السابق ، ص : ١٧٣ .

٦ – كتاب « تربيع الدائرة » لابن الهيثم (ت ٤٣٠هـ) :

نشر سوتر Suter النص العربي لكتاب « تربيع الدائرة» لابن الهيثم ، وترجمه إلى الألمانية في مجلة الرياضيات والفيزياء سنة ١٨٩٩م [١] .

٧ – كتاب « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » لأبي الريحان البيروني (ت ٤٤٢هـ) :

نشره رمزي رايت Ramsay Wriight في لندن سنة ١٩٣٤م مع ترجمة إنجليزية [٢] .

٨ – كتاب « في معرفة الحيل الهندسية » لابن الرزاز الجزري :

قام ر . هل R.Hill بتحقيق هذا الكتاب وترجمه إلى الإنجليزية مع تعليقات ، وكذلك مقدمة كتبها L. White سنة ١٩٧٤م [٣] .

ثالثاً – منهجية تحقيق التراث العربي العلمي عند المستشرقين :

(ألبرت دياتريش نموذجاً)

قام المستشرق الألماني ألبرت دياتريش Albert Dietrich [٤] بتحقيق مخطوط « **شرح كتاب دياسقوريدس في هيولي الطب** » في جزأين ، وقد نشره بمدينة جوتنجن بألمانيا الغربية عام ١٩٨٨م .

(١) بدوي : دراسات ونصوص ، : ٤٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص : ٤٦
(٣) المرجع السابق ، ص : ٥١
(٤) مستشرق ألماني ولد في هامبورج عام ١٩١٢م ، وتعلم في جامعتها وجامعة توبنجن على الأساتذة : ليتمان وشتروثمان وشاده . وحصل على الدكتوراه عام ١٩٣٧م . (العقيقي : المستشرقون ، جـ٢ ، ص : ٤٤٧) .

ويشتمل الجزء الأول على تحقيق المخطوطة ، ويقع في ٢١٦ صفحة ، ويشتمل الجزء الثاني - ويقع في ٧٥٢ صفحة - على ترجمة للنص العربي ومقدمة طويلة لدياتريش عن النص وما حوله [(١)] .

وترجع أهمية نموذج دياتريش الذي اخترناه هنا ، إلى أنه يلتزم بالمبادئ العامة لكيفية تحقيق التراث العلمي تحقيقاً علميًا دقيقاً ، وهي [(٢)] .

١ - تحقيق نسبة النص إلى من هو منسوب إليه ، حيث بين دياتريش كيف أن النص المقدم شرح غير معنون لكتاب الحشائش في هيولي الطب لدياسقوريدس المشهور . كما بيّن أن ثلاثة من المؤلفين اشتركوا في هذا الشرح ، وهم :

(أ) سليمان بن حسان بن جلجل القرطبي ، الذي قام بتفسير أسماء الأدوية المفردة المذكورة في كتاب الحشائش .

(ب) عبد الله بن صالح ، وهو أحد معلمي ابن البيطار ، ويتعرض للأدوية بالوصف والتعريف .

(جـ) ابن الرومية تلميذ عبد الله بن صالح ، وهو يقدم بعض الملاحظات المكملة لما كتبه أستاذه .

والنسخة التي اعتمد عليها نسخة فريدة لا يعرف غيرها ، وهي موجودة بالكتابخانه نوري عثمانية في إستانبول ، مجموعة برقم ٣٥٨٩، ويرجع تاريخ كتابتها إلى عام ٦٦٨هـ .

٢ - الحصول على نسخ أخرى أو شروح يستقى منها النص الأصلي مع تمييزه عن الشرح ، والقيام بمطابقة أو مقابلة النصوص للحصول على نص كامل . ولذلك لم يكتف دياتريش بالمخطوطة وإنما قابلها على مخطوطات أخرى ، ليتمكن من

(١) د. محمد عوني عبد الرءوف : من صور الاستشراق الألماني ، ص : ٢٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ .

تصويب الأخطاء الإملائية ، وفي رسم بعض الكلمات العربية ، وأسماء العقاقير . ولهذا رجع إلى نسختين أخريين ورد فيهما تفسير ابن جلجل ، وهما :

(أ) نسخة برقم ١٥٢٨/ ١٠ في كتابخانه مجلس شوراي ملي في طهران ، ومحتواها مختصر ناقص .

(ب) نسخة برقم ٤٤٨٩١ في دار الكتب الوطنية في مدريد ، وهي مبتورة الأول ، وتحتوي على عشر أوراق تفسيراً للنصف الثاني من المقالة الثالثة والرابعة .

٣- عدم الوقوع في أسر النص أو الصدق المطلق بما أورده المؤلف اكتفاءً بعلو مكانته . ولذلك رجع دياتريش إلى كتب أخرى للتأكد من صحة ما ورد بالمخطوطة ، وهي :

(أ) الأدوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي ، نسخة الرباط (الخزانة العامة) برقم ١٥٥ .

(ب) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار ، طبعة بولاق عام ١٢٩١ هـ.

(جـ) تفسير كتاب دياسقوريدس لابن البيطار ، نسخة مكة - الحرم الشريف ، برقم ٣٦/ ٢ طب .

(د) الحشائش لدياسقوريدس : المقالات السبع من كتاب دياسقوريدس ، وهو هيولي الطب في الحشائش والسموم ، ترجمة إسطفان بن بسيل ، وإصلاح حنين بن إسحاق ، تحقيق سيزر دوبلر وإلياس تيريس ، تطوان وبرشلونة ١٩٥٢ - ١٩٥٧م .

(هـ) كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق أوغوست موللر ، القاهرة - كونبغريغ ، عام ١٨٨٢-١٨٨٤م .

(و) رينهارت دوزي Reinnhhart Dozzy : تكملة أو ملحق المعاجم العربية جزآن ، ليدن - باريس ، عام ١٨٨١م .

٤- عدم التواني في طلب ما يحتاجه لإكمال عمله مهما لاقى في ذلك من عَنت ومشقة وطول بحث ، حتى تكتمل بين يديه الأصول أو المصادر المعرفية اللازمة للتحقيق العلمي الدقيق . لذلك رجع دياتريش إلى علماء متخصصين من مختلف الدراسات اللغوية والطبيعية ليفيد من نصحهم ، مسترشداً بمعلوماتهم في حل الكثير من مواضع الغموض في المخطوطة .

٥- الإلمام بقصور فهم النقلة وجهل النساخ بمقصود النص .

٦- الاجتهاد في تسديد وإكمال ما يشوب النص من نقص وعيوب ، بالاستعانة بالكتابات الأخرى للمؤلف أو الشراح ، وأيضاً بأصول فرع العلم الذي ينتمي إليه النص .

٧-القيام بعمل الفهارس اللازمة للتحقيق . ولذلك يورد دياتريش في نهاية الجزء الخاص بالتحقيق فهرس أسماء الأدوية بالحروف العربية ، ويليه فهرس الأماكن والبلدان والأمم ، وفهرس أسماء الرجال ، وأسماء الكتب الواردة في متن النص .

٨- وضع نماذج مصورة لبعض صفحات المخطوطات المستخدمة في التحقيق . ولذلك يأتي دياتريش بعد فهارس التحقيق باثنتي عشرة صورة لبعض صفحات المخطوطات التي استخدمها في التحقيق .

وإذا نظرنا في الدراسة التي قدمها دياتريش حول النص المحقق ، وجدناه يبذل جهداً كبيراً بما قدمه من دراسات حول النص ، تمثل في ما يلي (١) :

١ - تمهيد في مسميات العائلات النباتية التي ورد ذكرها بالمخطوطة .

٢ - مدى إسهام المسلمين في تطور علم الأقرباذين .

٣ - ملاحظات حول الأسماء والمصطلحات الواردة بالمخطوطة .

٤ - ملاحظات حول بعض مقالات الأدوية ، وكيف أنها ليست متساوية المحتوى .

٥ - ملاحظات حول دياسقوريدس صاحب الأصل المترجم .

٦ - ترجمة حياة كل من ابن جلجل وعبد الله بن صالح وابن الرومية .

٧ - ملاحظات على المصادر التي استقى منها مترجمو كتاب دياسقوريدس والمراجع التي رجعوا إليها وذكروا أسماء مؤلفيها .

٨ - تحليل طريقة المؤلف في عرض محتويات المخطوطة .

٩ - ملاحظات على بناء مقال العقاقير .

١٠- ملاحظات على شروح المخطوطة .

١١- ملاحظات على اللغة والأخطاء اللغوية وسوء فهم دلالة بعض الكلمات .

١٢- ملاحظات على ترجمة الأصل .

١٣- معجم لكلمات عربية مختارة من النص .

وبناءً على ما تقدم ، فإن نموذج دياتريش في التحقيق والدراسة يعد مثالاً لما يجب أن يكون عليه التحقيق في حقل التراث العلمي .

(١) المرجع السابق ، ص ٣١-٣٧ .
(٢) الحاجري : تحقيق التراث ، ص: ١٩ .

خاتمـــة

في ظل هذا البحث نؤكد ضرورة الاستفادة من تجربة المستشرقين في خدمة التراث العلمي العربي وتحقيقه، وتجاوز النقائص والعيوب التي وقعوا فيها. ولذلك فإن محقق التراث العلمي يجب أن تتوافر فيه الشروط أو الصفات الآتية:

١ - أن يكون عالماً بموضوع النص الذي يحققه.

٢ - أن يكون عارفاً بالأساليب المتبعة في معالجة ذلك الموضوع، والأسلوب الغالب على العصر الذي ينتمي إليه ذلك النص، من ناحية صياغة الجملة، والمفردات الشائعة، والأخطاء الغالبة.

٣ - أن يكون متمرساً بقراءة الخطوط المختلفة، مشرقية ومغربية، أو على الأقل خطوط نُسخ النص التي بين يديه.

٤ - أن يكون متمكناً من اللغة العربية، لاسيما اللغة العلمية والمصطلحات الخاصة التي استعملها علماء العرب.

ومن البديهي أن يتعرض المحقق لدراسة النص - موضوع التحقيق - على أسس علمية صحيحة، ولمناقشة كل النظريات والأفكار العلمية التي يحتوي عليها النص المحقق وتحليلها، ولمقارنتها بالنظريات والنتائج العلمية الحديثة والمعاصرة، وذلك بهدف تحقيق التراث العلمي بصورة علمية دقيقة، حتى يكون بمثابة الخلفية الضرورية التي تمكننا من مسايرة تطور الفكر العلمي المعاصر بكل ما يطرحه من إشكاليات نظرية وعملية، من ناحية، وتجعلنا أقدر على بناء فكرنا المعاصر وصنع تراثنا الخاص من ناحية أخرى.

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. ماهر عبد القادر:**

النص العلمي يحتاج في تحقيقه إلى ثلاث عقليات: عقلية المحقق الذي يقوم بإجراء مقابلات ومقارنات بين النسخ بعد جمعها والحصول عليها، ولا يشترط فيها سوى الدراية والمعرفة بكيفية المقارنة والمقابلة والتثبت من النسخ... إلخ، أي أنها تخضع إلى مجموعة الشروط العامة الواجب توافرها في المحقق عموماً.

العقلية الثانية هي العقلية المتخصصة في مجال المخطوط، فمخطوط في الرياضة يحققه متخصص في هذا العلم.. وهكذا. ومعلوم أن بعض المستشرقين الذين عملوا في هذا المجال قد أُعدوا إعداداً كاملاً في تخصصاتهم، فكانوا أدرى بالنظريات التي تحتويها هذه المخطوطات، ومن ثم كانوا أدرى بمكانتها، فاستطاعوا أن يتتبعوا هذه النظريات ويفصلوها ويقيموها. أما نحن فلا نستطيع أن نتحقق أو نتثبت من مثل هذه التفاصيل حتى الآن، نظراً لندرة المتخصصين.

ولا ينبغي أن نعمم، فثمة باحثون ومحققون عرب يملكون مثل هذه القدرات ولهم مساهمات طيبة.

نحتاج ثالثًا إلى مترجم، وكنت أتحدث منذ قليل مع د. فيصل و د. أيمن في هذه المسألة، مسألة الحاجة إلى مترجم يترجم المخطوط العلمي إلى لغة من اللغات الحية، سواء أكانت الإنجليزية أم الفرنسية أم الألمانية، حتى نستطيع أن نعرّف العالم بتراثنا وما فيه. بعض النماذج أشرنا إليها في بحث الأمس، لكن هناك نموذج حديث في نشرة كتاب «مسائل العين» لحنين بن إسحاق، فقد اشترك في تحقيقه أربعة من الأساتذة الأجلاء، أستاذي د. محمد علي أبو ريان، وهو أستاذ فلسفة وتاريخ علم، و د. محمد مرسي عرب، وهو أستاذ أمراض باطنة في كلية الطب

خاتمـــة

في ظل هذا البحث نؤكد ضرورة الاستفادة من تجربة المستشرقين في خدمة التراث العلمي العربي وتحقيقه، وتجاوز النقائص والعيوب التي وقعوا فيها. ولذلك فإن محقق التراث العلمي يجب أن تتوافر فيه الشروط أو الصفات الآتية :

١ - أن يكون عالماً بموضوع النص الذي يحققه .

٢ - أن يكون عارفاً بالأساليب المتبعة في معالجة ذلك الموضوع، والأسلوب الغالب على العصر الذي ينتمي إليه ذلك النص، من ناحية صياغة الجملة، والمفردات الشائعة، والأخطاء الغالبة .

٣ - أن يكون متمرساً بقراءة الخطوط المختلفة، مشرقية ومغربية، أو على الأقل خطوط نُسخ النص التي بين يديه .

٤ - أن يكون متمكناً من اللغة العربية، لاسيما اللغة العلمية والمصطلحات الخاصة التي استعملها علماء العرب .

ومن البديهي أن يتعرض المحقق لدراسة النص - موضوع التحقيق - على أسس علمية صحيحة، ولمناقشة كل النظريات والأفكار العلمية التي يحتوي عليها النص المحقق وتحليلها، ولمقارنتها بالنظريات والنتائج العلمية الحديثة والمعاصرة، وذلك بهدف تحقيق التراث العلمي بصورة علمية دقيقة، حتى يكون بمثابة الخلفية الضرورية التي تمكننا من مسايرة تطور الفكر العلمي المعاصر بكل ما يطرحه من إشكاليات نظرية وعملية، من ناحية، وتجعلنا أقدر على بناء فكرنا المعاصر وصنع تراثنا الخاص من ناحية أخرى .

* * *

تعقيبات ومداخلات

■ **د. ماهر عبد القادر:**

النص العلمي يحتاج في تحقيقه إلى ثلاث عقليات : عقلية المحقق الذي يقوم بإجراء مقابلات ومقارنات بين النسخ بعد جمعها والحصول عليها، ولا يشترط فيها سوى الدراية والمعرفة بكيفية المقارنة والمقابلة والتثبت من النسخ . . . إلخ، أي أنها تخضع إلى مجموعة الشروط العامة الواجب توافرها في المحقق عمومًا .

العقلية الثانية هي العقلية المتخصصة في مجال المخطوط، فمخطوط في الرياضة يحققه متخصص في هذا العلم . . وهكذا . ومعلوم أن بعض المستشرقين الذين عملوا في هذا المجال قد أُعدوا إعدادًا كاملاً في تخصصاتهم، فكانوا أدرى بالنظريات التي تحتويها هذه المخطوطات، ومن ثم كانوا أدرى بمكانتها، فاستطاعوا أن يتتبعوا هذه النظريات ويفصلوها ويقيموها . أما نحن فلا نستطيع أن نتحقق أو نتثبت من مثل هذه التفاصيل حتى الآن، نظرًا لندرة المتخصصين .

ولا ينبغي أن نعمم، فثمة باحثون ومحققون عرب يملكون مثل هذه القدرات ولهم مساهمات طيبة .

نحتاج ثالثًا إلى مترجم، وكنت أتحدث منذ قليل مع د. فيصل و د. أيمن في هذه المسألة، مسألة الحاجة إلى مترجم يترجم المخطوط العلمي إلى لغة من اللغات الحية، سواء أكانت الإنجليزية أم الفرنسية أم الألمانية، حتى نستطيع أن نعرّف العالم بتراثنا وما فيه . بعض النماذج أشرنا إليها في بحث الأمس، لكن هناك نموذج حديث في نشرة كتاب « مسائل العين » لحنين بن إسحاق، فقد اشترك في تحقيقه أربعة من الأساتذة الأجلاء، أستاذي د. محمد علي أبو ريان، وهو أستاذ فلسفة وتاريخ علم، و د. محمد مرسي عرب، وهو أستاذ أمراض باطنة في كلية الطب

- جامعة الإسكندرية ، و د. جلال موسى ، وهو من محققي التراث ، ثم د. پول غليونجي ، الثلاثة الأوائل قاموا بتحقيق المخطوط في نصه العربي ودراسته . أما پول غليونجي فقام بترجمة المخطوط - نصًا ودراسة - ترجمة كاملة إلى اللغة الإنجليزية ، وقد نشر الكتاب معهد سيما سونيام في الولايات المتحدة الأمريكية .

مثل هذه الأعمال لا ينهض بها إلا المؤسسات ، والأفراد لا يستطيعون أن يقدموا على مثل هذا العمل لتكلفته الباهظة ، بالإضافة إلى روح الفريق ، وهذه هي المسألة التي أشار إليها أ. عصام الشنطي في بحثه ، فقد أكد ضرورة نهوض المعاهد التراثية المنتشرة في البلدان العربية بالأعباء الكاملة لمثل هذه العمليات التي تحتاج إلى إصدار نشرات دورية وعقد مؤتمرات . . . إلخ ، نحن بحاجة إذن لمعرفة النظريات الموجودة في المخطوط العلمي الذي نريد نشره ، ومدى صلة هذه النظريات بالنظريات الغربية .

من الأمور المهمة التي أشار إليها بحث أ. عصام مجموعة المقترحات التي تقدم بها ، فقد أوحى ذلك لي بفكرة معينة : لمَ لا يقوم معهد المخطوطات العربية بتأسيس جمعية علمية للتراث ، يعد كل المشاركين والمساهمين في هذه الندوة أعضاء مؤسسين لها وتكون عضويتها مفتوحة ؟ وبذلك يمكن أن نوفر مناخًا مناسبًا لنوع من التعاون بين الباحثين .

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

لدي بعض الملاحظات على بحث د. عباس سليمان ، منها أنه تحدث عن جمعية النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمان ، وأن المشرف عليها هو هلموت ريتر . والحقيقة أنه مؤسس هذه السلسلة عام ١٩٣١ ، وقد توفي عام ١٩٦١ ، وخلفه في الإصدار الأستاذ ألبرت ديتْرش ، ثم أصبحت تصدر عن رئيس جمعية المستشرقين الألمان ويعاونه مدير المعهد الألماني للأبحاث العربية ببيروت ، ويثبت اسمهما على الدورية .

ألبرت ديترش ورد اسمه في البحث على أنه دياترش ، والصحيح هو ديتْرِيش وكان يكتب اسمه على الكتب التي تحتوي على جزء بالعربية هكذا : « ديتريش » ، وهو في الأساس متخصص في علم البرديات .

قضية التخصص في التحقيق التي أشار إليها د. ماهر ، مطلوبة في كل التحقيقات ، فلا يستطيع أحد أن يتصدى لتحقيق كتاب في التصوف وهو غير مشتغل بالتصوف ، أو في الفقه وهو غير مشتغل بالفقه ، لأن القضية ليست ضبط النص فحسب ، بل قضية معرفة المظان ومعرفة الحقائق ومقابلة الأشياء بعضها مع بعض .

أ. عصام قدم لنا بحثًا جيدًا كعادته ، وكنتُ أتمنى أن يكون عنوان بحثه اليوم «جهود المؤسسات العربية والإسلامية في خدمة التراث العلمي » ، لأن من بين المؤسسات السبع التي ذكرها خمسًا عربية واثنتين إسلاميتين ، فمؤسسة الفرقان تسمى نفسها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، وفؤاد سزكين يسمي معهده معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، كما أن فؤاد سزكين ليس عربيًا بل هو تركي مسلم .

وتناول أ. عصام في بحثه بالترتيب معهد التراث العلمي بجامعة حلب ، ومركز التراث العلمي العربي ببغداد ، ومعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، وهذا المعهد أرى أنه المعهد الحقيقي الذي يقوم بدور نشر التراث العلمي وغير العلمي ، وحجم إصداراته حتى سنة ١٩٩٥ يمثلها « الكاتالوج» الذي أصدره المعهد ، ويحدد حجم المخطوطات والمصورات وعدد المطبوعات التي أصدرها المعهد ، سواء عبر سلاسل أساسية أو سلاسل مقارنة ، إضافة إلى سلسلة مهمة جداً هي سلسلة الجغرافيا الإسلامية ، ونحو ٢٥٠ مخطوطة مصورة لأهم مخطوطات المصادر المنشورة وغير المنشورة في المكتبات العالمية ، وبعضها استكمل

مخطوطات موزعة على أكثر من مكتبة ونشرها في طبعة طبق الأصل عن المخطوط الأصلي . ومما أصدره هذا المعهد مجموعة تصل إلى ٢٥٠ عنوانًا آخر في الطب الإسلامي ، ومنها طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي ابن جلجل ، وهو الكتاب الذي نشره والدي رحمه الله عام ١٩٥٥ ، وصدر عن المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

والمؤسسة الرابعة هي معهد المخطوطات العربية الذي نجتمع في كنفه الآن ، وأشار أ . عصام إلى أهمية دوره في نشر التراث العلمي وغير العلمي من خلال نشرات مستقلة ، أو من خلال أعداد مجلته .

ثم الجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، وهي جمعية تعنى بالإصدارات التراثية ، ولكن تعنى بدراسة الإصدارات الخاصة بتاريخ العلوم وتطور الفكر الإنساني وتصدر مجلة .

ثم أشار إلى مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن ، وأخيرًا مركز بحوث ودراسات العلوم الطبيعية التابع لجامعة القاهرة ، وهو مركز ناشئ ، حتى إنه يفتقر إلى موازنة خاصة ، وخطة واضحة حتى الآن .

الحقيقة أن التوصيات التي ذكرها أ . عصام في غاية الأهمية ، ويجب أن تأخذ مكانًا في التوصيات التي ستخرج بها هذه الندوة ، وعلى الأخص ضرورة تدريس مادة تاريخ العلوم في الجامعات العربية مع عناية خاصة بالحقبة العربية ، وهي توصية أشار إليها جميع المتحدثين .

■ **حسن أحمد خليل :**

أشار أ . عصام إلى ضرورة أن تخرج المؤسسات من حدودها الأكاديمية إلى طبقة المثقفين والدارسين والشباب والجمهور ، وتقدم لهم دراسات التراث العلمي بأسلوب مبسط ، وأنا أتساءل : هل نحن الآن بحاجة إلى التبسيط أم إلى النشر ؟

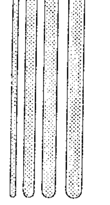
■ **عصام محمد الشنطي :**

التراث الإسلامي تراث عربي ثم إسلامي من جانب آخر ، فارسي أو تركي أو غيره ، وعلى العموم أنا لم أضع عنوان البحث وإنما من قام بوضعه هو المعهد ، والفصل غير ممكن ، فالإسلام لا ينفصل عن العروبة ، ولكن من وضع هذا العنوان وضع الندوة أصلاً وهو المعهد الناشئ والمنبثق عن جامعة الدول العربية ، وأعتقد أن العنوان ليس بخطأ وليس بحاجة إلى تعديل أو إضافة . فمؤسسة الفرقان بلندن للدراسات الإسلامية هي أيضًا مؤسسة عربية ، التراث العربي واللغة العربية ينصب عليهما جل إنتاج مؤسسة الفرقان ، فهي إذن عربية من ناحية دائرة اهتمامها وعملها .

عندما قلت : إن المؤسسات تخرج إلى الجمهور والمثقفين لم أكن أعني أن تتوقف عن عملها الأساسي ، فلابد أن يستمر الخط الأول . نحن بحاجة إلى خط موازٍ يخرج إلى الشارع يقدم الثقافة العلمية العربية المبسطة ، وليس في ذهني طريقة للتبسيط ، ولكن لابد من تكوين لجنة متخصصة لتنتهي إلى طريقة ، وبالطبع الطريقة المبسطة التي تصلح للجمهور قد لا تصلح للمثقف ، نريد تبسيطًا ذا مستوى أعلى للمثقف ، ولكن هذا لا يعطل الخط الأساسي لتحقيق النصوص أولاً ، ثم دراستها وربطها ببعضها ، لبناء تاريخ دقيق ومنهجي للتراث العلمي العربي .

* * *

الجلسة الختامية



كلمة الختام

د. أحمد يوسف أحمد محمد

لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر وعميق الامتنان إلى جميع من أسهموا في هذه الندوة ، الأساتذة الباحثين، ورؤساء الجلسات، والمعقبين، وأصحاب المداخلات، والحضور . هؤلاء جميعاً كوّنوا منظومة رفيعة ، ساهمت في تحقيق الغاية من النـدوة .

الأخ العزيز د. فيصل الحفيان أعد خلاصة حول أهم التوصيات التي نبعت من البحوث والتعقيبات والمداخلات ، وإن كنت أسمح لنفسي بأن أقول : إن هناك بؤرًا أساسية دارت حولها هذه التوصيات .

إن قضية السعي نحو المزيد من التعريف بخارطة التراث العلمي العربي تعد مسألة محورية بدت واضحة تماماً . وأتصور أن هذا التعريف يحتاج تنسيقاً ، ومن ثم فإن جهود التنسيق قد برزت كمطلب ملحٍّ للمشاركين في الندوة ، والتنسيق يرتبط ، بطبيعة الحال ، بتوفير أطر مؤسسية ، وقد وصل الأمر بالأستاذ عصام الشنطي إلى المطالبة بتكوين اتحاد عربي لتاريخ العلوم ، في حين طالب د. ماهر عبد القادر بتكوين جمعية علمية في هذا الصدد ، وكل هذه الأمور أحسب أن المعهد سوف يهتم بها على الأقل من خلال الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي ، التي شكلها منذ سنوات ، والتي تعقد اجتماعاتها بانتظام ، وأحسب أن هذه النقطة سوف تكون بندًا مهمًا في جدول أعمال هذه الهيئة في اجتماعها القادم سنة ٢٠٠٠ .

قضية التمويل برزت أيضاً ، وكانت أكثر وضوحاً عند الأستاذ عصام الشنطي ، لأنه من آل هذا البيت ، ولأنه يعرف أبعادها استدرك قائلاً : إن العبء هو عبء الدعوة وليس عبء التمويل . دعوني أصارح حضراتكم أن مشكلة

التمويل مشكلة حقيقية ، ويتصور البعض أن هناك حلولاً سهلة لهذه المشكلة ، فالدكتور عبد الفتاح غنيمة أثار بالأمس مساهمة شركات الدواء . كل هذه الأمور جربناها مع جهات عديدة ، ولكن المشكلة قائمة .

إن منظومة العمل العربي المشترك تعاني من شح في التمويل ، والجهات التي لديها أموال تحب أن تصرفها في مصارف معينة ، إما بعيداً عن غايتنا ، وإما في هذه الغايات من وجهة نظر محددة . إذن علينا أن نبذل مزيداً من الجهود باتجاه حل مشكلة التمويل .

والآن أترك المجال للدكتور فيصل الحفيان منسق الندوة ليعرض خلاصة لأهم الأفكار والتوصيات التي خلصت إليها الندوة ، وسيسعى المعهد قدر استطاعته إلى أن يضعها موضع التطبيق .

* * *

التقرير الختامي والتوصيات

د. فيصل الحفيان

على مدى يومي الاثنين والثلاثاء ٦ ، ٧ من ديسمبر ١٩٩٩ ، عقد المعهد ندوة قضايا المخطوطات ، وهي الندوة السنوية الثالثة ، تحت عنوان «التراث العلمي العربي : مناهج تحقيقه وإشكالات نشره» . وقد شارك في هذه الندوة التي عقدت بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية خبراء وأساتذة ومتخصصون في قضايا التراث العربي عامة، والتراث العلمي خاصة . وكان ضيفا الندوة د. مصطفى موالدي وكيل معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب (سوريا) سابقًا ، والدكتور عبد الكريم عوفي أستاذ اللغويات بجامعة باتنة (الجزائر) . واعتذر عن عدم الحضور الأستاذ محمد إبراهيم الشيباني مدير مركز التراث والمخطوطات والوثائق (من الكويت)، ود. حازم البكري الصديقي (من العراق) .

عُنيت الندوة بمحورين، هما : مكانة التراث العلمي العربي وخصوصيته ، وشغلت به الندوة في يومها الأول ، ونشر التراث العلمي العربي وخدمته، وشغلت به الندوة في يومها الثاني .

بلغت عدة جلسات الندوة ست جلسات ، كان منها الجلستان الافتتاحية والختامية . وقد رأس الجلسات العلمية د. محمود فهمي حجازي عضو مجمع اللغة العربية وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد ، د. علي عبد الفتاح وزير الصحة المصري سابقاً ، د. عبد الله محارب المستشار الثقافي بسفارة الكويت في القاهرة، والأستاذ إبراهيم الترزي أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد .

بدأت الجلسة الافتتاحية بكلمة للدكتور أحمد يوسف أحمد محمد ، رَحَّب فيها بالحضور وضيوف الندوة الذين تجشموا مشقة السفر ، وأشار إلى أن هذه الندوة أصبحت تقليداً راسخاً في عمل المعهد .

التمويل مشكلة حقيقية ، ويتصور البعض أن هناك حلولاً سهلة لهذه المشكلة ، فالدكتور عبد الفتاح غنيمة أثار بالأمس مساهمة شركات الدواء . كل هذه الأمور جربناها مع جهات عديدة ، ولكن المشكلة قائمة .

إن منظومة العمل العربي المشترك تعاني من شح في التمويل ، والجهات التي لديها أموال تحب أن تصرفها في مصارف معينة ، إما بعيدًا عن غايتنا ، وإما في هذه الغايات من وجهة نظر محددة . إذن علينا أن نبذل مزيدًا من الجهود باتجاه حل مشكلة التمويل .

والآن أترك المجال للدكتور فيصل الحفيان منسق الندوة ليعرض خلاصة لأهم الأفكار والتوصيات التي خلصت إليها الندوة ، وسيسعى المعهد قدر استطاعته إلى أن يضعها موضع التطبيق .

* * *



التقرير الختامي والتوصيات

د. فيصل الحفيان

على مدى يومي الاثنين والثلاثاء ٦ ، ٧ من ديسمبر ١٩٩٩ ، عقد المعهد ندوة قضايا المخطوطات ، وهي الندوة السنوية الثالثة ، تحت عنوان «التراث العلمي العربي : مناهج تحقيقه وإشكالات نشره» . وقد شارك في هذه الندوة التي عقدت بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية خبراء وأساتذة ومتخصصون في قضايا التراث العربي عامة ، والتراث العلمي خاصة . وكان ضيفا الندوة د. مصطفى موالدي وكيل معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب (سوريا) سابقًا ، والدكتور عبد الكريم عوفي أستاذ اللغويات بجامعة باتنة (الجزائر) . واعتذر عن عدم الحضور الأستاذ محمد إبراهيم الشيباني مدير مركز التراث والمخطوطات والوثائق (من الكويت) ، ود. حازم البكري الصديقي (من العراق) .

عُنيت الندوة بمحورين ، هما : مكانة التراث العلمي العربي وخصوصيته ، وشغلت به الندوة في يومها الأول ، ونشر التراث العلمي العربي وخدمته ، وشغلت به الندوة في يومها الثاني .

بلغت عدة جلسات الندوة ست جلسات ، كان منها الجلستان الافتتاحية والختامية . وقد رأس الجلسات العلمية د. محمود فهمي حجازي عضو مجمع اللغة العربية وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد ، د. علي عبد الفتاح وزير الصحة المصري سابقاً ، د. عبد الله محارب المستشار الثقافي بسفارة الكويت في القاهرة ، والأستاذ إبراهيم الترزي أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد .

بدأت الجلسة الافتتاحية بكلمة للدكتور أحمد يوسف أحمد محمد ، رَحَّب فيها بالحضور وضيوف الندوة الذين تجشموا مشقة السفر ، وأشار إلى أن هذه الندوة أصبحت تقليداً راسخاً في عمل المعهد .

بعد ذلك عرض د . فيصل الحفيان منسق برامج المعهد ومنسق الندوة فكرة الندوة والهدف منها .

وأعقبت الجلسة الافتتاحية جلسة العمل الأولى ، التي كان موضوعها : التراث العلمي العربي : قراءة عامة . وقد تحدث فيها د . أحمد فؤاد باشا - وكيل كلية العلوم بجامعة القاهرة عن « التراث العلمي العربي : شيء من الماضي أم زاد للآتي » ، ود. فيصل الحفيان عن « موقع تراثنا العلمي وإشكالاته » .

وعقّب على الباحثين د . كمال عرفات نبهان مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن سابقاً ، و د . محمد عبد المجيد الطويل رئيس قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

وكان موضوع جلسة العمل الثانية : تحقيق التراث العلمي العربي . وقدتحدث فيها د . مصطفى موالدي عن « خصوصية تحقيق التراث العلمي » ، ود. ماهر عبد القادر ، أستاذ الفلسفة وتاريخ العلوم بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية فأجاب عن سؤال « من يحقق التراث العلمي ؟ » .

وعقب على هذه الجلسة د . عبد الفتاح غنيمة أستاذ الفلسفة وتاريخ العلم في جامعة المنوفية ، ود . عبد اللطيف العبد وكيل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ود . علي عبد المعطي محمد مدير مركز التراث القومي والمخطوطات في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية .

في جلسة العمل الثالثة التي استهل بها اليوم الثاني وكان موضوعها : نشر التراث العلمي بين الماضي والمستقبل ، تحدث د . أيمن فؤاد سيد : مستشار التراث في الهيئة العام لدار الكتب والوثائق القومية - مصر ، سابقاً عن « نشر التراث العلمي : رؤية ماضوية تقويمية ، ود . يوسف زيدان مستشار التراث في مكتبة الإسكندرية عن « نشر التراث العلمي : رؤية مستقبلية استشرافية » .

وقد عَقَّب على هذه الجلسة د . عبد الكريم عوفي ، و د . محمد سليم العوا المفكر الإسلامي المعروف .

أما جلسة العمل الرابعة فكان موضوعها : الجهود العربية والاستشراقية في خدمة التراث العلمي . وقد تحدث فيها الأستاذ عصام محمد الشنطي ، مدير المعهد الثاني سابقاً عن «جهود المؤسسات العربية في خدمة التراث العلمي» ، ود . عباس سليمان ، من كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عن «جهود المستشرقين في خدمة التراث العلمي» .

وقد عقب على هذه الجلسة د . ماهر عبد القادر ، و د . أيمن فؤاد سيد .

أما الجلسة السادسة ، وهي الختامية ، فقد اقتصرت على التقرير الختامي والتوصيات .

وقد تخلف عن المشاركة في برنامج الندوة بوصفهم معقبين على البحوث : د . حامد عبد الرحيم عيد مدير مركز بحوث التراث في العلوم الطبيعية التابع لكلية العلوم بجامعة القاهرة ، ود . كمال البتانوني الأستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة ، و د . محمد مهران رشوان الأستاذ بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

هذا وقد أسفرت الندوة عن التوصيات التالية :

١ - دعوة المعهد لتبني إعداد كتاب خاص بمنهج تحقيق المخطوطات العربية العلمية .

٢ - دعوة المعهد لوضع خطط متكاملة لإحياء التراث العلمي العربي بشكل مدروس ، والسعي إلى إنشاء اتحاد عربي لتاريخ العلوم تستظل به المراكز المشتغلة بهذا التراث .

٣ - إنشاء موقع للمعهد على الإنترنت ، يكون قبلة الباحثين في مجال التراث العربي عموماً ، والتراث العلمي العربي خصوصاً .

٤ – وضع سلم أولويات للتراث العلمي العربي المخطوط ، حتى يأخذ دوره في النشر وفق هذا السلم .

٥ – التأكيد على أهمية العمل الجماعي التكاملي في تحقيق التراث العلمي العربي .

٦ – الدعوة لقيام «مسح» شامل للمخطوطات العلمية العربية في المكتبات المنتشرة في كل مكان ، وإعداد قوائم وفهارس تعرف بها .

٧ – مطالبة الجامعات العربية والمؤسسات التعليمية العالية بالاهتمام بتدريس مادة تاريخ العلوم عند العرب في الكليات العلمية وغيرها ، وتخصيص جزء من المنهج لهذا الغرض .

٨ – عقد ندوات علمية دورية في الأقطار العربية ، تعنى بالتراث العلمي العربي .

٩ – دعوة المؤسسات المعنية بالتراث العلمي العربي إلى تقديم هذا التراث إلى الأجيال الجديدة بأسلوب مناسب مبسَّط .

١٠ – التراث الذي ترجمه العرب عمن سبقهم جزء من تراثنا ، وينبغي العناية به والاهتمام به ، ولفت الانتباه إليه ، حتى يأخذ دوره في التأسيس المعرفي .

١١ – تنويع الإصدارات عن التراث ، لتأخذ بالإضافة إلى شكل الوعاء الورقي ، أشكال الأوعية الحديثة .

١٢ – توجيه التحية إلى معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب ، جزاء جهوده المتميزة في مجال خدمة التراث العلمي العربي .

* * *

■ ثمن النسخة

- داخل مصر : ١٥ جنيهاً .
- خارج مصر : ٧ دولارات أمريكية ، شاملة نفقات البريد .

المراسلات : ص.ب ٨٧ – الدقي – القاهرة – ج.م.ع.

الهواتف : ٧٦١٦٤٠١/٢/٥

الفاكس : ٧٦١٦٤٠١

المقر : ٢١ ش المدينة المنورة – آخر محيي الدين أبو العز – المهندسين .



ALECSO

NADWAT

QAḌÁYÁ AL-MAḪṬÚṬÁṬ (3)

(6 - 7 December 1999)

Arranged & Edited

By

Dr. FAISAL AL-HAFYAN

Atturāṯ Alʿilmī Alʿarabī

Attaḥqīq Wannašr

THE INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

CAIRO 2000